

سلسلة أعمال القلوب (٢)

النفاق

ح) مجموعة زاد للنشر ١٤٣٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المنجد، محمد صالح

النفاق، محمد صالح المنجد - الخبر ١٤٣٠ هـ

٦٣ ص، ١٢×١٧ سم

ردمك: ٦-١٥-٨٠٤٧-٦٠٣-٩٧٨

١- النفاق أ. العنوان

١٤٣٠/٤٠٥٠

ديوي: ٢٤٠

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



للنشر

المملكة العربية السعودية

الخبر - هـ: ٨٦٥٥٣٥٥

جدة - هـ: ٦٩٢٩٢٤٢

ص.ب: ١٢٦٣٧١ جدة: ٢١٣٥٢

[www.zadgroup.net](http://www.zadgroup.net)

مَجْمُوعَةُ الزَّادِ  
مَجْمُوعَةُ الزَّادِ

سلسلة أعمال القلوب (٢)

# النفاق



١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد،  
وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن النفاق داء وبيل، وانحراف خطير، وشر مستطير، وهو  
من أخطر الأمراض التي تفسد القلب إن لم يكن أخطرها،  
والإنسان لا يرضى لنفسه النفاق غير أنه قد يقع فيه من حيث لا  
يشعر، وبالأخص النفاق العملي، وهذا لا يعني أن يقف الإنسان  
عاجزاً عن مواجهته، ويخطئ من يستهين به دون أن يحصن نفسه  
منه؛ لأنه يسلب من الإنسان كل صفات الخير، ويجرمه من فعل  
الصالحات، ويتزع منه كل القيم السامية؛ حتى يجعله منبوذاً  
مدحوراً. وقد جاءت سور القرآن بكشف أهله، وذكر صفاتهم.

وستتطرق في هذا الكتاب إلى تعريف النفاق، وذكر  
أنواعه، وبيان صفات المنافقين، وسبل الوقاية منه.

أشكر كل من ساهم في إعداد هذه المادة وإخراجها،  
وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

محمد صالح المنجد



## تعريف النفاق

### النفاق لغة:

(نفق) النون والفاء والقاف أصلان صحيحان، يدل أحدهما على انقطاع شيء وذهابه، والآخر على إخفاء شيء وإغماضه. مأخوذ من النفق، وهو السرب في الأرض الذي يُسْتَرَّ فيه، وسمي النفاق بذلك لأنّ المنافق يستر كفره<sup>(١)</sup>.

والنفاق [اصطلاح شرعي] لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به وإن كان أصله معروفاً في اللغة العربية.

### النفاق شرعاً:

إظهار الخير وإسرار الشر.

نقل عن ابن جريج قوله: المنافق يخالف قوله فعله، وسرّه علانيته، ومدخله مخرجه، ومشهده مغيبه<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: لسان العرب (٣٥٧/١٠)، وانظر: معجم مقاييس اللغة (٤٥٥/٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١٧٦/١).

## أنواع النفاق

النفاق ينقسم إلى نفاق أكبر ونفاق أصغر.

قال ابن تيمية: (والنفاق كالكفر نفاق دون نفاق ولهذا كثيرا ما يقال: كفر ينقل عن الملة وكفر لا ينقل، ونفاق أكبر ونفاق أصغر)<sup>(١)</sup>.

### ١- النفاق الاعتقادي (النفاق الأكبر):

وهو أن يظهر الإيمان والإسلام وهو كافر في الباطن، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد رسول الله ﷺ ونزل القرآن بدم أهله وتكفيرهم، وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار.

قال ابن رجب: (النفاق الأكبر وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه)<sup>(٢)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى (٧/٥٢٤).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/٤٣١).



وقد يطلق الفقهاء لفظ الزنديق على المنافق.

قال ابن القيم: (طبقة الزنادقة، وهم قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل، وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسله، هؤلاء هم المنافقون، وهم في الدرك الأسفل من النار)<sup>(١)</sup>.

## ٢- النفاق العملي (النفاق الأصغر):

وهو ترك المحافظة على أمور الدين سرّاً، ومراعاتها علناً، مع الإيمان بالله وصحة الاعتقاد.

قال ابن رجب: (النفاق الأصغر، وهو نفاق العمل، وهو أن يظهر الإنسان علانيةً صالحاً، ويبطن ما يخالف ذلك)<sup>(٢)</sup>.

والنفاق الأصغر العملي قد يجتمع في قلب المسلم مع أصل الإيمان وهو من أكبر الذنوب والمعاصي، بخلاف النفاق الأكبر فإنه ينافي الإيمان، فلا يجتمع نفاق أكبر مع الإيمان بالله في قلب عبد.

(١) طريق المهجرتين (٥٩٥).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/٤٣١).

ولكن إذا استحکم النفاق الأصغر وكمل؛ فقد يفضي بصاحبه إلى النفاق الأكبر والانسلاخ من الدين بالكلية.

والنفاق العملي لا يخلد صاحبه في النار، بل حكمه حكم سائر أهل الكبائر، فإن شاء الله غفر له وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه على ذنوبه ثم يكون مآله إلى الجنة.

### والنفاق في الدين منه ما هو أصلي ومنه ما هو طارئ:

فالمقصود بالنفاق الأصلي، النفاق الذي لم يُسبق بإسلام صحيح، فقد تدفع المصلحة الدنيوية بعض الناس، إلى التظاهر بالانتساب للإسلام وهو غير مؤمن به في قلبه، فيكون منافقاً منذ اللحظة الأولى لإعلان إسلامه، ثم يستمر على هذا النفاق.

وقد يعلن بعض الناس إسلامهم وهم صادقون، ثم يطرأ الشك والنفاق على قلوبهم، بعد تعرضهم لابتلاءات مختلفة، يمتحن الله بها صدق إيمانهم، فيرتدون عن الإسلام ردة داخلية، ويخشون إعلان ردتهم، ويستمرون على التظاهر بالإسلام، مخافة إجراء أحكام الردة عليهم، أو مخافة فوات منافع دنيوية

تأتيهم بوصفهم مسلمين، أو مخافة تعرضهم للذم وفقدهم  
مكانتهم في المجتمع، أو غير ذلك من صور المنافع التي  
يرونها، فيستمرون على إظهار الإسلام بينما هم في الحقيقة  
كافرون مرتدون.

## الخوف من النفاق

اشتد خوف الصحابة ومن بعدهم من الصالحين من النفاق حتى كان أبو الدرداء رضي الله عنه إذا فرغ من التشهد في الصلاة يتعوذ بالله من النفاق، ويكثر التعوذ منه، فقال له أحدهم: ومالك يا أبا الدرداء أنت والنفاق؟، فقال دعنا عنك، فو الله إن الرجل ليقرب عن دينه في الساعة الواحدة فيخلع منه <sup>(١)</sup>.

وعن حنظلة رضي الله عنه قال: لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله! ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله صلوات الله عليه يذكرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله صلوات الله عليه عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيرا. قال أبو بكر: فو الله، إنا لنلقى مثل هذا. فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلوات الله عليه، قلت: نافق حنظلة يا رسول

(١) سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٨٢) قال الذهبي إسناده صحيح.

الله، فقال رسول الله ﷺ: «وَمَا ذَاكَ؟» قلت: يا رسول الله، نكون عندك تذكّرنا بالنار والجنة حتى كأنّ رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا، فقال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذُّكْرِ، لَصَافَحْتَكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، لَكِنَّ يَا حَنْظَلَةَ سَاعَةً وَسَاعَةً»<sup>(١)</sup>.

ومعنى (نافق حنظلة): أنّه خاف أنه منافق حيث كان يحصل له الخوف في مجلس النبي ﷺ، ويظهر عليه ذلك مع المراقبة والفكر والإقبال على الآخرة، فإذا خرج اشتغل بالزوجة والأولاد ومعاش الدنيا، وأصل النفاق إظهار ما يكتم خلافه من الشرّ، فخاف أن يكون ذلك نفاقا، فأعلمهم النبي ﷺ أنه ليس بنفاق، وأنهم لا يكلفون الدوام على ذلك. «سَاعَةً وَسَاعَةً» أي: ساعة كذا وساعة كذا<sup>(٢)</sup>.

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: دُعي عمر لجنّازة فخرج

(١) رواه مسلم (٢٧٥٠).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٧/٦٦-٦٧).

فيها أو يريدھا، فتعلقتُ به فقلتُ: اجلس يا أمير المؤمنين، فإنه من أولئك أي: من المنافقين، فقال: نشدتك الله، أنا منهم؟ قال: لا، ولا أبرئ أحداً بعدك<sup>(١)</sup>.

وقال ابن أبي مليكة: أدركتُ ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن القيم: (تالله، لقد ملئت قلوب القوم إيماناً و يقيناً، وخوفهم من النفاق شديد، وهمُّهم لذلك ثقيل، وسواهم كثير منهم لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، وهم يدعون أن إيمانهم كإيمان جبريل وميكائيل)<sup>(٣)</sup>.

وما عنوا به النفاق الذي هو ضد أصل الإيمان بل المراد به ما يجتمع مع أصل الإيمان فيكون مسلماً منافقاً<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه ابن أبي شيبة (٦٣٧/٨)، وقال الهيثمي في المجمع (٤٢/٣): رجاله ثقات.

(٢) رواه البخاري (٢٦/١).

(٣) مدارج السالكين (١/٣٥٨).

(٤) إحياء علوم الدين (٤/١٧٢).

## صفات المنافقين في الكتاب والسنة

جاء ذكر المنافقين في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة في مواضع عديدة تبين صفاتهم، وتحذر المؤمنين منهم، حتى أفرد الله تعالى سورة خاصة بهم، ومن صفاتهم:

### ١- مرض القلب:

قال الله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة: ١٠].

قال ابن القيم: (قد نهكت أمراض الشبهات والشهوات قلوبهم فأهلكتها، وغلبت القصد السيئة على إراداتهم ونياتهم فأفسدتها، ففسادهم قد ترمى إلى الهلاك، فعجز عنه الأطباء العارفون، ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾<sup>(١)</sup>).

(١) مدارج السالكين (١/٣٤٩).

## ٢- الطمع الشهواني:

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

فيطمع الذي في قلبه ضعف، فهو لضعف إيمانه في قلبه، إما شك في الإسلام منافق، فهو لذلك من أمره يستخفّ بحدود الله، وإما متهاون بإتيان الفواحش<sup>(١)</sup>.

## ٣- التكبر والاستكبار:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ [المنافقون: ٥].

يقول تعالى مخبراً عن المنافقين عليهم لعائن الله أنهم إذا قيل لهم: ﴿تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: صدّوا وأعرضوا عمّا قيل لهم استكباراً عن ذلك، واحتقاراً لما قيل، ولهذا قال تعالى:

(١) جامع البيان (٢٠/٢٥٨).



﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ . ثم جازاهم على ذلك فقال تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

#### ٤- الاستهزاء بآيات الله:

قال الله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُوا وَإِنَّ اللَّهَ لَمُخْرِجٌ مِمَّا تَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ٦٤].

يخشى المنافقون أن تنزل فيهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم، أي: تظهر المؤمنين على ما في قلوبهم. وقيل: إن الله أنزل هذه الآية على رسول الله ﷺ لأن المنافقين كانوا إذا عابوا رسول الله ﷺ وذكروا شيئاً من أمره وأمر المسلمين قالوا: لعل الله لا يفشي سرنا، فقال الله لنبيه ﷺ: قل لهم: ﴿اسْتَزِرُوا﴾، متهددا لهم متوعداً، ﴿إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مِمَّا تَحْذَرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/٤٧٣).

(٢) جامع البيان (١٤/٣٣١).

## ٥- الاستهزاء بالمؤمنين:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ ۗ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقرة: ١٤-١٥].

قال ابن القيم: (لكل منهم وجهان: وجه يلقي به المؤمنون، ووجه ينقلب به إلى إخوانه من الملحدين، وله لسانان: أحدهما يقبله بظاهره المسلمون، والآخر يترجم به عن سره المكنون.

وقد أعرضوا عن الكتاب والسنة استهزاءً بأهلها واستحقاراً، وأبوا أن ينقادوا لحكم الوحيين فرحا بما عندهم من العلم الذي لا ينفع الاستكثار منه إلا أشرا واستكباراً، فتراهم أبداً بالتمسكين بصريح الوحي يستهزؤون ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

## ٦- صدّ الناس عن الإنفاق:

قال الله تعالى: ﴿ هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا نُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَقْفَهُونَ ﴾ [المنافقون: ٧].

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كنت في غزاة، فسمعت عبد الله بن أبي يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ، فذكرت ذلك لعمي أو لعمر، فذكره للنبي صلى الله عليه وسلم، فدعاني فحدّثته، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا، فكذّبني رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدّقه، فأصابني همّ لم يصبني مثله قطّ، فجلست في البيت فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذبتك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتك، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾. فبعث إليّ النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ فقال: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدٌ»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه البخاري (٤٩٠٠)، ومسلم (٢٧٧٢).

## ٧- السفه ورمي المؤمنين بالسفه:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣].

قال ابن القيم: (التمسك عندهم بالكتاب والسنة صاحب ظواهر، مبخوس حظه من المعقول، والدائر مع النصوص عندهم كحمار يحمل أسفارا، فهمه في حمل المنقول، وبضاعة تاجر الوحي لديهم كاسدة، وما هو عندهم بمقبول، وأهل الاتباع عندهم سفهاء، فهم في خلواتهم ومجالسهم بهم يتطيرون)<sup>(١)</sup>.

## ٨- موالة الكافرين:

قال الله تعالى: ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٣٨-١٣٩].

عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً

(١) مدارج السالكين (١/٣٥٠).

يقول الله لنبيه: يا محمد ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ ﴾ الذين يتخذون أهل الكفر بي والإلحاد في ديني أولياء يعني أنصارا وأحلاء من دون المؤمنين، يعني: من غير المؤمنين. ﴿ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ ﴾ يقول: يطلبون عندهم المنعة والقوة باتخاذهم إياهم أولياء من دون أهل الإيمان بي ﴿ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ يقول: فإن الذين اتخذوهم من الكافرين أولياء ابتغاء العزة عندهم هم الأذلاء الأقلاء، فهلاً اتخذوا الأولياء من المؤمنين، فيلتمسوا العزة والمنعة والنصرة من عند الله الذي له العزة والمنعة، الذي يعز من يشاء ويدل من يشاء، فيعزهم ويمنعهم<sup>(١)</sup>.

### ٩- التريص بالمؤمنين:

قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا الْمَرْئِكُنَّ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ١٤١].

(١) جامع البيان (٩/٣١٩).

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمْ﴾ الذين ينتظرون أيها المؤمنون بكم ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ﴾ يعني: فإن فتح الله عليكم فتحا من عدوكم، فأفاء عليكم فيئا من المغانم، ﴿قَالُوا﴾ لكم ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ نجاهد عدوكم، ونغزوهم معكم، فأعطونا نصيبا من الغنيمة، فإننا قد شهدنا القتال معكم، ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ يعني: وإن كان لأعدائكم من الكافرين حظ منكم بإصابتهم منكم ﴿قَالُوا﴾ يعني: قال هؤلاء المنافقون للكافرين ﴿أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ﴾ ألم نغلب عليكم حتى قهرتم المؤمنين، ومنعكم منهم بتخذيلنا إياهم، حتى امتنعوا منكم فانصرفوا، ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يعني: فالله يحكم بين المؤمنين والمنافقين يوم القيامة، فيفصل بينكم بالقضاء الفاصل بإدخال أهل الإيمان جنته، وأهل النفاق مع أوليائهم من الكفار نارَه<sup>(١)</sup>.

(١) جامع البيان (٩/٣٢٤).

## ١٠. مغادعة الله والكسل في العبادات:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٤٢].

إن المنافقين يخادعون الله بإحرازهم بنفاقهم دماءهم وأموالهم، والله خادعهم بما حكم فيهم من منع دمائهم بما أظهروا بألستهم من الإيمان، مع علمه بباطن ضمائرهم واعتقادهم الكفر، استدراجا منه لهم في الدنيا، حتى يلقوه في الآخرة فيوردهم بما استبطنوا من الكفر نار جهنم.

وأما قوله: ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ ﴾ فإنه يعني أن المنافقين لا يعملون شيئا من الأعمال التي فرضها الله على المؤمنين على وجه التقرب بها إلى الله، لأنهم غير موقنين بمعاد ولا ثواب ولا عقاب، وإنما يعملون ما عملوا من الأعمال الظاهرة بقاء على أنفسهم، وحذارا من المؤمنين عليها أن يقتلوا أو يسلبوا أموالهم، فهم إذا قاموا إلى الصلاة

التي هي من الفرائض الظاهرة قاموا كسالى إليها رياء للمؤمنين؛ ليحسبوهم منهم، وليسوا منهم؛ لأنهم غير معتقدي فرضها ووجوبها عليهم، فهم في قيامهم إليها كسالى.

وأما قوله: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١﴾ فلعل قائلًا أن يقول: وهل من ذكر الله شيء قليل؟! قيل له: إن معنى ذلك بخلاف ما إليه ذهبت، إنما معناه: ولا يذكرون الله إلا ذكرا رياء؛ ليدفعوا به عن أنفسهم القتل والسبب وسلب الأموال، لا ذكر موقن مصدق بتوحيد الله، مخلص له الربوبية؛ فلذلك سماه الله قليلا؛ لأنه غير مقصود به الله، ولا مبتغى به التقرب إلى الله، ولا مرادا به ثواب الله وما عنده، فهو وإن كثر من وجه نصب عامله وذاكره في معنى السراب الذي له ظاهر بغير حقيقة ماء<sup>(١)</sup>.

(١) جامع البيان (٥/٣٢٩).



## ١١. التذبذب والتردد:

قال الله تعالى: ﴿ مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ ﴾ [النساء: ١٤٣].

عنى بذلك أن المنافقين متحيرون في دينهم، لا يرجعون إلى اعتقاد شيء على صحّة، فهم لا مع المؤمنين على بصيرة، ولا مع المشركين على جهالة، ولكنهم حيارى بين ذلك<sup>(١)</sup>.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ تَعِيرُ فِي هَذِهِ مَرَّةً وَفِي هَذِهِ مَرَّةً»<sup>(٢)</sup>.

قال النووي: (العائرة: المترددة الحائرة، لا تدري لأيهما تتبع، ومعنى تعير أي: تردّد وتذهب)<sup>(٣)</sup>.

(١) جامع البيان (٩/٣٣٢).

(٢) رواه مسلم (٢٧٨٤).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٧/١٢٨).

## ١٢- مخادعة المؤمنين:

قال الله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ  
إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩].

خداع المنافق ربّه والمؤمنين إظهاره بلسانه من القول والتصديق خلاف الذي في قلبه من الشكّ والتكذيب؛ ليدراً عن نفسه بما أظهر بلسانه حكم الله ﷻ اللازم من كان بمثل حاله من التكذيب، لو لم يظهر بلسانه ما أظهر من التصديق والإقرار من القتل والسب، فذلك خداعه ربّه وأهل الإيمان بالله<sup>(١)</sup>.

## ١٣- التحاكم إلى الطاغوت:

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا  
بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ  
وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ، وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَكَلًا  
بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الرَّسُولِ

(١) جامع البيان (١/٢٧٢).

رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يُضُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿ [النساء: ٦٠-٦١].

قال ابن القيم: (إن حاکمت المنافقين إلى صريح الوحي وجدتهم عنه نافرين، وإن دعوتهم إلى حکم کتاب الله وسنة رسوله ﷺ رأيتهم عنه معرضين، فلو شهدت حقائقهم لرأيت بينها وبين الهدى أمدا بعيدا، ورأيتها معرضة عن الوحي إعراضا شديدا) (١).

#### ١٤- الإفساد بين المؤمنين:

قال الله تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَوْا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [التوبة: ٤٧].

﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ﴾ أي: لأنهم جنباء مخذولون، ﴿ خَبَالًا وَلَا أُضْعَوْا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ ﴾ أي: ولأسرعوا السير والمشي بينكم بالنميمة والبغضاء والفتنة، ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمْ ﴾ أي: مطيعون

(١) مدارج السالكين (١/٣٥٣).

لهم، ومستحسنون لحديثهم وكلامهم، يستنصحوهم وإن كانوا لا يعلمون حالهم، فيؤدّي إلى وقوع شرّ بين المؤمنين وفساد كبير<sup>(١)</sup>.

### ١٥. الحلف الكاذب والخوف والجبن والهلع:

قال الله تعالى: ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَحْدُوثُ مَلْجَأًا أَوْ مَغْرَبًا أَوْ مُدْخَلًا لَوْلَا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾ [التوبة: ٥٦، ٥٧].

يخبر الله تعالى نبيه ﷺ عن جزعهم وفزعهم وفرقهم وهلعهم أنهم ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ ﴾ ﴿ يَمِينًا مُؤَكَّدَةً، ﴿ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ ﴾ أي: في نفس الأمر، ﴿ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴾ أي: فهو الذي حملهم على الحلف. ﴿ لَوْ يَحْدُوثُ مَلْجَأًا ﴾ أي: حصنا يتحصنون به، وحرزا يتحرزون به، ﴿ أَوْ مَغْرَبًا ﴾ وهي التي في الجبال، ﴿ أَوْ مُدْخَلًا ﴾ وهو السرب في الأرض والنفق ﴿ مُدْخَلًا لَوْلَا

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٦٠).

إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿١﴾ أي: يسرعون في ذهابهم عنكم؛ لأنهم إنما يخالطونكم كرها لا محبة، وودّوا أنهم لا يخالطونكم، ولكن للضرورة أحكام، ولهذا لا يزالون في هم وحزن وغم؛ لأن الإسلام وأهله لا يزال في عزّ ونصر ورفعة، فلهذا كلّما سرّ المسلمون ساءهم ذلك فهم يودّون أن لا يخالطوا المؤمنين ولهذا قال: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلَجًا أَوْ مَغْرَبًا أَوْ مَدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ (١).

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خَشَبٌ مُسْتَنْدَةٌ يَخْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوٌّ فَاحْذَرْهُمْ فَهُمْ لِلَّهِ أَنْ يَتُوفَكُوا﴾.

قال ابن القيم: (أحسن الناس أجسامًا وأخلبهم لسانًا وألطفهم بيانًا وأخبثهم قلوبًا وأضعفهم جنانًا، فهم كالخشب المستندة التي لا ثمر لها، قد قلعت من مغارسها فتساندت إلى حائط يقيمها؛ لئلا يطأها السالكون) (٢).

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/١٦٣).

(٢) مدارج السالكين (١/٣٥٤).

## ١٦- يحبون أن يُخمدوا بما لم يفعلوا:

قال الله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٨٨].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: إن رجلا من المنافقين على عهد رسول الله صلوات الله عليه كان إذا خرج رسول الله صلوات الله عليه إلى الغزو تخلفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلوات الله عليه، فإذا قدم رسول الله صلوات الله عليه اعتذروا إليه، وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾ <sup>(١)</sup>.

## ١٧- يعيبون العمل الصالح:

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَاهُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [التوبة: ٥٨].

يقول تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ ﴾ أي: ومن المنافقين ﴿ مَنْ يَلْمِزُكَ ﴾

(١) رواه البخاري (٤٥٦٧)، ومسلم (٢٧٧٧).

أي: يعيب عليك ﴿ في ﴾ قسم ﴿ الصَّدَقَاتِ ﴾ إذا فرقتها،  
 وبإتهمك في ذلك، وهم المتهمون المأبونون، وهم مع هذا لا  
 ينكرون للدين، وإنما ينكرون لحظ أنفسهم؛ ولهذا إن أعطوا  
 من الزكاة ﴿ رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾  
 أي: يغضبون لأنفسهم<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ  
 الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ  
 فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧٩].

عن أبي مسعود رضي الله عنه، قال: لما أمرنا بالصدقة كنا نتحامل،  
 فجاء أبو عقيل بنصف صاع، وجاء إنسان بأكثر منه، فقال  
 المنافقون: إن الله لغني عن صدقة هذا، وما فعل هذا  
 الآخر إلا رثاء، فنزلت: ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ  
 مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا  
 جُهْدَهُمْ ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/١٨٢).

(٢) رواه البخاري (٤٦٦٨)، ومسلم (١٠١٨).

لا يسلم أحد من عيبيهم ولمزهم في جميع الأحوال، حتى ولا المتصدقون يسلمون منهم، إن جاء أحد منهم بهال جزيل قالوا: هذا مُراءٍ، وإن جاء بشيء يسير قالوا: إن الله لغني عن صدقته<sup>(١)</sup>.

### ١٨- الرضا بأسافل المواضع:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةً أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ [التوبة: ٨٦].

يقول تعالى منكرًا وذامًا للمتخلفين عن الجهاد الناكِلين عنه مع القدرة عليه ووجود السعة والطول، واستأذنوا الرسول في القعود، وقالوا: ﴿ ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾، ورضوا لأنفسهم بالعار والقعود في البلد مع النساء وهن الخوالف، بعد خروج الجيش، فإذا وقع الحرب كانوا أجبن الناس، وإذا كان أمن كانوا أكثر الناس كلامًا، كما قال تعالى

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٨٤).



عنهم في الآية الأخرى: ﴿ أَشْحَةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ ﴾ [الأحزاب: ١٩] أي: علت ألسنتهم بالكلام الحادّ القوي في الأمن، وفي الحرب أجبين شيء<sup>(١)</sup>.

#### ١٩- الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف:

قال الله تعالى: ﴿ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفٰسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٦٧].

يقول تعالى منكرًا على المنافقين الذين هم على خلاف صفات المؤمنين، ولما كان المؤمنون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر كان هؤلاء ﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾ أي: عن الإنفاق في

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/١٩٦).

سبيل الله ﴿ تَسُوا اللَّهَ ﴾ أي: نسوا ذكر الله ﴿ فَتَسِيَهُمْ ﴾ أي: عاملهم معاملته من نسيهم، كقوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾. ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ أي: الخارجون عن طريق الحق الداخلون في طريق الضلالة<sup>(١)</sup>.

## ٢٠- كره الجهاد والتخلف عنه:

قال الله تعالى: ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة: ٨١].

يقول تعالى ذاما للمنافقين المتخلفين عن صحابة رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وفرحوا بقعودهم بعد خروجه، ﴿ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا ﴾ معه ﴿ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ﴾؛ وذلك أن

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٧٣).

الخروج في غزوة تبوك كان في شدة الحر عند طيب الظلال  
والشمار؛ فلهذا قالوا: لا تنفروا في الحر، قال الله تعالى لرسوله  
ﷺ ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ نَارُ جَهَنَّمَ ﴾ التي تصيرون إليها  
بمخالفتكم ﴿ أَشَدُّ حَرًّا ﴾ مما فررتم منه من الحر، بل أشدَّ  
حرًّا من النار<sup>(١)</sup>.

## ٢١- التخذييل والإرجاف:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ  
مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (١٣) وَإِذْ قَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ  
يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ  
بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [الأحزاب: ١٢ -  
١٣].

## ٢٢- البطاء عن المؤمنين:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَّيُبْتَئِنَ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُّصِيبَةٌ  
قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٧٧].

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٨٩).

هذا نعت من الله تعالى ذكره للمنافقين، نعتهم لنيبه صلى الله عليه وسلم وأصحابه ووصفهم بصفتهم فقال: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ أِيهَا الْمُؤْمِنُونَ، يعني: من عدادكم وقومكم، ومن يتشبه بكم، ويظهر أنه من أهل دعوتكم وملتكم، وهو منافق يبطن من أطاعه منكم عن جهاد عدوكم، وقتالهم إذا أنتم نفرتم إليهم، ﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ يقول: فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ هَزِيمَةٌ أَوْ نَالَكُمْ قَتْلٌ أَوْ جِرَاحٌ مِنْ عَدُوِّكُمْ ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ فيصيني جراح أو ألم أو قتل، وسره تخلفه عنكم شماتة بكم؛ لأنه من أهل الشك في وعد الله الذي وعد المؤمنين على ما نالهم في سبيله من الأجر والثواب وفي وعيده، فهو غير راج ثوابا، ولا خائف عقابا<sup>(١)</sup>.

### ٢٣- الاستئذان عن الجهاد:

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَكْفُرُ أَتَدْنٰ لِي وَلَا نَفْتِيَّ ۗ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩].

(١) جامع البيان (٨/٥٣٨).

يقول تعالى: ومن المنافقين من يقول لك يا محمد: ﴿أُذِنَ لِي﴾ في القعود ﴿وَلَا نَفْتِي﴾ بالخروج معك بسبب الجواري من نساء الروم، قال الله تعالى: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ أي: قد سقطوا في الفتنة بقولهم هذا <sup>(١)</sup>.

#### ٢٤. اتخاذ الأعداء عند التغلف:

قال الله تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَنْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْزِلُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ٩٤].

أخبر تعالى عن المنافقين بأنهم إذا رجعوا إلى المدينة أنهم يعتذرون إليهم ﴿قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ﴾ أي: لن نصدقكم، ﴿قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَنْبَارِكُمْ﴾ أي: قد أعلمنا الله أحوالكم، ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ أي: سيظهر أعمالكم للناس في الدنيا، ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ﴾

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٦١).

وَالشَّهَادَةَ فَيَبْتِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ أَي: فيخبركم بأعمالكم، خيرها وشرها، ويجزيكم عليها<sup>(١)</sup>.

### ٢٥- الاستخفاء من الناس:

قال الله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٨].

هذا إنكار على المنافقين في كونهم يستخفون بقبائحهم من الناس؛ لئلا ينكروا عليهم، ويجاهرون الله بها؛ لأنه مطلع على سرائرهم، وعالم بما في ضمائرهم، ولهذا قال: ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ تهديد لهم ووعيد<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/٢٠١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/٤٠٧).

## ٢٦- الفرع بما يصيب المؤمنين من ضراء:

قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ مَن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ قَد بَدَتِ أَلْبَعَضَةُ مِن أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَد بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَآئِنْتُمْ ءَأُولَآءِ مُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لِقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمُ الْآنَامِلَ مِنَ الْعِظِ قُلْ مُوتُوا يَعِظُكُمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمَسَّسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصَّبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾

[آل عمران: ١١٨-١٢٠].

يقول تبارك وتعالى ناهيا عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة، أي: يطلعونهم على سرائرهم، وما يضمرونه لأعدائهم، والمنافقون بجهدهم وطاقاتهم لا يألون المؤمنين خبالا أي: يسعون في مخالفتهم، وما يضرهم بكل ممكن، وبما يستطيعون من المكر والخديعة، ويودون ما يعنت المؤمنين ويخرجهم ويشق عليهم<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/١٠٦).

## ٢٧- إذا أوتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر:

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عٰهَدَ اَللّٰهَ لَئِنِ اٰتٰنَا مِنْ فَضْلِهٖ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُوْنَنَّ مِنَ الصّٰلِحِيْنَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ اٰتٰهُمْ مِّنْ فَضْلِهٖ بَخِلُوْا بِهٖ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُوْنَ ﴿٧٧﴾ [التوبة: ٧٥-٧٧].

يقول تعالى: ومن المنافقين من أعطى الله عهده وميثاقه لئن أغناه من فضله ليصدقن من ماله، وليكونن من الصالحين، فما وفى بما قال، ولا صدق فيما ادعى، فأعقبهم هذا الصنيع نفاقا سكن في قلوبهم إلى يوم يلقوا الله عَلَيْهِ يوم القيامة، عيادا بالله من ذلك<sup>(١)</sup>.

وقال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُوْلُ اٰمَنَّا بِاللّٰهِ وَاِلٰيَوْمِ الْاٰخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِيْنَ ﴿٨﴾ [البقرة: ٨].

قال ابن القيم: (رأس ما لهم الخديعة والمكر، وبضاعتهم الكذب والخثر، وعندهم العقل المعيشي أن الفريقين عنهم

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٨٣).



راضون، وهم بينهم آمنون، ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»<sup>(٢)</sup>.

قال النووي: (هذا الحديث مما عدّه جماعة من العلماء مشكلاً من حيث إن هذه الخصال توجد في المسلم المصدّق الذي ليس فيه شك، فإن إخوة يوسف عليه السلام جمعوا هذه الخصال، وكذا وجد لبعض السلف والعلماء بعض هذا أو كلّه، وهذا الحديث ليس فيه بحمد الله تعالى إشكال، ولكن اختلف العلماء في معناه، فالذي قاله المحققون والأكثر هو الصحيح المختار: إن معناه أن هذه الخصال خصال نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلّق بأخلاقهم، فإن النفاق هو

(١) مدارج السالكين (١/٣٤٩).

(٢) رواه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).

إظهار ما يبطن خلفه، وهذا المعنى موجود في صاحب هذه الخصال، ويكون نفاقه في حق من حدثه ووعدته وائتمنه وخاصمه وعاهده من الناس، لا أنه منافق في الإسلام فيظهره وهو يبطن الكفر، ولم يرد النبي ﷺ بهذا أنه منافق نفاق الكفار المخلدين في الدرك الأسفل من النار.

وقوله ﷺ: «كان منافقا خالصا» معناه: شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال. قال بعض العلماء: وهذا فيمن كانت هذه الخصال غالبية عليه، فأما من يندر ذلك منه فليس داخلا فيه، وهذا هو المختار في معنى الحديث<sup>(١)</sup>.

## ٢٨ - تأخير الصلاة عن وقتها:

عن العلاء بن عبد الرحمن أنه دخل على أنس بن مالك رضي الله عنه في داره بالبصرة حين انصرف من الظهر، وداره بجانب المسجد، فلما دخلنا عليه قال: أصليتم العصر؟ فقلنا له: إنما انصرفنا الساعة من الظهر، قال: فصلوا العصر، فقمنا فصلينا، فلما

(١) شرح النووي على مسلم (٢/٤٦-٤٧).

انصرفنا قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيْ الشَّيْطَانِ قَامَ فَتَقَرَّ أَرْبَعًا لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا»<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم: (يؤخرون الصلاة عن وقتها الأول إلى شرق الموتى<sup>(٢)</sup>)، فالصبح عند طلوع الشمس، والعصر عند الغروب، وينقرونها نقر الغراب إذ هي صلاة الأبدان لا صلاة القلوب، ويلتفتون فيها التفات الثعلب إذ يتيقن أنه مطرود مطلوب)<sup>(٣)</sup>.

## ٢٩ - التخلف عن صلاة الجماعة:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (من سرّه أن يلقي الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لبيكم صلواته سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته

(١) رواه مسلم (٦٢٢).

(٢) قال في القاموس (١١٥٨): لم يبق من النهار إلا بقدر ما يبقى من نفس المحتضر إذا شرق بريقه.

(٣) مدارج السالكين (١/٣٥٤).

لتركتكم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف»<sup>(١)</sup>.

قال الشُّمْنِيُّ: (ليس المراد بالمنافق ها هنا من يبطن الكفر ويظهر الإسلام، وإلا لكانت الجماعة فريضة؛ لأن من يبطن الكفر كافر، وكان آخر الكلام مناقضاً لأوله)<sup>(٢)</sup>.

### ٣٠- البذاء والبيان:

عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْحَيَاءُ وَالْعِيَّةُ شُعْبَتَانِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْبَدَاءُ وَالْبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنَ النَّفَاقِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه مسلم (٦٥٤).

(٢) ينظر: عون المعبود (١٧٩/٢).

(٣) رواه الترمذي (٢٠٢٧)، وصححه الحاكم.

قال الترمذي: (والعِيَّ قَلَّةُ الكلام، والبذاء هو الفحش في الكلام، والبيان هو كثرة الكلام، مثل هؤلاء الخطباء الذين يخطبون فيوسَّعون في الكلام، ويتفصَّحون فيه، من مدح الناس فيما لا يُرضي الله).

وقال ابن القيم: (وجملة أمرهم أنهم في المسلمين كالزغل في النقود، يروج على أكثر الناس لعدم بصيرتهم بالنقد، ويعرف حاله الناقد البصير من الناس، وقليل ما هم. وليس على الأديان أضرّ من هذا الضرب من الناس، وإنما تفسد الأديان من قبلهم، ولهذا جَلَّى الله أمرهم في القرآن، وأوضح أوصافهم، وبيّن أحوالهم، وكرّر ذكرهم؛ لشدة المؤنة على الأمة بهم وعِظَم البلية عليهم بوجودهم بين أظهرهم، وفرط حاجتهم إلى معرفتهم والتحرّز من مشابهمهم والإصغاء إليهم، فكم قطعوا على السالكين إلى الله طريق الهدى، وسلكوا بهم سبل الردى، وعدّوهم ومنّوهم، ولكن وعدوهم الغرور، ومنّوهم الويل والثبور)<sup>(١)</sup>.

(١) طريق الهجرتين (٦٠٣).

## ٣١- سماع الغناء:

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: الغناء ينبت النفاق في القلب<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم: (فإن أساس النفاق: أن يخالف الظاهر الباطن وصاحب الغناء بين أمرين إما أن يتهتك فيكون فاجراً أو يظهر النسك فيكون منافقاً، فإنه يظهر الرغبة في الله والدار الآخرة وقلبه يغلي بالشهوات ومحبة ما يكرهه الله ورسوله من أصوات المعازف وآلات اللهو وما يدعو إليه الغناء ويهيجه، فقلبه بذلك معمور وهو من محبة ما يحبه الله ورسوله وكراهة ما يكرهه قفر وهذا محض النفاق... وأيضاً فمن علامات النفاق: قلة ذكر الله، والكسل عند القيام إلى الصلاة، ونقر الصلاة، وقل أن تجد مفتوناً بالغناء إلا وهذا وصفه، وأيضاً: فإن النفاق مؤسس على الكذب، والغناء من أكذب الشعر؛ فإنه يحسن القبيح ويزينه ويأمر به، ويقبح الحسن ويزهد فيه، وذلك عين النفاق، وأيضاً فإن النفاق غش ومكر وخداع، والغناء مؤسس على ذلك<sup>(٢)</sup>.

(١) شعب الإيمان (١٠/٢٢٣).

(٢) إغاثة اللفهان (١/٢٥٠).

## الوقاية من النفاق

حتى يقي المسلم نفسه من النفاق يتحتم عليه التحلي بالصفات الحسنة والأعمال الصالحة، والتي منها:

### ١- التبكير للصلاة وإدراك تكبيرة الإحرام:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: «مَنْ صَلَّى لِهْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الْأُولَى، كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ، بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ وَبَرَاءَةٌ مِنَ النَّفَاقِ»<sup>(١)</sup>.

(براءة من النار) أي خلاص ونجاة منها يقال برأ من الدين والعيب خلص (وبراءة من النفاق) قال الطيبي أي يؤمنه في الدنيا أن يعمل عمل المنافق ويوفقه لعمل أهل الإخلاص، وفي الآخرة يؤمنه مما يعذبه المنافق ويشهد له بأنه غير منافق يعني بأن المنافقين إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى وحال هذا بخلافهم كذا في المرقاة<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه الترمذي (٢٤١)، وحسنه الألباني.

(٢) تحفة الأحوذى (٢/٤٠).

## ٢- حسن الخلق والتفقه في الدين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: «خَصَلَتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُنَافِقٍ حُسْنُ سَمْتٍ، وَلَا فِقْهُ فِي الدِّينِ»<sup>(١)</sup>.  
 (حسن سمت) تحري طرق الخير والتزي بزي الصالحين  
 مع التنزه عن المعائب الظاهرة والباطنة.  
 (ولا فقه في الدين) عطف بلا لأن حسن سمت في سياق  
 النفي فلا لتأكيد النفي المساق<sup>(٢)</sup>.

## ٣- الصدقة:

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه:  
 «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ  
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ  
 نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ  
 عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايَعُ نَفْسَهُ فَمُعْتَقُهَا أَوْ مُؤَبَّقُهَا»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه الترمذي (٢٦٨٤)، وصححه الألباني.

(٢) تحفة الأحوذى (٧/٣٧٨).

(٣) رواه مسلم (٢٢٣).



الصدقة حجة على إيمان فاعلها، فإن المنافق يمتنع منها لكونه لا يعتقدونها فمن تصدق استدل بصدقته على صدق إيمانه<sup>(١)</sup>.

#### ٤ - قيام الليل:

قال قتادة: يقال: قلما ساهر الليل منافق<sup>(٢)</sup>.

وذلك لأن المنافق إنما ينشط للعمل الصالح إذا رآه الناس فإن كان خاليا لم يكن عنده الدافع للعمل الصالح. فإذا قام العبد الليل فهو دليل على عدم نفاقه، وعلى صدقه في إيمانه.

#### ٥ - الجهاد في سبيل الله:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِهِ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ»<sup>(٣)</sup>.

(١) شرح النووي على مسلم (٣/١٠١).

(٢) حلية الأولياء (٢/٣٣٨).

(٣) رواه مسلم (١٩١٠).

قال النووي: (المراد أن من فعل هذا فقد أشبه المنافقين المتخلفين عن الجهاد في هذا الوصف؛ فإن ترك الجهاد أحد شعب النفاق. وفي هذا الحديث أن من نوى فعل عبادة فمات قبل فعلها لا يتوجه عليه من الذم ما يتوجه على من مات ولم ينوها)<sup>(١)</sup>.

### ٦- كثرة ذكر الله:

قال ابن القيم: (إن كثرة ذكر الله ﷻ أمان من النفاق؛ فإن المنافقين قليلو الذكر لله ﷻ، قال الله ﷻ في المنافقين: ﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال كعب: من أكثر ذكر الله ﷻ برئ من النفاق. ولهذا - والله أعلم - ختم الله تعالى سورة المنافقين بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادِكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المنافقون: ٩]، فإن في ذلك تحذيرا من فتنة المنافقين الذين غفلوا عن ذكر الله ﷻ فوقعوا في النفاق.

(١) شرح النووي على مسلم (٥٦/١٣).

وسئل بعض الصحابة رضي الله عنهم عن الخوارج: منافقون هم؟ قال: (لا، المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً). فهذا من علامة النفاق: قلة ذكر الله عجل، وكثرة الأمان من النفاق، والله عجل أكرم من أن يبتلي قلبا ذاكرا بالنفاق، وإنما ذلك لقلوب غفلت عن ذكر الله عجل <sup>(١)</sup>.

## ٢- الدعاء:

عن جبير بن نفير قال: دخلت على أبي الدرداء منزله بحمص، فإذا هو قائم يصلي في مسجده، فلما جلس يتشهد جعل يتعوذ بالله من النفاق، فلما انصرف قلت: غفر الله لك يا أبا الدرداء، ما أنت والنفاق؟ قال: (اللهم غفراً - ثلاثاً -، من يأمن البلاء؟! من يأمن البلاء؟! والله إن الرجل ليفتن في ساعة فينقلب عن دينه) <sup>(١)</sup>.

(١) الوابل الصيب (١١٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٦/٣٨٢) قال الذهبي إسناده صحيح.

٨- حُبُّ الْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ»<sup>(١)</sup>.

٩- حُبُّ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عن زر قال: قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيَّ: أَنَّهُ لَا يُجْبَنِي إِلَّا الْمُؤْمِنُ وَلَا يُبْغِضُنِي إِلَّا الْمُنَافِقُ»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه البخاري (١٧)، ومسلم (٧٤).

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٧٨).

## موقف المسلم من المنافقين

يجب عدم التهاون مع المنافقين، ولا يجوز التقليل من خطرهم، والمنافقون اليوم أشد خطراً منهم على عهد النبي ﷺ.

عن حذيفة بن اليمان رضي عنه قال: إن المنافقين اليوم شر منهم على عهد النبي ﷺ كانوا يومئذ يسرون واليوم يجهرون <sup>(١)</sup>.

والموقف منهم كالتالي:

### ١- عدم طاعتهم:

قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: ١].

قال الطبري: (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ بطاعته، وأداء فرائضه وواجب حقوقه عليك، والانتها عن محارمه وانتهاك حدوده، ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾

(١) رواه البخاري (٧١١٣).

الذين يقولون لك: اطرده عنك أتباعك من ضعفاء المؤمنين بك حتى نجالسك، ﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾ الذين يظهرون لك الإيمان بالله والنصيحة لك، وهم لا يألونك وأصحابك ودينك خبالا، فلا تقبل منهم رأيا، ولا تستشرهم مستنصحا بهم، فإنهم لك أعداء، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ يقول: إن الله ذو علم بما تضره نفوسهم، وما الذي يقصدون في إظهارهم لك النصيحة، مع الذي ينطوون لك عليه، حكيم في تدبير أمرك وأمر أصحابك ودينك، وغير ذلك من تدبير جميع خلقه<sup>(١)</sup>.

## ٢- الإعراض عنهم وزجرهم ووعظهم:

قال الله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنْفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٣٨].

وقال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣].

(١) جامع البيان (٢٠/٢٠٢).

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿أُولَئِكَ﴾ هؤلاء المنافقون الذين وصفت لك - يا محمد - صفتهم، ﴿يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ في احتكامهم إلى الطاغوت، وتركهم الاحتكام إليك، وصدودهم عنك، من النفاق والزيغ، وإن حلفوا بالله ما أردنا إلا إحسانا وتوفيقا، ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَعِظُهُمْ﴾ يقول: فدعهم فلا تعاقبهم في أبدانهم وأجسامهم، ولكن عظمهم بتخويفك إياهم بأس الله أن يجلب بهم، وعقوبته أن تنزل بدارهم، وحذرهم من مكروه ما هم عليه من الشك في أمر الله وأمر رسوله، ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ يقول: مرهم باتقاء الله والتصديق به وبرسوله ووعدده ووعيده<sup>(١)</sup>.

### ٣- عدم المجادلة أو الدفاع عنهم:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ<sup>ع</sup> إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: ١٠٧].

يعنى بذلك جل ثناؤه: ﴿وَلَا تُجَادِلْ﴾ يا محمد فتخاصم

﴿عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ يعني: يخونون أنفسهم، يجعلونها خونة بخيانتهم ما خانوا من أموال من خانوه ماله وهم بنو أبيرق، يقول: لا تخصص عنهم من يطالبهم بحقوقهم، وما خانوه فيه من أموالهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ يقول: إن الله لا يحب من كان من صفته خيانة الناس في أموالهم، وركوب الإثم في ذلك وغيره، مما حرمه الله عليه<sup>(١)</sup>.

#### ٤- النهي عن موالاتهم والركون إليهم:

قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ مَن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِن أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

نزلت في قوم من المسلمين كانوا يخالطون حلفاءهم من اليهود وأهل النفاق منهم، ويصافونهم المودة بالأسباب التي

(١) جامع البيان (٩/ ١٩٠).



كانت بينهم في جاهليتهم قبل الإسلام، فنهاهم الله عن ذلك، وأن يستنصحوهم في شيء من أمورهم<sup>(١)</sup>.

### ٥- جهادهم والغلظة عليهم:

قال الله تعالى: ﴿يَأْيُهَا النَّبِيُّ جَهْدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣].

يقول تعالى ذكره: ﴿يَأْيُهَا النَّبِيُّ جَهْدِ الْكُفَّارَ﴾ بالسيف والسيوف، ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ واختلف أهل التأويل في صفة الجهاد الذي أمر الله نبيه به في المنافقين، فقال بعضهم: أمره بجهادهم باليد واللسان وبكل ما أطاق جهادهم به، وبه قال ابن مسعود رضي الله عنه.

وقوله: ﴿وَأَغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره: واشدد عليهم بالجهاد والقتال والإرعاب<sup>(٢)</sup>.

(١) جامع البيان (٧/ ١٤٠).

(٢) جامع البيان (١٤/ ٣٦٠).

## ٦- تحقيرهم وعدم تسويدهم:

عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ سَيِّدًا، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّدًا فَقَدْ أَسْحَطْتُمْ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ»<sup>(١)</sup>.

## ٧- عدم الصلاة عليهم:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤].

عن عبد الله قال: لما توفي عبد الله بن أبيّ جاء ابنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أعطني قميصك أكفنه فيه وصلّ عليه واستغفر له، فأعطاه قميصه وقال: «إِذَا فَرَّغْتَ مِنْهُ فَأَذِنَّا»، فلما فرغ آذنه به، فجاء ليصليّ عليه، فجذبه عمر، فقال: أليس قد نهاك الله أن تصليّ على المنافقين؟! فقال:

(١) رواه أبو داود (٤٩٧٧) وصححه الألباني.

﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ ، فنزلت: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّا تَأْتِي الْقُبُورَ ﴾ وَلَا تُقِمُّ عَلَىٰ قَبْرِهِ ﴾ . فترك الصلاة عليهم<sup>(١)</sup> .

(١) رواه البخاري (٥٧٩٦).

## الخاتمة

تبين مما سبق ذكره خطورة النفاق، وأنه مرض عضال، وخلق ذميم وصف النبي ﷺ المتخلق به بالغدر والخيانة والكذب والفجور؛ لأن صاحبه يظهر خلاف ما يبطن، فهو يدعي الصدق وهو يعلم أنه كاذب، ويدعي الأمانة وهو يعلم أنه خائن، ويدعي المحافظة على العهد وهو غادر به، ويرمي خصومه بالافتراءات وهو يعلم أنه فاجر فيها، فأخلاقه كلها مبنية على التدليس والخداع، ويخشى على من كانت هذه حاله أن يبتلى بالنفاق الأكبر، ذلك أن النفاق العملي - وإن كان من جملة الذنوب التي لا تخرج العبد من الملة - إلا أنه إذا استحکم بالعبد وحوّل سلوكه إلى حالة من الخداع والتلون المستمر، فربما بلغ به إلى معاملة ربه بما يعامل به خلقه، فينزع من قلبه الإيمان ويبدله نفاقاً، عقوبة منه وزجراً.

نسأل الله أن يصلح فساد قلوبنا وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

محمد صالح المنجد

## اختبر فهمك

بين يديك مستويين من الأسئلة، أسئلة مباشرة وأخرى تحتاج منك إلى تأمل وإمعان نظر.

### أسئلة المستوى الأول المباشرة:

- ١- عرف النفاق في اللغة والشرع؟.
- ٢- ما هي أنواع النفاق؟.
- ٣- ما الفرق بين النفاق الاعتقادي، والنفاق العملي؟.
- ٤- للمنافقين صفات وسمات خاصة، فما هي أبرزها؟.
- ٥- كيف يقي المسلم نفسه من النفاق؟.
- ٦- ما هو الموقف الشرعي من المنافقين؟.

### أسئلة المستوى الثاني الاستنباطية:

- ١- ما الفرق بين النفاق الأصلي والنفاق الطارئ؟.
- ٢- لماذا ظهر النفاق في المدينة ولم يظهر في مكة؟.

٣- قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (الغناء ينبت النفاق في القلب)، وضح ذلك.

٤- ذكر النووي أن العلماء استشكلوا حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن النبي صلوات الله عليه وآله قال: «أربعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»، فما المعنى الصحيح للحديث؟.

٥- اذكر بعضا من أسماء السور التي تحدثت عن النفاق والمنافقين؟.

## المحتويات

٥	.....	مقدمة
٧	.....	تعريف النفاق
٨	.....	أنواع النفاق
١٢	.....	الخوف من النفاق
١٥	.....	صفات المنافقين في الكتاب والسنة
٤٧	.....	الوقاية من النفاق
٥٣	.....	موقف المسلم من المنافقين
٦٠	.....	الخاتمة
٦١	.....	اختبر فهمك
٦٣	.....	المحتويات

سلسلة أعمال القلوب (٧)

العشق



ح) مجموعة زاد للنشر ١٤٣٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المنجد ، محمد صالح

العشق ، محمد صالح المنجد - الخير ١٤٣٠ هـ

٦٤ ص ، ١٧×١٢ سم

ردمك : ٥-١٢-٨٠٤٧-٦٠٣-٩٧٨

١- الحب أ. العنوان

ديوي : ٢١٢,٧ ١٤٣٠/٤٠٤٦

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



للنشر

المملكة العربية السعودية

الخبر - هـ: ٨٦٥٥٣٥٥

جدة - هـ: ٦٩٢٩٢٤٢

ص.ب: ١٢٦٢٧١ جدة: ٢١٣٥٢

www.zadgroup.net

مَجْمُوعَةُ الزَّادِ  
مَجْمُوعَةُ الزَّادِ

سلسلة أعمال القلوب (٧)

# العشق



١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



## مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف  
الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.  
أما بعد:

فإن القلب السليم لا تكون له لذة تامة ولا سرور حقيقي  
إلا في محبة الله سبحانه، والتقرب إليه بما يجب، والإعراض  
عن كل محبوب سواه.

وهذه المحبة هي حقيقة شهادة التوحيد (لا إله إلا الله)، وهي  
ملة الخليل إبراهيم عليه السلام، وسنة خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم.  
وإن من أعظم ما يفسد القلب ويبعده عن الله عز وجل داء  
العشق.

فهو مرض يُردي صاحبه في المهالك، ويبعده عن خير  
المسالك، ويجعله في الغواية، ويضله بعد الهداية.  
وهو ذل في النفس، وران على القلب، وهوان في الدنيا،  
وعذاب في الآخرة.

هو الداء الذي تذوب معه الأرواح، ولا يقع معه  
الارتياح، بل هو بحر هائج من ركبه غرق؛ لأنه لا ساحل له.

فما العشق؟.

وما أنواعه؟.

وهل هو اختياري أم اضطراري؟.

تساؤلات كثيرة أحببنا الإجابة عليها وعلى غيرها من  
خلال هذا الكتاب.

ولا يفوتني أن أشكر كل من ساهم في إعداد هذه المادة  
وإخراجها بالصورة المرضية.

نسأل الله أن يوفقنا لما فيه الخير والصلاح، وأن يسدد  
خطانا لطريق الصواب والفلاح، إنه على كل شيء قدير.

مصحح المنجد

## تعريف العشق

### العشق في اللغة:

(العين، والشين، والقاف) هذه المادة تدل في معناها اللغوي على تجاوز حد المحبة<sup>(١)</sup>.

قال ابن منظور:

(العشق فرط الحب وقيل هو عَجِبَ المحب بالمحجوب)<sup>(٢)</sup>.

وسمي العشق عشقاً لذبول القلب من شدة الهوى، كما تدبّل العسقة إذا قُطعت، وهي شجرة تخضر ثم تدقُّ ثم تصفر.

وقال ابن تيمية:

(المعروف من استعمال هذا اللفظ في اللغة إنما هو في محبة

(١) مقاييس اللغة (٤/٢٦٢).

(٢) لسان العرب (١٠/٢٥١).

جنس النكاح، مثل حب الآدمي مثله ممن يستمتع به، من امرأة، أو صبي، فلا يكاد يُستعمل هذا اللفظ في محبة الإنسان لولده وأقاربه ووطنه وماله ودينه وغير ذلك، ولا في محبة آدمي لغير صورته مثل محبة الآدمي لعلمه ودينه وشجاعته وكرمه وإحسانه ونحو ذلك.

بل المشهور من لفظ العشق هو محبة النكاح ومقدماته، فالعاشق يريد الاستمتاع بالنظر إلى المعشوق، وسماع كلامه، أو مباشرته بالقبلة والحس والمعانقة أو الوطء<sup>(١)</sup>.

### وفي هذا الكلام فائدتان:

#### الفائدة الأولى:

أن العلاقة بين العبد والرب لا يجوز أن يطلق عليها عشق أبداً، كما أطلق المنحرفون من الصوفية والملاحدة كابن عربي وابن سبعين وغيرهما ذلك على الله عز وجل، فقالوا: إن

(١) قاعدة في المحبة (٥٤-٥٥).

العشق والعاشق والمعشوق شيء واحد، وقالوا بأن الله سبحانه وتعالى قد اتحد في خلقه فصار هؤلاء شيئاً واحداً، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً!.

### الفائدة الثانية:

لا يقال: فلان عشق عالماً، ولا عشقت في فلان علمه وخلقه ودينه، فهذه عبارات غير مستعملة؛ لأن العشق مرتبط بالشهوة والعلاقات الشهوانية.



## أنواع العشق

العشق يقع بين طرفين: عاشق ومُعشوق، قد يكون كل منهما عاشقاً لصاحبه، وقد يكون العشق من طرف واحد.

وهناك أمثلة كثيرة في التاريخ على العشق من طرفين كقيس وليلى، وعنتره وعبلة، وجميل بثينة، وكثير عزة وغيرهم، ممن كانت حرارة العشق ولوعته موجودة عند كلا الطرفين، كما في قول الشاعر:

عَيْنَاكِ شَاهِدَتَانِ أَنَّكَ مِنْ  
حَرِّ الْهَوَى تَجِدِينَ مَا أَجْدُ  
بِكِ مَا بِنَا لَكِنْ عَلَى مَضْضٍ  
تَتَجَلَّدِينَ وَمَا بِنَا جَلْدٌ<sup>(١)</sup>

والعشق الذي يكون من طرف واحد قد ورد له مثال في السنة النبوية، وذلك في قصة بريرة رضي الله عنها مع زوجها مُغيث

رضي الله عنه، فإن بريرة كانت أمة، فلما عتقت خيرها النبي ﷺ بين أن تبقى مع زوجها أو تعتق، فاختارت العتق، وللمرأة الحق شرعاً في ذلك إن عتقت وزوجها عبد، وكان مغيث يجب بريرة حباً عظيماً، فلما اختارت الانفصال تأثر لفراقها كثيراً.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كأني أنظر إلى مغيث يطوف خلفها يبكي، ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبي ﷺ لعباس رضي الله عنه: «يَا عَبَّاسُ، أَلَا تَعَجَّبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثِ بَرِيرَةَ، وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا». فقال النبي ﷺ: «لَوْ رَأَيْتَهُ». قالت: يا رسول الله، تأمرني؟ قال: «إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ». قالت: لا حاجة لي فيه <sup>(١)</sup>.

فهذا العشق وقع بين اثنين يباح بينهما الحب؛ لأنهما زوجان، وقد يقع العشق بين طرفين لا يباح بينهما ذلك، كما هو الحال في كثير من علاقات الحب والعشق المحرمة.

(١) رواه البخاري (٥٢٨٣).

## والعشق أربعة أنواع باعتبار أطرافه:

**النوع الأول: عشق الرجال للنساء، وهو الأعم الأغلب.**

وإذا قلنا إن فيه نوعاً مباحاً فهو علاقة النكاح بين الرجل وزوجته، أو علاقة التسري بين السيد والأمة، فإذا لم يصل إلى درجة تمس العبودية، أو ارتكب لأجله المحرمات، أو ترك لأجله الطاعات؛ فإنه يبقى في دائرة المباح.

**النوع الثاني: عشق النساء للرجال، وهو كسابقه له**

حالات جائزة، وله حالات محرمة، من الحالات المحرمة ما أخبرنا به الله سبحانه وتعالى في كتابه عن قصة امرأة العزيز مع يوسف عليه السلام، فكان منه عفة وصبر وتقوى، وكان منها العشق والمطاردة والحرص على إيقاعه في الحرام.

وقد كان الداعي لديه قوياً، وثبته الله تعالى، فقد كان فيه ميل طبيعي إلى المرأة بما ركبه الله في طبعه كرجل من الميل إلى النساء، وكان شاباً، عزباً، في بلاد غربة، وكانت المرأة ذات منصب وجمال، وغير آبية ولا ممتنعة بل هي الداعية له، وأسقطت الحواجز النفسية، وهو في دارها، وتحت سلطانها، وهو عبد

عندها فلا يخشى على نفسه التهمة، بل يدخل ويخرج دارها بحكم عمله عندها، واستعانت عليه بمن حولها من نساء بلدها، وتوعدته بالسجن والصغار، إن لم يلبي طلبها.

بالرغم من هذا كله فإن يوسف عليه السلام قد أثر مرضاة الله تعالى، واختار السجن على الزنا، وقال: ﴿رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣]، وصرَّف الله تعالى عنه كيدها وكيدهن، وكانت في تلك الواقعة عبرة عظيمة وفوائد كثيرة.

**النوع الثالث: عشق الرجال للرجال**، وهو ممقوت عند الله، وجالب لغضبه وسخطه، وهو من أضر الأمور على العاشق والمعشوق في الدين والدنيا والآخرة.

ومن هذا النوع عشق الرجال للمردان، وعمل قوم لوط الذين جلبوا لأنفسهم نقمة الله وعذابه بما فعلوا من هذه الجريمة العظيمة المتولدة من عشق الذكران، حتى وصف الله تعالى عشقهم بأنه سكر فقال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]. إنه انتكاس للفطرة، وانحراف للطبع.

**النوع الرابع: عشق النساء للنساء،** وهذا النوع كسابقه في الجرم والمقت والدناءة والخبسة، وكشفت إحدى الدراسات أن السبب الرئيس في انتشاره هو التعلق والإعجاب، وهو مؤذن بفساد مريع، وتدهور أخلاقي شنيع.

### **وهناك مظاهر تدل على العشق، منها:**

- ١ - محاولة إخفاء العلاقة والإسرار بها.
- ٢ - إطالة الجلوس مع المعشوق.
- ٣ - احتفاظ كل من الطرفين بأسراره عند الآخر.
- ٤ - التلغظ بعبارات تدل على الحب والغلو في هذه العلاقة.
- ٥ - التصريح بالغيرة عليه.
- ٦ - تقبل كل ما يصدر منه حتى لو كان فيه إساءة أو معصية.
- ٧ - كثرة مخالطته، ومحبة الانفراد به.

## هل العشق اختياري أم اضطراري؟

نسمع كثيراً ممن يشتكون من داء العشق ويقولون: إنهم لا يستطيعون ترك من يحبونهم، وأن الموت أهون عليهم من تركهم. وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال: هل العشق اختياري أم اضطراري؟.

حاول العشاق قديماً أن يعذروا أنفسهم بأن العشق اضطراري، وأنه لا حيلة لهم في هذا العشق، ومن ذلك قول الشاعر:

يَلُومُونَنِي فِي حُبِّ سَلَمَى كَأَنَّمَا  
يَرُونَ الْهَوَى شَيْئاً تَيَمَّمْتُهُ عَمْدًا  
أَلَا إِنَّهُ الْحُبُّ الَّذِي صَدَعَ الْحَشَا  
قَضَاءٌ مِنَ الرَّحْمَنِ يَبْلُو بِهِ الْعَبْدَا<sup>(١)</sup>

ومقصدهم بيان أن العشق قضاء وقدر، وهو بيد الله لا بيد المخلوق.

والحق كما ذكر ابن القيم وغيره من العلماء: أن مبادئ العشق وأسبابه اختيارية داخلية تحت التكليف، وأن العاشق يتعمد العشق بالنظر والتفكير والتعرض للمعشوق، فيما أن الأسباب حصلت من العاشق فهو المتسبب في العملية، كما قيل:

تَوَلَّعَ بِالْعِشْقِ حَتَّى عَشِقُوا      فَلَمَّا اسْتَقَلَّ بِهِ لَمْ يُطِئِقْ  
رَأَى جُذَّةً ظَنَّهَا مَوْجَةً      فَلَمَّا تَمَكَّنَ مِنْهَا غَرِقَ  
تَمَّتِ الْإِقَالَةَ مِنْ ذَنْبِهِ      فَلَمْ يَسْتَطِعْهَا وَلَمْ يَسْتَطِقْ<sup>(١)</sup>

وهذا بمنزلة السكر من شرب الخمر؛ فإن تناول المسكر في أول الأمر اختياري، ولكن ما يتولد عنه بعد ذلك من ذهاب العقل يكون اضطراراً، فلما كان السبب وقع باختياره أولاً لم يكن معذوراً فيما تولد عنه.

(١) ذم الهوى (٥٨٦).

ولما كانت متابعة النظر واستدامة الفكر في هذا الذي أُعجب  
به، ثم تعلق به، ثم عشقه، اختيارية؛ فإنه يكون ملوماً على  
عشقه.



## خطر العشق

إن بعض العشاق يدعون أن العشق يسمو بالنفس، ويصعد بالروح، ويجعلون العشق شيئاً إيجابياً، والحق أن العشق سلبياته أكثر من إيجابياته.

قال ابن تيمية:

(فإن الذي يورثه العشق من نقص العقل والعلم، وفساد الخلق والدين، والاشتغال عن مصالح الدين والدنيا، أضعاف ما يتضمنه من جنس المحمود، وأصدق شاهد على ذلك ما يُعرف من أحوال الأمم، وسماع أخبار الناس؛ فهي تُغني عن المعاينة والتجريب، ومن جرب ذلك أو عاينه اعتبر بما فيه الكفاية، فلم يوجد قط عشق إلا وضرره أعظم من منفعته)<sup>(١)</sup>.

(١) الاستقامة (١/٤٥٩).

## فمن أضرار العشق وسلبياته:

### ١- أن العشق ربما أوقع صاحبه في الكفر بالله:

قال ابن القيم عن العشق: (وهو أقسام: وهو تارة يكون كفراً، كمن اتخذ معشوقه نداً يحبه كما يحب الله، فكيف إذا كانت محبته أعظم من محبة الله في قلبه؟! فهذا عشق لا يغفر لصاحبه، فإنه من أعظم الشرك، والله لا يغفر أن يشرك به.

وعلاوة هذا العشق الكفري الشركي: أن يقدم العاشق رضا معشوقه على رضا ربه، وإذا تعارض عنده حق معشوقه وحق ربه وطاعته قدم حق معشوقه على حق ربه، وأثر رضاه على رضاه، وبذل لمعشوقه أنفس ما يقدر عليه، وبذل لربه أردي ما عنده، واستفرغ وسعه في مرضاة معشوقه وطاعته والتقرب إليه، وجعل لربه الفضلة التي تفضل عن معشوقه من ساعته.

فتأمل حال أكثر عشاق الصور تجدها مطابقة لذلك، ثم ضع حالهم في كفة، وتوحيدهم وإيمانهم في كفة، ثم زن وزناً يرضى الله به ورسوله ويطابق العدل!.

وربما صرح العاشق منهم بأن وصل معشوقه أحب إليه  
من توحيد ربه، كما قال أحدهم:

يَتَرَشَّفْنَ مِنْ فَمِي رَشَفَاتٍ  
هُنَّ أَحَلَى فِيهِ مِنَ التَّوْحِيدِ

وكما صرح الآخر بأنَّ وَصَلَ معشوقه أشهى إليه من رحمة  
ربه- والعياذ بالله من هذا الخذلان:-

رِضَاكَ أَشْهَى إِلَيَّ فُؤَادِي  
مِنْ رَحْمَةِ الْخَالِقِ الْجَلِيلِ

ولا ريب أن هذا العشق من أعظم الشرك.

وكثير من العشاق يصرح بأنه لم يبق في قلبه موضع لغير  
معشوقه ألبته، بل قد ملك عليه معشوقه قلبه كله فصار عبداً  
مخلصاً له من كل وجه، فقد رضي هذا بعبودية مخلوق مثله على  
عبودية الخالق -جل جلاله- ؛ فإن العبودية هي كمال الحب  
والطاعة والخضوع، وهذا قد استغرق قوة حبه وخضوعه وذلك  
لمعشوقه، فقد أعطاه حقيقة العبودية، ولا نسبة بين مفسدة هذا  
الأمر العظيم ومفسدة الفاحشة؛ فإن تلك ذنب كبير لفاعله،

حكمه حكم أمثاله، ومفسدة هذا العشق مفسدة الشرك!.

وكان بعض الشيوخ يقول: لئن أُبتلى بالفاحشة مع تلك الصورة أحب إلى من أن أُبتلى فيها بعشق يتعبد لها قلبي ويشغله عن الله<sup>(١)</sup>.

وهذا مجنون عزة يصف ما انتكس إليه قلبه فيقول:

رُهْبَانُ مَدِينٍ وَالَّذِينَ عَاهَدْتَهُمْ  
يَبْكَونَ مِنْ حَذَرِ الْعَذَابِ قُعودًا  
لَوْ يَسْمَعُونَ كَمَا سَمِعْتَ حَدِيثَهَا  
خَرُّوا الْعِزَّةَ رُكْعًا وَسُجُودًا<sup>(٢)</sup>

وهذا رجل ببغداد يقال له صالح المؤذن أذن أربعين سنة، وكان يُعرف بالصلاح، روي أنه صعد يوماً إلى المنارة ليؤذن، فرأى بنت رجل نصراني - كان بيته إلى جانب المسجد - فافتتن بها، فجاء فطرق الباب، فقالت: من؟ فقال: أنا صالح المؤذن،

(١) الجواب الكافي (١٥٠).

(٢) وفيات الأعيان (٤/١١٢).

ففتحت له، فلما دخل ضمها إليه، فقالت: أنتم أصحاب الأمانات، فما هذه الخيانة؟ - لأن المؤذن مؤتمن على أعراض الناس؛ حيث يصعد على المنارة وسطح المسجد، فيرى البيوت من حوله - قال: إن وافقتني على ما أريد وإلا قتلتك. فقالت: لا، إلا أن تترك دينك. فقال: أنا برئ من الإسلام ومما جاء به محمد. ثم دنا إليها فقالت: إنما قلت هذا لتقضي غرضك ثم تعود إلى دينك، فكل من لحم الخنزير؟ فأكل، قالت: فاشرب الخمر؟ فشرب، فلما دبَّ الشراب فيه دنا إليها، فدخلت بيتاً وأغلقت الباب، وقالت: اصعد إلى السطح، حتى إذا جاء أبي زوجني منك. فصعد السطح فزلَّت رجله فسقط فمات، فخرجت فلفته في خرقة، فجاء أبوها فقصت عليه القصة، فأخرجه في الليل فرماه في السكة، فاشتهر حديثه عند الناس، فرمي في مزبلة<sup>(١)</sup>.

وقال ابن القيم: (وإذا أراد النصارى أن يُنصِّروا الأسير أروه امرأة جميلة، وأمروها أن تطمعه في نفسها، حتى إذا تمكن حبها من قلبه بذلت له نفسها إن دخل في دينها، فهناك

(١) ذم الهوى (٤٥٩).

يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت)<sup>(١)</sup>.

## ٢- استعمال العاشق شتى الوسائل لوصال معشوقه:

إن العاشق يسعى للنيل من معشوقه بشتى الوسائل، وربما استعان العاشق على وصال المعشوق بشياطين الجن عن طريق السحر، وهذا موجود في الواقع، و معلوم لدى الناس.

فلأجل أن يصل إلى هذا المعشوق يستخدم العاشق السحر ليخضع المعشوق له، فيأتيه متى ما يريد، ولا يحتاج منه، ولا يمتنع عنه، وهذه طامة عظيمة؛ لأن السحر كُفر بالله العظيم.

## ٣- اشتغال العاشق بذكر المخلوق عن ذكر الخالق:

من مفسد العشق: اشتغال العاشق بذكر المخلوق وحبه عن حب الرب وذكره؛ لأنه لا يجتمع في القلب حب الخالق وعشق المخلوق، بل لا بد أن يقهر أحدهما الآخر.

ولذلك فإن أصحاب العشق الشيطاني لهم من تولي الشيطان

(١) الجواب الكافي (١٥٥).

نصيب عظيم، ترى كثيراً منهم عبداً لذلك المعشوق، يصرّح في حضوره ومغيبه أنه عبده!

ويتنشر هذا الداء عند أصحاب الغناء، فإنهم يصرّحون في أغانيهم بأنهم عبيدٌ لمن يحبونه ويعشقونه، بل قد يعبرّون عن ذلك بالصلاة والعبادة.

وهذا العاشق يقدم رضا معشوقه على رضا ربه، ولقاء معشوقه على لقاء ربه، ويتمنى قرب معشوقه أعظم من تمنيه قرب الرب سبحانه، ويهرب من سخط معشوقه أشد من هربه من سخط الرب سبحانه، وقد يُسخط ربه لمرضاة معشوقه، ويقدم مصالح معشوقه على طاعة ربه، فإن فضل من وقته فضلة وكان عنده قليل من الإيمان صرف تلك الفضلة في طاعة ربه، وإن استغرق الزمان حوائج معشوقه ومصالحه صرف زمانه كله فيها وأهمّل أمر الله.

يجود لمعشوقه بكل نفيسة ونفيس، ويجعل لربه من ماله - إن جعل له - كل رذيلة وخسيس، فلمعشوقه لبه وقلبه وهمّه ووقته وخالص ماله، ولربه الفضلة! قد اتخذته وراءه ظهرياً،

وصار لذكره نسيّاً، إن قام في خدمته في الصلاة فلسانه يناجيه  
وقلبه يناجي معشوقه، وإن وجّه بدنه إلى القبلة فقلبه موجه  
إلى معشوقه.

ينفر من خدمة ربه حتى كأنه واقف في الصلاة على الجمر  
من ثقلها عليه، فإذا جاءت خدمة المعشوق أقبل عليها بقلبه  
وبدنه فرحاً بها، ناصحاً له فيها، خفيفة على قلبه لا يستقلها  
ولا يستطيلها.

ولا ريب أن هؤلاء من الذين اتخذوا من دون الله أنداداً  
يحبونهم كحب الله، وهذا مجنون ليلي يقول:  
أَرَانِي إِذَا صَلَّيْتُ يَمَّمْتُ نَحْوَهَا  
بِوَجْهِهِ وَإِنْ كَانَ الْمُصَلِّي وَرَائِيَا  
وَمَا بِي إِشْرَاكٌ وَلَكِنَّ حُبَّهَا  
كَعَظْمِ الشَّجِي (١) أَعْيَا الطَّيِّبِ الْمُدَاوِيَا (٢)

(١) عظم الشجي: هو العظم المعترض في الخلق، والذي يصعب إخراجه،  
كحسك السمكة.

(٢) ذم الهوى (٤٠٣-٤٠٤).



## ٤- عذاب قلب العاشق:

فإن من أحب شيئاً غير الله عُدَّ به ولا بُد، كما قيل:  
 فَمَا فِي الْأَرْضِ أَشَقَى مِنْ مُحِبِّ  
 وَإِنْ وَجَدَ الْهُوَى حُلُوَ الْمَذَاقِ  
 تَرَاهُ بَاكِياً فِي كُلِّ حِينٍ  
 مَخَافَةَ فُرْقَةٍ أَوْ لِاشْتِيَاقٍ<sup>(١)</sup>

والعشق وإن استلذ به صاحبه فهو من أعظم العذاب،  
 والعاشق قلبه أسيرٌ في قبضة معشوقه، يسومه سوء الهوان، يحرکه  
 يميناً وشمالاً، يستجيب له كالطفل الذي يحرك الآلة بجهاز  
 التحكم، ولكن لسكرة العشق لا يشعر بالمصيبة، فقلبه:

كِعْصْفُورَةٍ فِي كَفِّ طِفْلِ يَسُومُهَا  
 حِيَاضَ الرَّدَى وَالطِّفْلُ يَلْهُو وَيَلْعَبُ<sup>(٢)</sup>

(١) ذم الهوى (٥٩٢).

(٢) معجم الشعراء (١١٤).

والعاشق كما قيل:

طَلِيقٌ بِرَأْيِ الْعَيْنِ وَهُوَ أَسِيرٌ  
عَلِيلٌ عَلَى قُطْبِ الْهَلَاكِ يَدُورُ  
وَمَيِّتٌ يَرَى فِي صُورَةِ الْحَيِّ غَادِيًا  
وَلَيْسَ لَهُ حَتَّى النُّشُورِ نُشُورٌ  
أَخُو غَمَرَاتٍ ضَاعَ فِيهِنَّ قَلْبُهُ  
فَلَيْسَ لَهُ حَتَّى الْمَمَاتِ حُضُورٌ<sup>(١)</sup>

##### ٥- اشتغال العاشق عن مصالح دينه ودنياه:

فليس شيء أضيع للدين ومصالح الدنيا من عشق الصور.  
أما ضياع الدين فلأن هذا الإنسان قد تفرق قلبه عن الله  
بالعشق، فلا يجد وقتاً لمرضاة ربه.  
وأما مصالح الدنيا فهي تابعة لمصالح الدين، فإذا انشغل  
عن مصالح الدين فعن مصالح الدنيا أشد شغلاً وتفریطاً.

(١) الجواب الكافي (١٥١).

## ٦- أن آفات الدنيا والآخرة أسرع إلى العشاق من النار في الحطب اليابس:

وسبب ذلك: أن القلب كلما قرب من العشق وقوي اتصاله بالمعشوق بُعد عن الله، فأبعد القلوب عن الله قلوب العشاق، وإذا بُعد القلب عن الله طرقت الآفات، وتولاه الشيطان من كل ناحية، ومن تولاه عدوه واستولى عليه لم يدع أذىً يمكنه إيصاله إليه إلا أوصله.

فما الظن بقلبٍ تمكن منه عدوه وأحرص الخلق على غيه وفساده؟! وكذلك فإن العشق إذا تمكن من القلب واستحكم، أفسد العقل، وأفسد الذهن، وأحدث الوسواس، وأفقد القدرة على التفكير، ولذلك تراه لا يتقن درساً، ولا يفلح في تجارة، ولا يحسن النظر في قضية، ولا يجيد حلَّ مشكلة؛ لأن التفكير قد شلَّ، والقلب قد علاه الران، فلم يعد يدرى كيف يفكر!.

وأشرف ما في الإنسان عقله، وبه يتميز عن البهائم، فإذا عَدِم العقل وفقده التحق بالبهائم، وربما كان حال الحيوان أصلح من حاله.

وهل أذهب عقل مجنون ليلي وأضرَّ به إلا العشق؟!.

بل زاد جنونه على جنون غيره:

قَالُوا جُنِنْتَ بِمَنْ تَهَوَى فَقُلْتَ لَهُمْ

العِشْقُ أَعْظَمُ مِمَّا بِالْمَجَانِينِ

العِشْقُ لَا يَسْتَفِيقُ الدَّهْرَ صَاحِبَهُ

وَإِنَّمَا يُصْرَعُ المَجْنُونُ فِي الحِينِ<sup>(١)</sup>

أما الفساد المعنوي: فهو فساد القلب، والقلب إذا فسد فسدت العين والأذن واللسان، والقلب الفاسد يُري صاحبه القبايح محاسن، ويُعمي العشق عين القلب عن رؤية مساوي المحبوب المعشوق، وعن تبصر عيوبه، فلا ترى عين العاشق أبداً عيوب المعشوق، فيصم أذنه عن الإصغاء إلى أي قادح فيه ومنبهٍ على أخطائه، ويستमित في الدفاع عنه، ولو كان خطأ المعشوق واضحاً.

ولما بلغ السيل الزبى، وبلغ به هذا المبلغ، لم يُعد يرتضي أن

(١) مجموع الفتاوى (١٥/٤٢٥).

يقدر في معشوقه أحد، أو أن يذمه أحد، أو أن ينتقده أحد،  
فيدافع عنه بالحق والباطل، ويستमित في ذلك.

والرغبات تستر العيوب، فالراغب في الشيء لا يرى عيوبه،  
حتى إذا زالت الرغبة أبصر العيوب، وكانت هذه الرغبة  
ستاراً يُغشي البصر، ولذلك قال ذاك العاشق:

عَلِقْتُكَ إِذْ عَيْنِي عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ

فَلَمَّا انْجَلَّتْ قَطَّعْتُ نَفْسِي أَلْوَمُهَا<sup>(١)</sup>

فعندما كان عاشقاً كانت عليه غشاوة، وبعد أن ذهب عنه  
ذلك العشق أصبح يتساءل: كيف كنت معجباً بهذه؟.

وهكذا.. فإن الداخل في الشيء لا يرى عيوبه، والذي هو  
خارجه لا يرى عيوبه أيضاً، فلا يرى عيوبه إلا من دخل فيه  
ثم خرج منه، ولكن الذي يدخل العشق ويخرج منه قليل جداً.

(١) ذم الهوى (٣٣٢).

## لماذا كان الصحابة الذين دخلوا في الإسلام بعد الكفر خيراً من الذين ولدوا في الإسلام؟

لأنهم عرفوا الكفر ورأوه وذاقوه ومارسوه، ثم بعد ذلك اهتدوا، فعرفوا الجاهلية وعرفوا الإسلام، وهذا معنى قول عمر رضي الله عنه: (إنما تنتقض عُرى الإسلام عروةً عروةً إذا ولد في الإسلام من لا يعرف الجاهلية).

وأما إفساد العشق للحواس فشيء ظاهر؛ فإنها تمرض كما يمرض البدن، فبدن العاشق تنسل منه العافية، فترى العاشق نحيلاً مريضاً كثيراً هزياً ضعيفاً طريح الفراش، لا يستطيع أداء عمل، ولا إفادة أحد.

رُفع إلى ابن عباس رضي الله عنهما شاب عاشق وكان ابن عباس بعرفة، وقد انتحل الشاب حتى صار جلدًا على عظم، فقال: ما شأن هذا؟ قالوا: به العشق، فجعل ابن عباس رضي الله عنهما يتعوذ من العشق سائر يومه في عرفة<sup>(١)</sup>.

(١) مدارج السالكين (٣/ ٢٩).

فَمِنْ فَرَطِ الْمَحَبَّةِ يَسْتَوْلِي الْعَشْقُ عَلَى قَلْبِ الْمَعْشُوقِ، حَتَّى لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْسَلِخَ مِنْ مَحْبُوبِهِ، وَلَا أَنْ يَتْرَكَ التَّفْكَيرَ فِيهِ، فَصُورَةٌ مَحْبُوبِهِ دَائِمًا فِي ذَهْنِهِ، دَائِمًا عَلَى لِسَانِهِ، يَرَاهُ فِي مَنَامِهِ، وَيَتَخِيلُهُ فِي يَقْظَتِهِ، يَصْحُو عَلَى ذِكْرِهِ وَيَنَامُ عَلَى صُورَتِهِ، وَلَا يَغِيبُ عَنْ خَاطِرِهِ.

تَتَعَطَّلُ قَوَاهِ الْجَسَدِيَّةِ، وَتَفْسُدُ رُوحُهُ، وَتَتَغَيَّرُ أَعْمَالُهُ، وَتَتَقَلَّبُ صِفَاتُهُ، وَتَتَعَكَّسُ مَقَاصِدُهُ، وَيَجِدُّ لَدَيْهِ اخْتِلَالٌ عَقْلِيٌّ وَجَسَدِيٌّ وَرُوحِيٌّ.

وَهُوَ مَرِيضٌ مِنْ أخطرِ الْأَمْرَاضِ، فَلَا تَكَادُ تَرَى لَهُ دَوَاءً، وَلَا طَبِيبًا.

الْحُبُّ أَوَّلُ مَا يَكُونُ لِحَاجَةٍ  
يَأْتِي بِهَا وَتَسْوِقُهُ الْأَقْدَارُ  
حَتَّى إِذَا خَاصَّ الْفَتَى لُحْجُ الْهُوَى  
جَاءَتْ أُمُورٌ لَا تُطَاقُ كِبَارُ<sup>(١)</sup>

(١) ذم الهوى (٣٣٤).

العشق مبدؤه سهل حلو، وأوسطه هم وشغل قلب وسقم،  
وآخره عطب وقتل، ولذلك وصل الحال ببعض العشاق إلى  
الموت بسبب العشق.

هناك عشاق ماتوا، لا زالوا يذبلون ويذبلون، لا يشتهون  
طعاماً، ولا يذوقون راحة، حتى ماتوا.

وَعِشْ خَالِيًا فَالْحُبُّ أَوْلُهُ عَنَا

وَأَوْسَطُهُ سُقْمٌ وَآخِرُهُ قَتْلٌ<sup>(١)</sup>

والمسألة يجني بها العاشق على نفسه، بدايتها منه، وأسبابها  
منه، وهو الذي أرادها، ومشى إليها، وسعى فيها.

هو الذي تعمد النظر، وهو الذي قصد التفكير، وهو الذي  
استدام طول المجالسة، وكثرة الحديث مع هذا المعشوق،  
حتى وصلت القضية إلى العشق.

فالمسألة كانت بيده أولاً، وكان من الممكن أن يرجع قبل الغرق  
في بحر العشق، لكن بعدما صار في لجج الهوى كيف يرجع؟.

(١) روضة المحبين (١٤١).



لو أدخلت فرسك في زقاق ضيق جداً فمن الممكن أن ترجع إلى الخلف في بداية الزقاق بشيء بسيط من الجهد، لكن إذا أصبحت في وسط الزقاق وقد أبعدت وأوغلت، فكيف ترجع؟.

إن الدابة لا تستطيع الدوران للرجوع، ولا تستطيع أن تمشي إلى الخلف.

ولذلك فإن من دخل في هذا الموضوع لا يستطيع أن يتركه إلا بتوفيق الله.

#### ٧- فساد سيرة العاشق بين الناس:

إن هذا العاشق يضر بسيرته وسمعته عند الناس، فتصبح سيرته على كل لسان، ويتناقل الناس قصصه متلذذين شامتين، وربما افتروا عليه فيها ليكملوا القصة ويمسحوا، وقد يتهموه بالفاحشة وغير ذلك.

#### ٨- استغلال المعشوق العاشق أحياناً:

ربما يستغل بعض هؤلاء المعشوقين تلك العلاقة المحرمة،

ويستغلون العاشق استغلالاً بشعاً، فيأخذون أمواله وبعض ممتلكاته.

تحدثت إحدى العوائل عن ابنها الذي سافر إلى بلدٍ من البلدان، وعشق امرأة هناك، طارت بلبه، وذهبت بعقله، فأنفق عليها الكثير من أمواله في المطاعم، والفنادق، والهبات، والأعطيات، والملابس، والحلي وغير ذلك، حتى رجع مفلساً. وقد يدخل بعضهم السجن بسبب السرقة أو الاقتراض من أجل محبوبته.

### ٩- العشق ربما أدى إلى القتل وارتكاب الجرائم:

فكم للعشق من قتيل من الجانبين!.

فربما عمد العاشق إلى قتل أي طرف آخر يقترب من معشوقه أو معشوقته!.

فهذا العشق كم قد أزال من نعمة، وأفقر من غنى، وأسقط من مرتبة، وشتت من شمل، وكم أفسد من أسر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

### ١٠- عدم التوفيق للخاتمة الحسنة:

ومن مفسد العشق: عدم توفيق العاشق للخاتمة الحسنة إلا أن يتغمده الله برحمته، وإذا كان العبد في حال حضور ذهنه وقوته وكمال إدراكه قد يخدعه الشيطان، فكيف إذا صار غافلاً عن ذكر الله؟.

وكيف إذا نزل به الموت، وسقطت قواه، واشتغل قلبه بآلم النزع، واجتمع عليه كيد إبليس، وحشد عليه كل ما يقدر لينال الفرصة النهائية بخروجه من الدنيا، فهل يسلم العاشق عند ذلك في هذه اللحظة من الضعف؟!.

هنالك ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

والسؤال هو: كيف يوفق لحسن الخاتمة من غفل قلبه عن ذكر الله، واتبع هواه وكان أسيراً للشهوات والموبقات؟!.

من كانت جوارحه معطلة عن طاعة الله، ولسانه بعزل عن ذكر الله، وكان مشغولاً بالمعصية وخدمة المعشوق، كيف تكتب له العاقبة الحسنة؟!.

وقصة صاحب منجباب الذي مات على ذكر محبوبته واعظ<sup>ه</sup>  
لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

روي أن رجلاً نزل به الموت فقيل له: قل: لا إله إلا الله.  
فجعل يقول: أين الطريق إلى حمام منجباب؟.

وقصته أنه كان واقفاً على باب داره، وكان بابه يشبه باب  
حمام، فمرت به جارية لها منظر جميل وهي تقول: أين الطريق  
إلى حمام منجباب؟ فقال لها: هذا حمام منجباب. وأشار إلى  
داره، فدخلت الدار، فدخل وراءها، فلما رأت نفسها معه في  
داره وليست بحمام علمت أنه خدعها، فأظهرت له البشر  
والفرح باجتماعها معه على تلك الخلوة في تلك الدار، وقالت  
له: يصلح أن يكون عندنا ما يطيب به عيشنا، وتقر به عيوننا،  
فهلا جئت بشيء من الطعام. فقال لها: الساعة آتيك بكل ما  
تريدين، وبكل ما تشتهين. وخرج، فتركها في الدار ولم  
يغلقها، وتركها مفتوحة على حالها، ومضى، فأخذ ما يصلح  
لها، ورجع ودخل الدار فوجدها قد خرجت وذهبت، ولم  
يجد لها أثراً، فهام الرجل بها، وأكثر الذكر لها والجزع عليها،  
وظل يمشي في الطرق والأزقة وهو يقول:

يَا رَبَّ قَائِلَةٍ يَوْمًا إِذَا بَلَغَتْ  
أَيْنَ الطَّرِيقِ إِلَى حَمَامٍ مَنجَابٍ

وبعد أشهر مر في بعض الأزقة وهو ينشد هذا البيت،  
وإذا بجارية تجاوبه من طاق وهي تقول:

هَلَّا جَعَلْتَ هَهَا إِذْ ظَفِرْتَ بِهَا  
حِرْزًا عَلَى الدَّارِ أَوْ قُفْلًا عَلَى البَابِ

فزاد هيئانه، واشتد هيجانه، ولم يزل كذلك حتى مات  
على الحال التي ذكرنا، فنعوذ بالله من المحن والفتن<sup>(١)</sup>.

وقريب منه:

ذلك الذي كان يعشق شاباً اسمه أسلم، واشتد به الأمر  
إلى أن أصابه المرض بسبب فراقه، وحضرته الوفاة، فقيل له:  
قل لا إله إلا الله. فقال:

أَسْلَمُ يَا رَاحَةَ البَالِ العَلِيلِ  
وَيَا شِفَاءَ المَذْنِبِ النَّحِيلِ

(١) العاقبة في ذكر الموت (١٧٩-١٨٠).

رِضَاكَ أَشْهَى إِلَيَّ فُؤَادِي  
مِنْ رَحْمَةِ الْخَالِقِ الْجَلِيلِ

ومات على هذه الكلمة<sup>(١)</sup>.

### ١١- فساد العقل:

العشق قد يفسد العقل، فترى الناس في وادٍ والعاشق في وادٍ آخر، دائم التفكير بمحبوبه، فلا يستطيع أن يستفيد من عقله، ولا يُفيد أحداً بفائدة.  
بل إنه ربما جعل دواءه داءه!.

(١) ذم الهوى (٥٦٠).

## أسباب العشق

للقوع في العشق أسباب عديدة منها:

### ١- إعراض القلب عن محبة الله:

قال العلماء عن العشق: (العشق حركة قلب فارغ)<sup>(١)</sup>.

والقصد أن القلب لو كان فيه محبة الله لا يمكن أن يدخله العشق، فالعشق إنما تُبتلى به القلوب الفارغة من محبة الله.

قال ابن القيم: (ومن أعظم الأشياء ضرراً على العبد بطالته وفراغه، فإن النفس لا تقعد فارغة بل إن لم يشغلها بما ينفعها شغلته بما يضره ولا بد)<sup>(٢)</sup>.

فإن لم يكن هناك محبة قوية لله سبحانه وتعالى؛ فلا بُدَّ أن تدخل محبة شخص آخر ذلك القلب، فإن النفس لا تقعد فارغة،

(١) زاد المعاد (٤/٢٤٦).

(٢) طريق المهجرتين (٤١٣).

وإن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية، والقلب إذا خلا من محبة الله امتلاً بغيره.

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى  
فَصَادَفَ قَلْبًا خَاوِيًا فَتَمَكَّنَا<sup>(١)</sup>

## ٢- الجوع العاطفي:

بعض الناس يكون عنده جوع عاطفي، فعاطفته لم تُشَبَّع منذ صغره، فربما كان مفتقداً لحنان أم ترضعه وترعاه، وشفقة أبٍ يحوطه ويحنو عليه، فيبحث عن هذا الحنان من خلال العشق.

وهؤلاء الأطفال الذين عاشوا في أسرة مفككة.. أبوه قد طلق أمه، ولم يراعيا أطفالهما، بل قد يكون الطفل عاش في بيت ثالث، فلم يذق حنان أمه، ولم يعرف شفقة أبيه؛ هؤلاء الأطفال هم أكثر الناس عرضة لهذا النوع من العشق؛ لجوعهم العاطفي.

(١) روضة المحبين (١٣٨).



لذلك فإن إشباع غريزة الطفل في العاطفة من قبل الأبوين يجعل له ثباتاً نفسياً، وربما يُبعدُ عنه مثل هذه الآفات.

### ٣- الأغاني المحرمة والأفلام الهابطة والروايات الرومانسية:

من الأسباب العظيمة للوقوع في العشق: هذه الوسائل الخطيرة من الأغاني والأفلام الهابطة، التي تدعو إلى الفحشاء والعلاقات المحرمة، فجلُّ الأغاني ونسبة كبيرة من الأفلام تدور حول هذا الموضوع.

فكلمات الأغاني تدور حول المحبوبة والمعشوقة، ولا تتحدث إلا عن الحب والغرام، ولا تصف إلا أحوال العشاق.

والأفلام تصور قصص العشاق بأفضل الوسائل التكنولوجية الحديثة، بقصص كتبها متخصصون، ومثلها ممثلون، مع ما يصاحبها من الموسيقى الحاملة، والكلمات المثيرة، مما جعل كثيراً من الناس يعجبون بالعشق والغرام، ويسعون لتطبيق من سمعوه وشاهدوه.

وليست الروايات الرومانسية ببعيدة عن هذه المفاسد، بل قد تزيد مفاسدها في بعض الأحيان.

إن هذه الأفلام والروايات قد أضرت بشبابنا وفتياتنا أعظم الضرر، وأوقعتهم في مرض العشق، فهاموا على وجوههم في صحراء المعاصي، لا يجدون مَعْلَمًا للحق يأوون إليه؛ لعظم تعلق قلوبهم بغير الله.

هذا الجوع العاطفي جعل الشباب في هيجان شديد، يبحثون عن الشهوات المحرمة والعلاقات المشبوهة في كل وقت.

#### ٤ - ضعف الشخصية والتقليد:

إن العاشق فيه ضعف في الشخصية، لا يستطيع أن يتحكم في عواطفه ومشاعره، بل يجرفه التيار، ولذا يقع فيما يقع فيه الناس بدون تفكير، ولو كان جازماً قوي الشكيمة لامتلك زمام نفسه، وردها عن هذا الغي.

#### ٥ - غياب القدوة الصالحة:

من أسباب الوقوع في العشق: عدم وجود القدوة الصالحة التي توجّه عواطف الشباب والفتيات إلى ما ينبغي حبه، وهو حب الله ﷻ أولاً، وحب رسوله ﷺ ثانياً، وحب الصالحين

ثالثاً، فحمل النفس على حب الله ورسوله ﷺ وحب الصالحين  
تجعل في القلب غُنية عن ملئه بحب الصور والعشق المحرم.

### ٦- الفراغ:

الفراغ داء العصر، أشغل كثيرا من الشباب بالمعاصي،  
خاصة عندما يكون الشاب في مجتمع غني لا يحتاج فيه للعمل،  
فيتفرغ للعشق والهيام، والذهاب للأسواق، والسير خلف  
فلان وفلانة، وتضييع الساعات الطويلة في هذا الأمر.

### ٧- مظاهر الزينة:

ومن أسباب الوقوع في العشق: انتشار مظاهر الزينة التي  
كثرت في هذا العصر، فزينت الأجساد بما بهر الألباب، وأوقع  
القلوب في سجن العشق.

### ٨- عدم حفظ الجوارح:

إن عدم حفظ الجوارح يدفع بالإنسان إلى وقوع القلب في  
العشق والهوى، وقد يكون العشق بالنظر أو بالسمع.

فوق العشق بالنظر واضح جداً، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلوات الله عليه وآله قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزَّنا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَرِزْنَا الْعَيْنَ النَّظْرُ، وَزِنَا اللِّسَانَ الْمَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَتَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ أَوْ يُكَذِّبُهُ»<sup>(١)</sup>، فتأمل كيف بدء النبي صلوات الله عليه وآله بذكر النظر.

وقد يكون السمع طريقاً إلى ذلك، فقد أوقع سماع الأغاني كثيراً من الشباب في العشق، فكان سماع الأغنية الذي وقر في القلب هو الذي أدى إلى هذه الهاوية، كما قال بشار بن برد:

يَا قَوْمِ أَدْنِي لِيَعْضِ الْحَيِّ عَاشِقَةٌ  
وَالأُذُنُ تَعْشِقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانَا  
قَالُوا: بِمَنْ لَا تَرَى تَهْدِي، فَقُلْتُ هُمْ:  
الأُذُنُ كَالْعَيْنِ تُوفِي الْقَلْبَ مَا كَانَا<sup>(٢)</sup>

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلوات الله عليه وآله: «لَا تَبَاشِرُ الْمَرْأَةَ الْمَرْأَةَ فَتَنْعَتَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري (٦٢٤٣) ومسلم (٢٦٥٧).

(٢) الأغاني (٣/٢٣٥).

(٣) رواه البخاري (٥٢٤٠).

لماذا؟.

حتى لا يعشقها، فإن القلب قد يعشق بالسمع.

وهذا خطأ يقع فيه كثير من الزوجات، فتجلس الزوجة تصف لزوجها امرأة أخرى، شكلها كذا، وطولها كذا، ولونها كذا، وتحديثه عن مميزاتا، وضحكها، ومزاحها.

فيقع الرجل في غرام هذه المرأة، حتى وإن لم يرها.

وبعض الأزواج تزوج ثانية من وراء وصف زوجته لهذه الثانية، كانت زميلتها فإذا بها تصبح ضرتها!.

## سبل الوقاية من العشق

للووقاية من الوقوع في مرض العشق وسائل عدة، من أبرزها ما يلي:

### ١- اجتناب أسباب العشق:

الطباع تتساوى في الميل إلى الهوى، فينبغي للحازم اجتناب أسبابه، والبعد عنه منذ البداية، فيحمي سمعه وبصره من مسببات الهوى.

### ٢- محبة الله وحده وملء القلب بها:

قال ابن القيم: (ولهذا كان أعظم صلاح العبد أن يصرف كل قوى حبه لله تعالى وحده، بحيث يجب الله بكل قلبه وروحه وجوارحه، فيوحد محبوه، ويوحد حبه، فتوحيد المحبوب ألا يتعدد محبوه)<sup>(١)</sup>.

(١) روضة المحيين (١٩٩).

فيجب على الإنسان ألا يبقى في قلبه حب إلا وبذله لله، فيحب الله، ويحب في الله، ويغض في الله، ويكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وهذا الحب غاية صلاح العبد ونعيمه وقرّة عينه، وليس لقلبه صلاح ولا نعيم إلا به.

محبة الله فوق محبة العشاق والمحبين لمحبيهم، إنها أكمل وأعظم وأكثر وأشد من محبة المال والولد والوالد؛ لأن محبة الله فيها كمال ذل وخضوع وتعظيم وطاعة وانقياد ظاهراً وباطناً.

### ٣- تحليل العلاقات:

على الإنسان العاقل أن يحلل علاقاته مع الآخرين، فينظر لم أحبّ فلاناً ولم كره الآخر، ولا يعمل على خداع نفسه، فلا يبرر لنفسه أنه يحب فلاناً في الله مع أن الحقيقة أنه يحبه لجمال منظره، وبهاء طلعتة.

### ٤- غض البصر:

الواجب على من وقع نظره على مستحسن فوجد لذة تلك النظرة أن يصرف بصره؛ لأن النظر متى عاود الكرة وقع في اللوم شرعاً وعقلاً.

وتأمل قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ﴾ [النور: ٣٠]، فجعل سبحانه غض البصر وحفظ الفرج أزكى للنفس، وزكاة النفوس تتضمن زوال جميع الشرور، ومن ذلك العشق.

والعشق له علاقة قوية بالنظر، وعلاجه غض البصر، وعدم تكراره؛ فإن النظر كالبذرة التي تبذر في الأرض، فالنظرة الأولى هي البذرة، ولكن معاودة النظر هو الماء الذي تسقى به تلك البذرة.

فإذا تعاهد الشخص تلك البذرة بالسقي، فستصبح البذرة شجرة قوية لا يمكن انتزاعها.

ولذلك، فإن غض البصر من أعظم الوقايات.



## علاج العشق

أما علاج العشق فيختلف بحسب المرحلة التي وصل إليها العاشق، فدخول الهوى يسير، ولكن الخروج منه شديد.

### من علاجات العشق:

#### ١- الفرار:

البعد عن أرض المعشوق من أعظم علاجات العشق، كما يقال: البعيد عن العين بعيدٌ عن القلب.

فعلى العاشق أن يسافر إلى بلد آخر، ويترك المكان الذي يرى فيه معشوقه، فيغير مسكنه، أو مقر عمله.

وعلى المسلم أن يحذر من خديعة إبليس، والتي ينصح بها العشاق وأهل الغرام.

نَعِمْتُ بِهَا عَيْنِي فَطَالَ عَذَابُهَا  
وَلَكُمْ عَذَابٌ قَدْ جَنَاهُ نَعِيمٌ!

نَظَرْتُ فَأَقْصَدَتِ الْفُؤَادَ بِسَهْمِهَا  
 ثُمَّ انْتَنَتْ نَحْوِي فَكِدْتُ أَهِيْمُ  
 وَيَلَاهُ إِنْ نَظَرْتُ وَإِنْ هِيَ أَعْرَضَتْ  
 وَقَعَ السَّهَامُ وَنَزَعُهُنَّ أَلِيْمٌ<sup>(١)</sup>

ولابدَّ للمعشوق أن يكون له دور في العلاج، فعليه أن يفر من العاشق، ويخرج من أرضه، ويُجَلِّي الطريق فارغاً، حتى لا يقع العاشق على خبر له، ولا على حس أو أثر، فلا يراه ولا يسمع كلامه، حتى ينسأه شيئاً فشيئاً.

وقد يحس المعشوق بالألم لهذا الفراق، ويزداد عذاباً به، فيقال له: اصبر، فإن النصر مع الصبر.

وقد يقول: أوشكت على الموت، فنقول له: لو مت فأنت مأجورٌ بإذن الله؛ لأنك منعت نفسك عن الحرام. وإن عشت فستحيا حياة كريمة تتخلص فيها من هذا البلاء.

وإياك من النظرة الأخيرة، فإن بعضهم قد يقول عندما

(١) ذم الهوى (٥٩١).

يشتد به الأمر: هاتوه لحظة أراه وأجلس معه قليلاً فقط، فنقول: لو جلس معك ورأيتَه فسترجع إلى ما كنت عليه.

كما أن على المعشوق أن يتقي الله وينصرف عن طريق العاشق وإلا فإنه سيعرض العاشق للتلف، وذلك ظلم منه، بل عليه أن يسعى بكل طريق في إنقاذه وإخراجه من هذه الحالة بالبعد عنه.

## ٢- تأمل مساوي المعشوق :

إن عين المحب كليلة عن عيوب المحبوب، والعاشق لا يكاد يرى شيئاً من عيوب محبوبه، بل قد يراها من المحاسن.

ومن علاج الهوى أن يتأمل الإنسان في مساوي محبوبه، كيف يحمل النجاسات في أحشائه وأمعائه! وإذا كانت امرأة ماذا يحصل لها من الحيض والنفاس والدماء!.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: (إذا أعجبت أحدكم امرأة فليذكر مناتنها)<sup>(١)</sup>.

(١) ذم الهوى (١٥).

يذكر أن رجلاً وزوجته ذهبا إلى أمير من أمراء العراق ليقضي بينهما في خلاف، والمرأة منتقبة مكتحلة، ولها حسن منطق ولسان، فكأن هذا الأمير مال معها ضد الزوج، وقال للزوج: يعمد أحدكم إلى المرأة الكريمة فيتزوجها ثم يسيء إليها! فأهوى الرجل إلى نقاب زوجته فشده وكشف وجهها. فقال الأمير: عليك اللعنة، كلام مظلوم ووجه ظالم<sup>(١)</sup>.

قال ذلك لما رأى المنظر الحقيقي لبقية الوجه، واتضح له أن المرأة ليست جميلة.

### ٣- ردع النفس عن الحرام :

على الإنسان أن يردع نفسه عن الحرام، فإن كانت المعشوقة زوجة لرجل يقول لنفسه: هذه زوجة رجل، فكيف أعشقتها؟.

وإذا كان ذكراً قال: هذه العلاقة التي لعن الله عليها قوم لوط وأهلكهم وعاقبهم بعقوبات ما عاقبها غيرهم: ﴿ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ ﴾ [القمر: ٣٧]، ﴿ جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَابِلَهَا وَأَمْطَرْنَا

(١) ذم الهوى (٥٨٥).

عَلَيْهَا حِجَارَةٌ مِّنْ سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ [هود: ٨٢]، ﴿فَأَخَذْتَهُمُ  
الْصَّبْحَةَ مَشْرِقِينَ﴾ [الحجر: ٧٣]، ليس هناك قوم عاقبهم الله  
مثل قوم لوط؛ فإذا جاء في نفسه عشق أحد الذكران أو المردان؛  
فليردع نفسه عن هذا العشق بتذكيرها بهذا العقاب الأليم.

#### ٤- تذكير النفس بعظمة الرب سبحانه:

لو أن الإنسان رأى زوجة ملك من الملوك فهوها، وتعلق  
قلبه بها، فما الذي يقطعه عنها؟.

إنه الخوف من ذلك الملك، وخوف انتقامه وبطشه.

فعلى المرء أن يذكر نفسه بعظمة الرب سبحانه، وأنه شديد  
العقاب، قوي البطش.

#### ٥- النظر في عواقب العشق:

إن العشق يورث قلقاً دائماً، وعواقب مشينة، وأضراراً  
عظيمة.

فالعشق يُصَيِّرُ الإنسان سفيهاً تافهاً، وينقص عقله وحكمته.

والعشق مشوب بالغموم، والهموم، وخوف الفراق، وفضيحة الدنيا، وحسرات الآخرة.

والعقل إذا رأى أن هذا المرض سيفضي به إلى الهلاك فإنه سيعالج نفسه منه ولا بُدَّ، فكذلك العشق، هذا المرض القلبي لا بُدَّ للعقل أن يسارع إلى علاج نفسه منه إذا وقع فيه.

### ٦- الدعاء:

الدعاء هو السلاح الذي لا يخون في النوائب والملمات، السلاح الناجع الذي ينبغي على المؤمن أن يستعمله في كل وقت وحين، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقد كان من هدي النبي ﷺ تعليم الصحابة أدعية لمواجهة العشق، فعن شكل بن حميد رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، علمني دعاء. قال: «قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِيٍّ»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه أبو داود (١٥٥١)، وصححه الحاكم.

وكان صلى الله عليه وسلم يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى، وَالتَّقَى، وَالْعَفَافَ، وَالْغِنَى»<sup>(١)</sup>.

فإياك والاعتزاز بنفسك، فتبتعد عن الدعاء وتأمن المكر.

إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنُ مِنَ اللَّهِ لِلْفَتَى  
فَأَوَّلُ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ<sup>(٢)</sup>

قال ابن القيم: (فإن عجزت عنه هذه الأدوية كلها لم يبق له إلا صدق اللجأ إلى من يجيب المضطر إذا دعاه، وليطرح نفسه بين يديه على بابه، مستغيثاً به، متضرعاً متذللاً، مستكيناً، فمتى وفق لذلك، فقد قرع باب التوفيق).

## ٧- الصبر:

فإن الصبر عاقبته حميدة، والنصر مع الصبر، وتجرع مرارة الصبر الآن خير لك من تجرع مرارة غسلين في نار جهنم، والعياذ بالله.

(١) رواه مسلم (٢٧٢١).

(٢) نفح الطيب (١٧٧/٦).

**٨- مجاهدة النفس :**

قال ﷺ: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

**٩- استشارة من يثق فيه:**

ما خاب من استشار ولا ندم، ولذلك على من وقع في هذه المصيبة أن يأخذ برأي إخوانه فيما يستعين به في مواجهة هذا المرض.

ويستعين بالإخوان الصالحين، الذين ينصحونه حق النصيحة، ويرشدونه إلى الطريقة الشرعية المنجية من هذا الداء.



## الخاتمة

قال ابن القيم رحمه الله عن العشق: (تلك لعمر الله الفتنة الكبرى، والبلية العظمى، التي استعبدت النفوس لغير خالقها، وملكت القلوب لمن يسومها الهوان من عشاقها، وألقت الحرب بين العشق والتوحيد، ودعت إلى موالاته كل شيطان مريد، فصيرت القلب للهوى أسيراً، وجعلته عليه حاكماً وأميراً، فأوسعت القلوب محنةً، وملأتها فتنةً، وحالت بينها وبين رشدها، وصرفتها عن طريق قصدها، ونادت عليها في سوق الرقيق فباعتها بأبخس الأثمان، وأعاضتها بأخس الحظوظ وأدنى المطالب عن العلي من غرف الجنان، فضلاً عما فوق ذلك من القرب من الرحمن، فسكنت إلى ذلك المحبوب الخسيس الذي ألمها به أضعاف لذتها، ونيله والوصول إليه أكبر أسباب مضرتها، فما أوشكه حبياً يستحيل عدواً من قريب، ويتبرأ منه لو أمكنه حتى كأن لم يكن له بحبيب، وإن تمتع به في هذه الدار فسوف يجد به أعظم الألم بعد حين، لاسيما إذا صار الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدواً إلا

المتقين، فيا حسرة المحب الذي باع نفسه لغير الحبيب الأول  
 بثمان بخس وشهوة عاجلة، ذهبت لذتها وبقيت تبعتها،  
 وانتقضت منفعتها وبقيت مضرتها، فذهبت الشهوة وبقيت  
 الشُّقوة، وزالت النشوة وبقيت الحسرة، فوارحمته لَصَّبْ جُمع  
 له بين الحسرتين: حسرة فوت المحبوب الأعلى والنعيم المقيم،  
 وحسرة ما يقاسيه من النصب في العذاب الأليم، فهناك يعلم  
 المخدوع أي بضاعةٍ أضاع، وأنَّ من كان مالك رقه وقلبه لم  
 يكن يصلح أن يكون له من جملة الخدم والأتباع!، فأى مصيبة  
 أعظم من مصيبة ملك نزل عن سريرته! وجعل لمن لا يصلح  
 أن يكون مملوكه أسيراً! وجُعِلَ تحت أوامره ونواهيته مقهوراً،  
 فلو رأيت قلبه وهو في يد محبوبه لرأيتَه:

كَعُضْفُورَةٍ فِي كَفِّ طِفْلِ يَسُومُهَا  
 حِيَاضَ الرَّدَى وَالطِّفْلُ يَلْهُو وَيَلْعَبُ

ولو شاهدت حاله وعيشه لقلت:

فَمَا فِي الْأَرْضِ أَشَقَى مِنْ مُحِبٍّ  
 وَإِنْ وَجَدَ الْهَوَى حُلُوَ الْمَذَاقِ

تَرَاهُ بَاكِياً فِي كُلِّ حِينٍ  
 مَخَافَةَ فُرْقَةٍ أَوْ لِاشْتِيَاقِ  
 فَيَبْكِي إِنْ نَأَوْا شَوْقاً إِلَيْهِمْ  
 وَيَبْكِي إِنْ دَنَوْا حَذَرَ الْفِرَاقِ

ولو شاهدت نومه وراحته لعلمت أن المحبة والمنام تعاهدا  
 وتحالفا أن ليس يلتقيان، ولو شاهدت فيض مدامعه وهيب  
 النار في أحشائه لقلت:

سُبْحَانَ رَبِّ الْعَرْشِ مُتَقِينَ صُنْعِهِ  
 وَمُؤَلَّفِ الْأَضْدَادِ دُونَ تَعَانِدِ  
 قَطْرٌ تَوَلَّدَ عَنْ هَيْبٍ فِي الْحَشَا  
 مَاءٌ وَنَارٌ فِي مَحَلٍّ وَاحِدِ

ولو شاهدت مسلك الحب في القلب وتغلغله فيه لعلمت  
 أن الحب ألطف مسلكاً فيه من الأرواح في أبدانها.

فهل يليق بالعاقل أن يبيع هذا الملك المطاع لمن يسومه سوء  
 العذاب، ويوقع بينه وبين وليه ومولاه الحق الذي لا غناء له عنه  
 ولا بد له منه أعظم الحجاب، فالمحب بمن أحبه قتيل، وهو له

عبد خاضع ذليل، إن دعاه لَبَّاهُ، وإن قيل له ما تتمنى فهو غاية ما يتمناه، لا يأنس ولا يسكن إلى سواه، فحقيق به أن لا يملك رقه لأجل حبيب، وأن لا يبيع نصيبه منه بأخس نصيب<sup>(١)</sup>.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يملأ قلوبنا بنوره، وأن يفيض علينا من رحمته، وأن ينزل علينا السكينة، وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يصلح قلوبنا ونياتنا وذرياتنا، إنه سميع مجيب قريب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

محمد صالح المنجد

(١) إغائة اللهفان (٢/١٢٢).

## اختبر فهمك

بين يديك مستويين من الأسئلة، أسئلة مباشرة وأخرى تحتاج منك إلى تأمل وإمعان نظر.

### أسئلة المستوى الأول المباشرة:

- ١ - عرف العشق في اللغة والاصطلاح.
- ٢ - ما هي أنواع العشق؟.
- ٣ - للعشق مظاهر عدة، فما هي أبرزها؟.
- ٤ - ما هي مفاسد وأضرار العشق؟.

### أسئلة المستوى الثاني الاستنباطية:

- ١ - بماذا يرتبط العشق غالباً؟.
- ٢ - ما السبب الرئيسي المؤدي لعشق النساء للنساء؟.
- ٣ - لابن القيم رأي سديد في مسألة العشق، فما هو؟.

٤- ذكر ابن تيمية في كتابه (الاستقامة) أموراً يورثها العشق للعاشق، فما هي؟.

٥- ماذا يفعل النصارى إذا أرادوا تنصير الأسرى؟.

## المحتويات

٥	.....	مقدمة
٧	.....	تعريف العشق
١٠	.....	أنواع العشق
١٥	.....	هل العشق اختياري أم اضطراري؟
١٨	.....	خطر العشق
٤٠	.....	أسباب العشق
٤٧	.....	سبل الوقاية من العشق
٥٠	.....	علاج العشق
٥٨	.....	الخاتمة
٦٢	.....	اختبر فهمك
٦٤	.....	المحتويات

سلسلة أعمال القلوب (١٠)

الكبر



ح) مجموعة زاد للنشر ١٤٣٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المنجد ، محمد صالح

الكبير، محمد صالح المنجد - الخير - ١٤٣٠ هـ

٦٤ ص ، ١٧×١٢ سم

ردمك : ٠-١٧-٨٠٤٧-٦٠٣-٩٧٨

١- الكبرياء ٢- الأخلاق الإسلامية أ. العنوان

ديوي : ٢١٣,٣ ١٤٣٠/٤٠٥٢

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



للنشر

المملكة العربية السعودية

الخبر - هـ: ٨٦٥٥٣٥٥

جدة - هـ: ٦٩٢٩٢٤٢

ص.ب: ١٢٦٢٧١ جدة: ٢١٣٥٢

[www.zadgroup.net](http://www.zadgroup.net)

مَجَالِ الْمُنْتَجِ

سلسلة أعمال القلوب (١٠)

الكبر



١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فإن الكبر والعجب من أدواء النفس الخطيرة التي تمثل انحرافاً خُلِقيا، يُجنح بالإنسان عن سبيل الهدى والحق إلى سبل الردى والضلال؛ وذلك لأنه متى نفخ الكبر والعجب بالنفس في أنف المستكبر المغرور واستوليا على عقله وإرادته ساقاه بعنف شديد وتمرد لئيم إلى بطن الحق وورده وطمس معالمه، ثم إلى انتحال صور من الباطل يعمل على تزيينها وتحسينها بالأقوال المزخرفة التي لا حقيقة لها، ويتبع ذلك غمط الناس واحتقارهم صغاراً وكباراً والعياذ بالله تعالى.

وستعرض في هذا الكتاب لبيان معنى الكبر، والفرق بينه وبين العجب، وخطورته، ومظاهره، وأسبابه، وبعض آثاره، ونختتم بالعلاج.

ولا يفوتني أن أشكر كل من ساهم في إعداد هذه المادة وإخراجها بالصورة المرضية.

نسأل الله تعالى العفو والعافية، والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

محمد صالح المنجد

## تعريف الكبر

### نفة:

قال ابن فارس: (الكِبْرُ: العظمة، وكذلك الكبرياء، يقال: ورثوا المجد كابراً عن كابر. أي كبيراً عن كبير في الشرف والعز)<sup>(١)</sup>، وذكر ابن منظور: (أن الكِبْرَ بالكسر والكبرياء العظمة والتعجب.... وقد تكَبَّرَ واستكَبَّرَ وتكابَّرَ وقيل تَكَبَّرَ من الكِبْرِ وتكابر من السِّنِّ والتكَبُّر والاسْتِكْبَار التَّعْظُم)<sup>(٢)</sup>.

### شريعاً:

عرفه النبي ﷺ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ. قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) معجم مقاييس اللغة (٥/ ١٥٤).

(٢) لسان العرب (٥/ ١٢٥).

(٣) رواه مسلم (٩١).

فعرّف النبي ﷺ الكبر بشقين هامين:

الأول: (بطل الحق) يعني جحود الحق مع الاستهانة به، والاستعلاء عن قبوله.

إننا نجد كثيراً من الناس إذا عرّض عليهم مَنْ دونهم في المكانة أو السن أمراً هو حق لا شك فيه، ولكنه جاء مخالفاً لرأيهم أو لما كانوا قرروه أو عملوا به جحدوه وأنكروه واستصغروا صاحبه وأصروا على مخالفته، وربما كانت مصلحتهم الخاصة في جانب الحق لا في جانب الباطل الذي أصروا عليه.

هذا الصنف من الناس موجود بكثرة، خاصة في المجتمعات الصغيرة: في الأسرة، وفي المدرسة، وفي العمل، وبين الزملاء.

إن المحذور الذي يحشاه هذا المتكبر إذا هو قَبْلَ الحَقِّ الصادر من غيره أن ينال المجدَ غيره، فيكبرَ عند الناس، وينازعه المكانة التي يطلبها لنفسه؛ لأنه يخشى أن يكون تابعاً لغيره.

ولو عقل هذا المستكبر وتبصر لعلم أن مكانته ومنزلته هي في اتباع الحق لا في التهادي في الباطل.

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه:  
(لا يمنعك قضاء قضيته بالأمس وراجعت فيه نفسك، فهديت

فيه لرشدك أن تراجع الحق فإن الحق قديم، ومراجعة الحق خير من التماذي في الباطل<sup>(١)</sup>.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: كنا في جنازة فيها عبيد الله بن الحسن وهو على القضاء... فسألته عن مسألة فغلط فيها، فقلت: أصلحك الله، القول في هذه المسألة كذا وكذا... فأطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال: إذن أرجع وأنا صاغر، إذن أرجع وأنا صاغر، لأن أكون ذنباً في الحق أحبُّ إليَّ من أن أكون رأساً في الباطل<sup>(٢)</sup>.

الثاني (غمط الناس):

والغمط: هو الاحتقار والازدراء والاستصغار.

فغمط الناس هو احتقارهم واستصغارهم والازدراء بهم، والترفع عن الثناء عليهم بفضائلهم، وعدم الاعتراف بحقوقهم وصفاتهم الفاضلة.

ويصل طغيان هذا الغمط إلى أقصى مداه عندما يحاول

(١) رواه الدارقطني (٤/٢٠٦).

(٢) تاريخ بغداد (١٠/٣٠٨).



هدم فضائل الناس، وطمس كمالهم، وتحقيرهم وتصغيرهم  
بالكذب والبهتان، بُغية احتفاظ المتكبر بالمكانة العالية لنفسه  
دون الآخرين.

فالمتكبر إذا لم يستطع أن يعتلي مكانة المجد بكمالاته فإنه  
يحاول أن يعتليها بتحطيم كمالات الآخرين، والخط من  
مكانتهم.

## الفرق بين الكبر والعجب

قال أبو وهب المُرَوَزي: سألت ابن المبارك: ما الكبر؟  
قال: أن تزدرى الناس.

فسألته عن العُجْب؟ قال: أن ترى أن عندك شيئاً ليس  
عند غيرك، لا أعلم في المصلين شيئاً شراً من العُجْب<sup>(١)</sup>.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/٤٠٧).

## أسباب الكبر

يشعر المتكبر بالاستعلاء الذاتي على الأقران، وبالتميز على الآخرين، وبالرغبة الجامحة بعدم الخضوع لأحد. ويمكن حصر الأسباب بالآتي:

### ١- الرغبة في عدم الخضوع لأحد:

تتنامي هذه الرغبة حتى يصل به الحال إلى التمرد على طاعة الله، الذي بيده مقاليد السموات والأرض، وهو على كل شيء قدير.

ومع هذه الرغبة يأتي شعور المتكبر باستغناؤه، فيتولد منه الطغيان. ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ۚ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى ۚ ﴿٧﴾﴾ العلق: [٦-٧] قال البغوي: أي إن الإنسان يتجاوز حده ويستكبر على ربه لأنه رأى نفسه غنياً<sup>(١)</sup>.

(١) معالم التنزيل (٨/٤٧٩) بتصرف.

## ٢. الطموح الجامع إلى الامتياز على الآخرين:

المستكبر يجد أن من حقه على المجتمع أن يمنحه الامتياز والتفوق، وأن يعترف له به.

فإن لم يعترف المجتمع له بذلك، سولت له نفسه أنه يستطيع أن ينال ما يطمح إليه عن طريق الاستكبار.

## ٣. الرغبة في إخفاء المستكبر ما يشعر به من نقص في ذاته أو عمله:

المستكبر حريص أن يكون في أعين الناس كبيرا، وألا يكتشفوا نقصه، ثم هو باستكباره يفضح نفسه، ويدل الناس على عوراته، إذ يوجه أنظار الناس إليه باحثين عن حقيقة حاله، فيكتشفون أمره، ويستبينون نقصه، فيحتقرونه ويستصغرونه.

ولقد كان باستطاعته أن يستر عيوب نفسه بالتواضع، ولين الجانب، والتحجب إلى الناس، والصمت عما يجهل، والاعتذار عما لا يحسن، والبعد عن التحديات، وعن الادعاءات الباطلة.

#### ٤- مبالغة الآخرين في التواضع:

قد يكون الباعث على الكبر مبالغة الآخرين في التواضع، وهضم النفس، والعزوف عن التقدم لتحمل المسؤولية أو تحمل الأمانة. فيرى المتكبر أن عزوف الناس عن ذلك إنما هو لإقرارهم بفضلهم عليهم، فلا يزال به الشيطان حتى يرى نفسه فوق الجميع، فيحتقرهم فيقع في الكبر.

#### ٥- اختلال القيم ومعايير التفاضل عند الناس:

من أسباب الكبر الباعثة عليه اختلال معايير التفاضل عند الناس، فتراهم يقدمون الغني صاحب الجاه ولو كان عاصيا فاسقا، ويؤخرون التقي النقي لفقره وعدم وجاهته، فيكون ذلك سببا في تقديم من لا يستحق التقديم فيقع في احتقار الآخرين والترفع عليهم.

وقد أوضح النبي ﷺ ذلك بمثال عملي مع أصحابه رضي الله عنهم، معلنا رفضه المطلق لهذا المعيار عند تقديم الناس أو تأخيرهم.

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: مرَّ رجل على رسول الله صلَّى الله عليه وآله فقال: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟»، قالوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ، قال: ثم سكت، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فَقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قالوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْتَمَعَ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلِّءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا»<sup>(١)</sup>.

## ٦- مقارنة نعمته بنعمة الآخرين ونسيان المنعم سبحانه وتعالى:

من أسباب الكبر أن ينظر الإنسان إلى النعم التي أنعم الله بها عليه، ويقارن نفسه بالآخرين الذين منعهم الله تلك النعم لحكم يعلمها سبحانه وتعالى. فيرى أنه أهل لتلك النعم، وأنها وصلت إليه لاستحقاقه لها، فينظر لنفسه نظرة المعظم، ويحتقر الآخرين الذين يراهم ليسوا أهلاً لتلك النعم.

(١) رواه البخاري (٥٠٩١).

## بماذا يحصل الكبر؟

النعم التي يتكبر بها أصحابها كثيرة منها:

### ١- المال:

قال الله تعالى عن صاحب الجنتين: ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ [الكهف: ٣٤] وقال: ﴿ إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغَ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٧٦ - ٧٧].

وقال: ﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٤٩].

**٢- العلم:**

وما أسرع الكبرَ إلى بعض المتعلمين.

فلا يلبث أن يستشعر في نفسه كمال العلم، فيستعظم نفسه،  
ويحتقر الآخرين ويستجهلهم.

**وسبب كبره بالعلم أمران:**

**أحدهما:**

أن يكون اشتغاله بما يسمى علماً وليس علماً في الحقيقة،  
فإن العلم الحقيقي هو ما يعرف به العبد ربه ونفسه، وهذا  
يورث الخشية والتواضع دون الكبر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا  
يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

**ثانيهما:**

أن يخوض في العلم وهو خبيث النفس، سيء الأخلاق،  
فهذا إذا حفظ شيئاً من العلم وجد ما يتكبر به فازداد تكبراً  
وتيهاً.



كما قال المعري العاري عن الفضائل يمدح نفسه:  
 وإني وإن كنتُ الأخيرَ زمانُهُ  
 لآتٍ بما لم يَأْتِ به الأوائلُ<sup>(١)</sup>

### ومن الكبر:

ما يفعله بعض صغار طلبة العلم حيث يجعل نفسه نداءً  
 للعلماء فيقول: هم رجال ونحن رجال !!

قال أيوب العطار: سمعت بشر بن الحارث يقول:  
 حدثنا حماد بن زيد ثم قال: أستغفر الله إن لذكر الإسناد في  
 القلب لخيلاء<sup>(٢)</sup>.

### ٣- العمل والعبادة:

فبعض الناس يتكبر بعبادته، فيرى حقاً على الناس أن  
 يقدموه، ويذكروه بالورع والعبادة، ويرى الناس هالكين،  
 ويرى نفسه ناجياً.

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان (١/٤٥٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٧/٤٦١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ»<sup>(١)</sup>. قال أبو إسحاق: لا أدري أهْلَكُهُمْ بِالنَّصْبِ أَوْ أَهْلَكُهُمْ بِالرَّفْعِ.

قال النووي:

قوله صلوات الله عليه: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ» رُوِيَ (أَهْلَكُهُمْ) على وجهين مشهورين: رفع الكاف وفتحها، والرفع أشهر... ومعناها أشدهم هلاكاً، وأما رواية الفتح فمعناها هو جعلهم هالكين، لا أنهم هلكوا في الحقيقة. واتفق العلماء على أن هذا الهمزة إنما هو فيمن قاله على سبيل الإزراء على الناس، واحتقارهم، وتفضيل نفسه عليهم، وتقييح أحوالهم، لأنه لا يعلم سر الله في خلقه. قالوا: فأما من قال ذلك تَحَزُّناً لِمَا يَرَى فِي نَفْسِهِ وَفِي النَّاسِ مِنَ النِّقْصِ فِي أَمْرِ الدِّينِ فَلَا بَأْسَ عَلَيْهِ كَمَا قَالَتْ أُمُّ الدَّرْدَاءِ رضي الله عنها: دخل عليّ أبو الدرداء وهو مغضب فقلت ما أغضبك؟ فقال: (والله ما أعرف من أمة

(١) رواه مسلم (٢٦٢٣).

محمد ﷺ شيئاً إلا أنهم يصلون جميعاً<sup>(١)</sup>. هكذا فسره الإمام مالك، وتابعه الناس عليه<sup>(٢)</sup>.

قال ابن الجوزي: (وبعض المتزهدين عنده غفلة، يكاد يوطن نفسه على أنه ولي محبوب ومقبول، وربما احتقر غيره وظن أن محلته محفوظة به، تغره ركيعات ينتصب فيها أو عبادة ينصب بها، وربما ظن أنه قطب الأرض، وأنه لا ينال مقامه بعده أحد)<sup>(٣)</sup>.

روى الخطابي في كتابه (العزلة) أن عبد الله بن المبارك قدم خراسان فقصده رجلا مشهورا بالزهد والورع، فلما دخل عليه لم يلتفت الرجل إليه ولم يأبه به، فخرج من عنده عبد الله بن المبارك، فقال له بعض من عنده: أتدري من هذا؟ قال: لا. قال: هذا أمير المؤمنين في الحديث، هذا عبد الله بن المبارك فبهِتَ الرجل وخرج إلى ابن المبارك مسرعاً يعتذر إليه، ويتنصل مما حدث قائلاً: يا أبا عبد الرحمن اعذرني وعظني!

(١) رواه البخاري (٦٢٢).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٦/١٧٥).

(٣) صيد الخاطر (١٣٥).

قال ابن المبارك: نعم، إذا خرجت من منزلك فلا يقع  
بصرك على أحد إلا رأيت أنه خير منك!  
وذلك أنه رآه معجباً بنفسه<sup>(١)</sup>.

فهذه حال ذلك المتكبر المغرور، وأما السلف الصالح  
فكان أحدهم يقول: نظرت إلى أهل عرفات فظننت أنهم عُفِرَ  
لهم لولا أنني كنت فيهم<sup>(٢)</sup>.

والمؤمن لا يزال يحتقر نفسه وعمله، قيل لعمر بن عبد العزيز:  
إن مت ندفنك في حجرة النبي ﷺ، قال: لأن ألقى الله بكل  
ذنب غير الشرك أحب إلي من أن أرى نفسي أهلاً لذلك<sup>(٣)</sup>.

#### ٤- النسب:

بعض من له نسب شريف يحتقر من دونه في النسب،  
وقد يتكبر ويأنف من مخالطة الناس ومجالستهم، وقد يجري

(١) العزلة (٢٢٠).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٨٢٥٢) عن بكر بن عبد الله المزني.

(٣) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (٢/٢٢٩).

هذا الكبر والتفاخر على لسانه فيقول: من أنت؟ ومن أبوك؟  
ومع مثلي تتكلم؟!!!

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال كان عمر رضي الله عنه: يقول  
أبو بكر رضي الله عنه سيدنا وأعتق سيدنا<sup>(١)</sup> يعني بلالاً رضي الله عنه.

عن المعروف بن سويد قال: رأيت على أبي ذر رضي الله عنه بُردًا وعلى  
غلامه بُردًا فقلت: لو أخذت هذا فلبسته كانت حلة وأعطيته  
ثوبًا آخر فقال كان بيني وبين رجل كلام وكانت أمه أعجمية  
فقلت منها فذكرني إلى النبي صلوات الله عليه فقال لي: «أَسَابَيْتَ فَلَانًا؟»  
قلت: نعم، قال: «أَفَلَيْتَ مِنْ أُمَّهِ؟» قلت: نعم، قال: «إِنَّكَ أَمْرٌ  
فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»، قلت: على حين ساعتني هذه من كبر السن،  
قال: «نَعَمْ هُمْ إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ جَعَلَ  
اللَّهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطِعْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيَلْبَسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا  
يُكَلِّفُهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيَعِزَّهُ عَلَيْهِ»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن حجر: قوله: «هُمْ إِخْوَانُكُمْ» أي العبيد أو الخدم

(١) رواه البخاري (٣٧٥٤).

(٢) رواه البخاري (٦٠٥٠).

حتى يدخل من ليس في الرق منهم... ويؤخذ منه المبالغة في ذم السب واللعن لما فيه من احتقار المسلم، وقد جاء الشرع بالتسوية بين المسلمين في معظم الأحكام، وأن التفاضل الحقيقي بينهم إنما هو بالتقوى، فلا يفيد الشريف النسب نسبة إذا لم يكن من أهل التقوى، وينتفع الوضع النسب بالتقوى كما قال تعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَ كُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] <sup>(١)</sup>.

وقال:

«إِنَّكَ إِمْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ» أي: خصلة من خصال الجاهلية. ويظهر لي أن ذلك كان من أبي ذر رضي الله عنه قبل أن يعرف تحريمه، فكانت تلك الخصلة من خصال الجاهلية باقية عنده، فلهذا قال (قلت: على ساعتني هذه من كبر السن؟ قال: نَعَمْ) كأنه تعجب من خفاء ذلك عليه مع كبر سنه، فبين له كون هذه الخصلة مذمومة شرعاً <sup>(٢)</sup>.

(١) فتح الباري (١٠/٤٦٨).

(٢) فتح الباري (١/٨٧).

## أمثلة من المتكبرين الذين صرفهم الكبر عن اتباع الحق

### ١- إبليس:

الكبر هو الباعث لإبليس على الكفر، والتمرد على أمر ربه.

قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ ۖ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ ۗ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۗ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٧٦) قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٨٠) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فإِعْرِضْكَ لِأَعْيُنِهِمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُحْصِينَ (٨٣) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥) قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (٨٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿ [ص: ٧١ - ٨٧] .

## ٢- فرعون وجنوده:

وكذلك فرعون كان الكبر هو الباعث لكفره.

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيَهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صِرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَأَسْتَكْبِرُوهُ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَيُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ [القصص: ٣٨ - ٤٢].

## ٣- ثمود قوم صالح عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَعْلَمُونَ أَتَّ صَلَاحًا مَّرْسَلًا مِّن رَّبِّهِ ؕ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِءُ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِءُ كَافِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٧٥ - ٧٦].



٤- عاد قوم هود عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْرَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ فصلت: [١٥ - ١٦].

٥- قوم شعيب عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ كَافِرِينَ ﴿١٨﴾ [الأعراف: ٨٨].

٦- قوم نوح عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ [نوح: ٥ - ٩].

## ٧. بنو إسرائيل:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۗ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبِكِينَتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ] [البقرة: ٨٧ - ٨٨].

## ٨. مشركو العرب:

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ وَيَمْشُوا فِي الْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَتِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ ] [الفرقان: ٢٠ - ٢١].

## آثار الكبر على السلوك

للكبر آثار سيئة على سلوك المستكبر من هذه الآثار:

### ١- الاستكبار عن الإيمان بالله وعبادته وطاعته:

قال الله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾ [النساء: ١٧٢ - ١٧٣].

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفِئِحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴿٤١﴾﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿[الأعراف: ٤٠ - ٤١].

## ٢- تصعير الخد للناس ومشية الخيلاء:

من وصايا لقمان الحكيم لابنه: ﴿ وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان: ١٨]، وتصعير الخد للناس هو إمالة الوجه عنهم على سبيل الاستكبار.

والمشي في الأرض مرحاً هو المشي بطراً وكبراً.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ أي مستكبر على الناس متعاضم عليهم.

﴿ فَخُورٍ ﴾ بنفسه أو قوته أو ماله أو ذكائه. ونهى الله تعالى عن المشي في الأرض تكبراً فقال:

﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّكَ لَنْ تُخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٧]، وإذا كان من سلوك المتكبرين المشي في الأرض مرحاً، فمن صفات عباد الله المشي في الأرض تواضعاً. ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣]، وكان السلف يتحفظون في مشيتهم فعن خالد بن معدان عن

عمرو بن الأسود العنسي أنه كان إذا خرج من المسجد قبض بيمينه على شماله فسئل عن ذلك فقال: مخافة أن تنافق يدي.

قال الذهبي: يمسكها خوفاً من أن يُحْطِرَ بيده في مشيته، فإن ذلك من الخيلاء<sup>(١)</sup>.

وكان علي بن الحسين إذا مشى لا تجاوز يده فخذه ولا يحطرها<sup>(٢)</sup>.

### ٣- إطالة الثوب وجره على الأرض:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلوات الله عليه وآله قال: «لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءً»<sup>(٣)</sup>.

قال النووي:

قال العلماء: الخيلاء، والمخيلة، والبطر، والكبر، والزهو، والتبختر، كلها بمعنى واحد، وهو حرام. ويقال: خال الرجل

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٨٠)، تاريخ دمشق (٤٥/ ٤١٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٩٢).

(٣) رواه البخاري (٥٧٨٣) ومسلم (٢٠٨٥).

واختال اختيالا إذا تكبر<sup>(١)</sup>.

عن جابر بن سُلَيْمٍ رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، اعهد إلي. قال: «لَا تَسُبَّنَّ أَحَدًا»، قال: فما سببت بعده حرا ولا عبدا ولا بعيرا ولا شاة، قال: «وَلَا تَحْفَرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَأَنْ تُكَلِّمَ أَحَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهَكَ، إِنَّ ذَلِكَ مِنْ الْمَعْرُوفِ، وَارْفَعْ إِزَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، فَإِنْ أُبَيْتَ فِإِلَى الْكَعْبَيْنِ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيلَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ، وَإِنْ امْرُؤٌ شَتَمَكَ وَعَيْرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ، فَلَا تُعَيِّرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ؛ فَإِنَّهَا وَبَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ»<sup>(٢)</sup>.

وقد استحدثت الآن مظاهر كثيرة دالة على الخيلاء في الثياب غير الإسبال، كأشكال الثياب، وأصنافها، وما يبذل في الحصول عليها من أموال كثيرة إسرافاً وتبذيراً بقصد التفاخر والتعاضم والخيلاء.

(١) شرح النووي على مسلم (٦٠/١٤).

(٢) رواه أبو داود (٤٠٨٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١١٠٩).

#### ٤- يجب أن يسعى الناس إليه ويقومون له:

عن أبي مجلز قال خرج معاوية رضي الله عنه على ابن الزبير وابن عامر فقام ابن عامر وجلس ابن الزبير فقال معاوية لابن عامر اجلس فإني سمعت رسول الله صلوات الله عليه يقول: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرَّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

#### ٥- التعرف في الحديث:

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلوات الله عليه قال: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنِكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَاوُونَ وَالتُّشَدِّقُونَ وَالتَّمْفِيهَقُونَ. قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما التمفيهقون؟ قال: المتكبرون»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم:

(والثرثار هو: الكثير الكلام يتكلف، والمتشدق المتطاول على الناس بكلامه الذي يتكلم فيه بملء فيه تفاصحا وتفخما)

(١) رواه أبو داود (٥٢٢٩)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٣٥٧).

(٢) رواه الترمذي (٢٠١٨) وحسنه.

وتعظيماً لكلامه، وَالْمُتَفَيِّهَةُ. أصله من الْفَهَقَ وهو الامتلاء، وهو الذي يملأ فمه بالكلام، ويتوسع فيه تكثراً وارتفاعاً وإظهاراً لفضله على غيره<sup>(١)</sup>.

### ٦- الاستهزاء والسخرية والهمز واللمز والتنايز بالألقاب:

المتكبر يرى نفسه أعلى من الناس، فيحتقرهم ويسخر منهم ويستهزئ بهم.

### ٧- الغيبة:

المتكبر يريد أن يظهر أنه أعلى من غيره، فمن وسائله لتحقيق ذلك الغيبة، وفضح عيوب الآخرين، وكشف نقائصهم.

### ٨- الترفع عن مجالسة الفقراء والمساكين والضعفة من الناس:

المتكبر يأنف من الجلوس مع من يراهم أقل منه مالاً أو نسباً أو طبقةً اجتماعية.

(١) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود (١٣/٩١)، مدارج السالكين (٢/٣٠٧).



وكان هذا السلوك وراء صد بعض المشركين عن الدخول في الإسلام، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلوات الله عليه ستة نفر فقال المشركون للنبي صلوات الله عليه: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا، فوقع في نفس رسول الله صلوات الله عليه ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ <sup>(١)</sup>.

عن خباب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٢]، قال: جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري فوجدا رسول الله صلوات الله عليه مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعدا في ناس من الضعفاء من المؤمنين فلما رأوهم حول النبي صلوات الله عليه حقروهم فأتوه فخلوا به وقالوا: إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا فإن وفود العرب تأتيك فنستحيي أن ترانا العرب مع

(١) رواه مسلم (٢٤١٣).

هذه الأعبد فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت، قال: «نعم»: قالوا فاكتب لنا عليك كتابا، قال: فدعا بصحيفة ودعا عليا ليكتب ونحن قعود في ناحية فنزل جبرائيل عليه السلام فقال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢]، ثم ذكر الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن فقال: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣] ثم قال: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] قال: فدنوننا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته وكان رسول الله صلوات الله عليه وآله يجلس معنا فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف:

٢٨]. قال خباب: فكننا نقعد مع النبي ﷺ فإذا بلغنا الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم<sup>(١)</sup>.

### ٩- ملازمة العيوب والنقائص:

المتكبر أبعد الناس عن إصلاح نفسه، أو معالجة عيوبه، لأنه يرى نفسه قد بلغ الكمال، فلا يفتش في عيوب نفسه، ولا يقبل نصيحة ناصح. فيبقى غارقاً في عيوبه ونقائصه ملازماً لها إلى أن تنقضي الحياة.

ويكون ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَلًا ۗ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

### ١٠- عدم قبول النصيحة:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ لَهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمُهَادُّ ﴾ [البقرة: ٢٠٦].

(١) رواه ابن ماجه (٤١٢٧).

**١١- عدم تعلم العلم:**

قال مجاهد: لا يتعلمُ العلم مستحيي ولا متكبر<sup>(١)</sup>.

فالتكبر يحمله الكبر على الترفع والاستعلاء، فلا يكسب من غيره علماً، ولا خبرة، ولا مهارة، ولا تجربة، فيبقى طوال حياته جاهلاً، قصير النظر.

**١٢- لا يبدأ من لقيه بالسلام:**

وإن رد عليه رأى أنه قد بالغ في الإنعام عليه، ولا ينطلق للناس وجهه، ولا يسعهم خلقه، ولا يرى لأحد عليه حقاً، ويرى حقوقه على الناس، ولا يرى فضلهم عليه، ويرى فضله عليهم، ولا يزداد من الله إلا بعداً، ومن الناس إلا صغارا وبغضا<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه البخاري تعليقا: باب الحياء في العلم، وأبونعيم في الحلية (٢٨٧/٣)، قال ابن حجر في الفتح (٢٢٩/١): (وقول مجاهد هذا وصله أبونعيم في الحلية من طريق علي بن المديني عن ابن عيينة عن منصور عنه، وهو إسناد صحيح على شرط المصنف).

(٢) الروح (٢٣٦).

١٣- لا يمشي إلا ومعه غيره يمشي خلفه، ويجب التصدر في المجالس، والشهرة بين الناس، وأما المتواضعون فإنهم يهربون من ذلك.

فعن عامر بن سعد قال: كان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في إبله فجاءه ابنه عمر فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فنزل. فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم ف ضرب سعد في صدره، فقال: اسكت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّيَّيَّ الْغَنِيِّ الْخَفِيِّ»<sup>(١)</sup>.

قال النووي:

المراد بالغنى غنى النفس، هذا هو الغنى المحبوب لقوله صلى الله عليه وسلم: «وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ»... وَأَمَّا (الْخَفِيُّ)... فمعناه الخامل المنقطع إلى العبادة والاشتغال بأمور نفسه<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه مسلم (٢٩٦٥).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٨/١٠٠).

## عقوبة المتكبر

### عقوبة المتكبر في الدنيا:

١- يعاقب المتكبر بنقيض قصده فيحتقره الناس ويستصغرونه:

وهذا من الجزاء الرباني والسنن الربانية الجارية في هذا الكون، فمن تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر على الحق وضعه الله.

٢- الحرمان من النظر والاعتبار والاستفادة من آيات الله:

قال الله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآءَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

قال السعدي: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ ﴾ أي عن الاعتبار في الآيات الأفقية والنفسية والفهم لآيات الكتاب ﴿ الَّذِينَ ﴾

يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ أَيُّ يَتَكَبَّرُونَ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ وَعَلَى الْحَقِّ، وَعَلَى مَنْ جَاءَ بِهِ، فَمَنْ كَانَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ حَرَمَهُ اللَّهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَخَذَلَهُ، وَلَمْ يَفْقَهُ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ، بَلْ رَبَّمَا انْقَلَبَتْ عَلَيْهِ الْحَقَائِقُ وَاسْتَحْسَنَ الْقَبِيحَ<sup>(١)</sup>.

### ٣- المتكبر توعده النبي ﷺ بالعذاب في الدنيا:

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكْتَبَ فِي الْجَبَّارِينَ فَيُصِيبُهُ مَا أَصَابَهُمْ»<sup>(٢)</sup>.

(لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ) أَيُّ يَعْلِي نَفْسَهُ وَيَرْفَعُهَا وَيَبْعِدُهَا عَنِ النَّاسِ فِي الْمَرْتَبَةِ وَيَعْتَقِدُهَا عَظِيمَةَ الْقَدْرِ، (حَتَّى يُكْتَبَ فِي الْجَبَّارِينَ) أَيُّ فِي دِيْوَانِ الظَّالِمِينَ وَالمُتَكَبِّرِينَ كَفَرَعُونَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ، أَوْ مَعَهُمْ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير السعدي (٣٠٢).

(٢) رواه الترمذي (٢٠٠٠) وحسنه.

(٣) تحفة الأحوذى (١١٧/٦).

إن هذا الحديث يصور حالة تدرج المستكبر في سلم الاستكبار والانتفاخ حتى يكون جباراً من الجبارين، وأنه في أول حاله قد لا يكون كذلك. فليخش العاقل عاقبة الكبر مهما كان في صغائر الأمور، فقد يتطور المرض اليسير حتى يتدهور، ومعظم النار من مستصغر الشرر.

#### ٤- الكبر سبب لزوال النعم وحلول النقم:

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن رجلاً أكل عند رسول الله صلوات الله عليه وآله بشماله فقال: «كُلْ بِيَمِينِكَ». قال: لا أستطيع. قال: «لَا اسْتَطَعْتَ». ما منعه إلا الكبر. قال: فما رفعها إلى فيه <sup>(١)</sup>.

قال النووي:

(وفي هذا الحديث: جواز الدعاء على من خالف الحكم الشرعي بلا عذر) <sup>(٢)</sup>.

فهذا الرجل منعه الكبر من طاعة الرسول صلوات الله عليه وآله وامتنال

(١) رواه مسلم (٢٠٢١).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٣/١٩٢).



أمره، فكان عقابه العاجل أن دعا عليه النبي ﷺ بالعجز، فاستجاب الله دعاء نبيه ﷺ وأصيب الرجل بالعجز في الحال.

أما يخشى المتكبرون الذين يمنعهم الكبر من اتباع الحق أن يسلبهم الله تعالى نعمه التي عصوه بها وتكبروا بها؟!.

### ٥- الكبر من أسباب الخسف وعذاب القبر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جَمَّتْهُ، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ فَهُوَ يَتَجَلَجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>.

قال الفيروز أبادي: (خسف المكان: ذهب في الأرض... وخسف الله بفلان الأرض: غيَّبه فيها)<sup>(٢)</sup>.

قال ابن حجر: (يَمْشِي فِي حُلَّةٍ) إزار ورداء. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم: (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخَّرُ فِي بُرْدِيهِ) قوله: (تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ).

(١) رواه البخاري (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨).

(٢) القاموس المحيط (١/١٠٣٩).

(مُرَجَّلٌ جُمَّتَهُ) هي مجتمع الشعر إذا تدلى من الرأس إلى المنكبين وإلى أكثر من ذلك. وترجيل الشعر تسريحه ودهنه. قوله: (إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ فَهُوَ يَتَجَلَجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) التجلجل التحرك، وقيل: الجلجلة الحركة مع صوت، وقال ابن فارس: التجلجل أن يسوخ في الأرض مع اضطراب شديد ويندفع من شق إلى شق، فالمعنى يتجلجل في الأرض أي ينزل فيها مضطربا متدافعا، ومقتضى هذا الحديث أن الأرض لا تأكل جسد هذا الرجل فيمكن أن يُلغز به فيقال: كافر لا يبلى جسده بعد الموت<sup>(١)</sup>.

### عقوبته في الآخرة:

#### ١- المتكبر هالك لا محالة مع الهالكين:

عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ثَلَاثَةٌ لَا تَسْأَلُ عَنْهُمْ: رَجُلٌ يُنَازِعُ اللَّهَ فِي كِبْرِيَاءِهِ، فَإِنَّ رِدَاءَهُ الْكِبْرِيَاءُ، وَإِرَارَهُ الْعِزَّةُ، وَرَجُلٌ يَشْكُ فِي أَمْرِ اللَّهِ، وَالْقَنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) فتح الباري (١٠/٢٦١).

(٢) رواه ابن حبان (٤٥٥٩)، والطبراني (٧٨٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٥٩).

## ٢- أبغض الناس وأبعدهم مجلسا من رسول الله يوم القيامة المتكبرون:

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ مِنْ أَحْبَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنِكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضِكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَثَارُونَ وَالتُّشْدُقُونَ وَالتُّفَيْهِقُونَ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرَثَارُونَ وَالتُّشْدُقُونَ، فَمَا التُّفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: التُّكَبَّرُونَ»<sup>(١)</sup>.

## ٣- المتكبر يلقى الله تعالى وهو عليه غضبان:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ تَعَزَّمَ فِي نَفْسِهِ أَوْ اخْتَالَ فِي مَشِيئِهِ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانٌ»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه الترمذي (٢٠١٨) وحسنه.

(٢) رواه أحمد (٥٩٥٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٦/١) رجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٩١٨).

## ٤- يحشر المتكبرون يوم القيامة في غاية الذل والمهانة:

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه عن النبي صلوات الله عليه قال: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرَّجَالِ، يَغْشَاهُمْ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيَسْأَقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْبِيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عَصَاةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْحَبَالِ»<sup>(١)</sup>.

قوله: (يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ) والذر النمل الأحمر الصغير. قاله في النهاية. (يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ) أي في الصغر والحقارة (فِي صُورِ الرَّجَالِ) يعني صورهم صور الإنسان وأجسامهم كأجسام الذر في الصغر (يَغْشَاهُمْ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ) والمعنى أنهم يكونون في غاية من المذلة والنقيصة يطأهم أهل المحشر بأرجلهم من هوانهم على الله. (يُسْأَقُونَ إِلَى سِجْنٍ يُسَمَّى بُولَسَ تَعْلُوهُمْ) أي تحيط بهم وتغشاهم (نَارُ الْأَنْبِيَارِ، وَيُسْقَوْنَ مِنْ عَصَاةِ أَهْلِ النَّارِ) وهو ما يسيل منهم من الصديد والقيح والدم<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه الترمذي (٢٤٩٢) وقال: حسن صحيح.

(٢) تحفة الأحوذى (١٦٢/٧) بتصرف.

ولأن المتكبر يأخذ حجما في الدنيا أكبر من حجمه، فإن الله تعالى يعاقبه يوم القيامة بإذلاله أمام الناس، ويحشر كأمثال الذر.

### ٥- الكبر من أسباب المنع من دخول الجنة:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ». قال رجل: إن الرجل يجب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة. قال: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ بَطْرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ»<sup>(١)</sup>.

### ٦- المتكبرون متوعدون بالنار:

عن حارثة بن وهب الخزاعي رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ، كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ، كُلُّ عُتْلٍ جَوَاطِظٍ مُسْتَكْبِرٍ»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه مسلم (٩١).

(٢) رواه البخاري (٤٩١٨) ومسلم (٢٨٥٣).

قال النووي: (الْعُتْلُ): الجافي الشديد الخصومة بالباطل،  
وقيل: الجافي الفظ الغليظ<sup>(١)</sup>.

(جَوَاطٍ): هو الجموع المنوع، وقيل كثير اللحم المختال  
في مشيته. وقيل غير ذلك<sup>(٢)</sup>.

(عُتْلٌ): هو الشديد الجافي والغليظ من الناس<sup>(٣)</sup>.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: «اِحْتَجَّتْ  
النَّارُ وَالْجَنَّةُ فَقَالَتِ النَّارُ: يَدْخُلْنِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ  
وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلْنِي إِلَّا ضِعْفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ؟  
فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلنَّارِ أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ وَرَبِّيَا  
قَالَ أُصِيبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ وَقَالَ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ  
مَنْ أَشَاءُ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مَلُؤُهَا»<sup>(٤)</sup>.

قوله: (اِحْتَجَّتْ) أي اختصمت كما في رواية للبخاري<sup>(٥)</sup>.

(١) شرح النووي على مسلم (١٧/١٨٧).

(٢) تحفة الأحمدي (٧/٢٧٩).

(٣) حاشية السندي على ابن ماجه.

(٤) رواه البخاري (٤٨٥٠) مسلم (٢٨٤٦) واللفظ له.

(٥) برقم (٧٤٤٩).

قال ابن حجر: «بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ» قيل: هما بمعنى، وقيل: المتكبر المتعظم بما ليس فيه والمتجبر الممنوع الذي لا يوصل إليه وقيل: الذي لا يكثرث بأمر.. «ضُعْفَاءَ النَّاسِ وَسَقَطَهُمْ» أي المحققون بينهم الساقطون من أعينهم، هذا بالنسبة إلى ما عند الأكثر من الناس، وبالنسبة إلى ما عند الله هم عظماء رفعا الدرجات، لكنهم بالنسبة إلى ما عند أنفسهم لعظمة الله عندهم وخضوعهم له في غاية التواضع لله والذلة في عباده، فوصفهم بالضعف والسقط بهذا المعنى صحيح، أو المراد بالحصص في قول الجنة «إِلَّا ضُعْفَاءَ النَّاسِ» الأغلب<sup>(١)</sup>.

## ٧- المتكبرون متوعدون بدخول جهنم صاغرين:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ ۗ﴾<sup>(٧١)</sup> قِيلَ ادْخُلُوا

(١) فتح الباري (٨/٥٩٧).

أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧١﴾  
[الزمر: ٧١ - ٧٢].

وقال: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].  
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَارَعَني وَاحِدًا مِنْهُمَا قَدَفْتُهُ فِي النَّارِ »<sup>(١)</sup>.

فالكبرياء والعظمة لا يليقان إلا بالله عز وجل فإذا تكبر العبد فقد نازع الله تعالى فيما لا يليق إلا به، فاستحق أن يقذفه الله تعالى في النار.

(١) رواه أبو داود (٤٠٩٠)، وصححه الألباني.



## علاج الكبر

اعلم أن الكبر من المهلكات، وإزالته فرض عين، ولا يزول الكبر بمجرد التمني بل بالمعالجة، فمن علاج الكبر:

### ١- استئصال أصل الكبر من القلب:

بأن يعرف نفسه ويعرف ربه تعالى، فإنه إذا عرف نفسه حق المعرفة علم أن لا يليق به إلا التواضع، وإذا عرف ربه حق المعرفة علم أن الكبرياء والعظمة لا تليق إلا بالله.

فمعرفة بنفسه أن يتفكر في بداية خلقه ونهايته ووسطه.

أما بداية خلقه فإن الله خلقه نطفة قدرة، من ماء مهين، ثم من علقه، ثم من مضغة، ثم جعله عظماً، ثم كسا العظام لحماً.

فهذه بداية خلقه، فلم يُخلق في ابتدائه خلقاً كاملاً، بل بدأ بموته قبل حياته، وبضعفه قبل قوته، وبجهله قبل علمه، وبضلاله قبل هدايه، وبفقره قبل غناه، فمن أين له البطر والكبرياء، والفخر والخيلاء!!

ثم إذا خرج إلى هذه الحياة الدنيا سلط الله عليه الأمراض والآفات تنال منه شاء أم أبى. فيجوع كرها، ويعطش كرها، ويمرض كرها، ويموت كرها، يريد أن يعلم الشيء فيجهله، ويريد أن يذكر الشيء فينساه، ويريد أن ينسى الشيء فيذكره، فهو عبد مملوك لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا خيراً ولا شراً.

فأي شيء أذل منه لو عرف نفسه؟!!

وأما آخر حاله فهو الموت فيسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وإدراكه وحركته فيعود جهادا كما كان أول مرة، ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منتنة قدرة.

وليته بقي كذلك بل يحيه بعد طول البلى ليقاسي شديد البلاء، فيخرج من قبره إلى أهوال القيامة، وينشر له كتاب أعماله ويقال له: ﴿ أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٤]. فإذا شاهده قال: ﴿ وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَىٰ الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوتِلْنَا مَالٌ هَذَا الْكِتَابُ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩].

قال الأحنف: (عجبت لمن يجري من مجرى البول مرتين كيف يتكبر!؟)<sup>(١)</sup>.

رأى مطرف بن الشخير يزيد بن المهلب يسحب حلته فقال له: إن هذه مشية يبغضها الله قال: أو ما تعرفني؟ قال: بلى أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قدرة وأنت بين ذلك تحمل العذرة<sup>(٢)</sup>.

وقد نظم هذا المعنى أبو محمد عبد الله بن محمد البسامي الخوارزمي فقال:

عجبتُ من مُعْجَبٍ بِصورتِهِ  
وكان من قَبْلِ نطفَةٍ مَذْرَةٍ<sup>(٣)</sup>  
وفي غَدٍ بعد حَسَنِ صورتِهِ  
يَصِيرُ في الأَرْضِ جِيفَةً قَذْرَهُ  
وهو على عَجْبِهِ ونَحْوَتِهِ  
ما بين ثوبِيهِ يَحْمَلُ العَذْرَهُ<sup>(٤)</sup>

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ٥٠٥)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٩٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠٥).

(٣) مذرة أي قدرة، القاموس المحيط (١/ ٦٠٩).

(٤) وفيات الأعيان (٦/ ٢٨٤).

وقال آخر:

يا مُظهِرَ الكِبْرِ إعْجَاباً بِصُورَتِهِ  
 مهلاً فَإِنَّكَ بَعْدَ الكِبْرِ مَسْلُوبٌ  
 لو فِكرَ النَّاسِ فِيمَا فِي بَطُونِهِمْ  
 ما اسْتَشْعَرَ الكِبْرَ شَبَابٌ وَلَا شَيْبٌ  
 يا ابْنَ التَّرَابِ وَمَأْكُولَ التَّرَابِ غَدًا  
 أَقْصِرْ فَإِنَّكَ مَأْكُولٌ وَمَشْرُوبٌ

## ٢- النظر والتأمل في الأسباب التي تكبر بها، وإدراكه أنه لا يليق به التكبر بها.

من يعتريه الكبر من جهة النسب فليصلح قلبه بمعرفة أن هذا جهل من حيث أنه تكبر بكمال غيره.  
 وكيف يليق بعاقل أن يتكبر بكمال غيره؟!

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال انتسب رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان فمن أنت لا أم لك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انتسب رجلان على عهد موسى عليه السلام فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان حتى عدت تسعة فمن أنت لا أم لك، قال: أنا فلان بن فلان ابن

الإِسْلَام، قَالَ: فَأَوْحَى اللهُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ هَذَيْنِ الْمُتَسَبِّئِينَ أَمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الْمُتَمَيِّ أَوْ الْمُتَسَبِّبُ إِلَى تِسْعَةٍ فِي النَّارِ فَأَنْتَ عَاشِرُهُمْ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا هَذَا الْمُتَسَبِّبُ إِلَى اثْنَيْنِ فِي الْجَنَّةِ فَأَنْتَ ثَالِثُهُمَا فِي الْجَنَّةِ»<sup>(١)</sup>.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُيْبَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَرَهَا بِالْأَبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لِيَدَعَنَّ رِجَالَ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ أَوْ لِيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا اللَّتِنَ»<sup>(٢)</sup>.

(عُيْبَةُ الْجَاهِلِيَّةِ) أي فخرها وتكبرها ونخوتها. (مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ): قال الخطابي: (معناه أن الناس رجلان مؤمن تقي فهو الخير الفاضل وإن لم يكن حسيبا في قومه، وفاجر شقي فهو الدني وإن كان في أهله شريفا رفيعا). وقيل: معناه أن المفتخر المتكبر إما مؤمن تقي فإذن لا ينبغي

(١) رواه أحمد (٢٠٦٧٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٢٧٠).

(٢) رواه أبو داود (٥١١٦)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٧٨٧).

له أن يتكبر على أحد، أو فاجر شقي فهو ذليل عند الله والذليل لا يستحق التكبر فالتكبر منفي بكل حال (أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ): أي فلا يليق بمن أصله التراب النخوة والكبر (لَيْدَعَنَّ): بلام مفتوحة في جواب قسم مقدر أي والله ليتركن كذا قيل (إِنَّمَا هُمْ): أي أقوام (أَوْ لَيَكُونُنَّ): بضم النون الأولى والضمير الفاعل العائد إلى رجال وهو واو الجمع محذوف من ليكونن والمعنى ليصيرن (أَهْوَنَ): أي أذل (عَلَى اللَّهِ): أي عنده (مِنْ الْجُعْلَانِ): بكسر الجيم وسكون العين جمع جُعَلٌ بضم جُعل فتحة دويبة سوداء تدير الخراء بأنفها (الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا التَّنَّ): أي العذرة<sup>(١)</sup>.

عن أبي ریحانة رضي الله عنه أن رسول الله صلی الله علیه وسلم قال: «مَنْ انْتَسَبَ إِلَى تِسْعَةِ آبَاءٍ كُفَّارٍ يُرِيدُ بِهِمْ عِزًّا وَكِرْمًا فَهُوَ عَاشِرُهُمْ فِي النَّارِ»<sup>(٢)</sup>. قال الحافظ في الفتح: إسناده حسن<sup>(٣)</sup>.

(١) عون المعبود (١٦/١٤).

(٢) رواه أحمد (١٦٧٦١).

(٣) فتح الباري (٥٥١/٦).

ومن تكبر بسبب العلم فليعلم أن حجة الله على أهل العلم آكد، وأن من عصى الله على علم فجنايته أعظم.

وليعلم أن الكبر لا يليق إلا بالله تعالى، فإذا تكبر صار ممقوتاً عند الله بغيضاً، فهذا مما يزيل التكبر ويبعث على التواضع.

وليعلم أن التكبر بالعمل والعبادة فتنة عظيمة على العباد.

قال أبو هريرة رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاحِشَيْنِ فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ: أَقْصِرْ، فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلَنِي وَرَبِّي أَبْعَثْ عَلَيَّ رَقِيبًا، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ. فَقبَضَ أَرْوَاحَهُمَا فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ هَذَا الْمُجْتَهِدُ: أَكُنْتُ بِي عَالِمًا أَوْ كُنْتُ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا، وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ». قال أبو هريرة رضي الله عنه: (والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته) <sup>(١)</sup>.

(١) رواه أبو داود (٤٩٠١)، وصححه الألباني.

وقال أبو يزيد البسطامي: ما دام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر<sup>(١)</sup>.

وقد وصف الله تعالى السابقين إلى الخيرات بأنهم يعملون الطاعات وهم على وجل وخوف أن لا يقبل الله منهم. قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ [المؤمنون: ٦٠-٦١].

عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ قالت: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: «لَا يَا بِنْتَ الصَّدِيقِ وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/١٧).

(٢) رواه الترمذي (٣١٧٥) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/٣٠٤).



### ٣- الدعاء والاستعانة بالله تعالى:

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة، فقال: «الله أكبر كبيراً الله أكبر كبيراً الله أكبر كبيراً وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ثَلَاثًا، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ نَفْخِهِ وَنَفْثِهِ وَهَمْزِهِ قَالَ: نَفْثُهُ الشَّعْرُ، وَنَفْخُهُ الْكِبْرُ، وَهَمْزُهُ الْمَوْتَةُ»<sup>(١)</sup>.

### ٤- التواضع:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنتطق به حيث شاءت<sup>(٢)</sup>.  
قال ابن حجر:

(فتنتطق به حيث شاءت) في رواية أحمد (فتنتطق به في حاجتها).

(١) رواه ابن حبان (١٧٨٠)، والطبراني (١٥٦٨)، وصححه الألباني في صحيح الكلم الطيب (٨٠).

(٢) رواه البخاري (٦٠٧٢).

وقد اشتمل على أنواع من المبالغة في التواضع لذكره المرأة دون الرجل، والأمة دون الحرة، وحيث عمم بلفظ الإمام أي أمة كانت، وبقوله (حيث شاءت) أي من الأمكنة. والتعبير بالأخذ باليد إشارة إلى غاية التصرف حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة والتمست منه مساعدتها في تلك الحاجة على ذلك، وهذا دال على مزيد تواضعه وبراءته من جميع أنواع الكبر صلى الله عليه وسلم (١).

عن الأسود قال: سألت عائشة رضي الله عنها ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله. تعني خدمة أهله فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة (٢).

قال ابن حجر:

(في مهنة أهله) وقد فسرها في الحديث بالخدمة، والمراد بالأهل نفسه أو ما هو أعم من ذلك. وقد وقع مفسرا في الشرائع للترمذي من طريق عمرة عن عائشة بلفظ: (ما كان إلا بشرا

(١) فتح الباري (١٠/٤٩٠).

(٢) رواه البخاري (٦٧٦).

من البشر: يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه) ولأحمد وابن حبان من رواية عروة عنها "يخيط ثوبه، ويخصف نعله". وفيه الترغيب في التواضع وترك التكبر وخدمة الرجل أهله<sup>(١)</sup>.

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: تقولون فيّ التيه وقد ركبت الحمار ولبست الشملة وقد حلبت الشاة، وقد قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: «مَنْ فَعَلَ هَذَا فَلَيْسَ فِيهِ مِنَ الْكِبْرِ شَيْءٌ»<sup>(٢)</sup>.

(فيّ التيه) الكبر أي في نفسي الكبر (وقد ركبت الحمار ولبست الشملة) هو كساء يتغطى به ويتلفف فيه (من فعل هذا) أي المذكور من ركوب الحمار ولبس الشملة وحلب الشاة (فليس فيه من الكبر شيء) فإن هذه الأفعال لا يأنف منها إلا المتكبرون<sup>(٣)</sup>.

عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه مر في السوق وعليه حزمة من حطب، فقيل له: ما يحملك على هذا وقد أغناك الله عن

(١) فتح الباري (٢/١٦٣).

(٢) رواه الترمذي (٢٠٠١) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٣) تحفة الأحوذى (٦/١١٨).

هذا؟ فقال: أردت أن أدفع الكبر عن نفسي، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال خردلة من كبر»<sup>(١)</sup>.

---

(١) رواه الطبراني (١٢٩)، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٧/١).

## الخاتمة

قال ابن القيم:

(أصول الخطايا كلها ثلاثة: الكبر: وهو الذي أصر إبليس إلى ما أصره، والحرص: وهو الذي أخرج آدم من الجنة، والحسد: وهو الذي جرَّأ أحد ابني آدم علي أخيه. فمن وُقِيَ شَرَّ هذه الثلاثة فقد وُقِيَ الشر، فالكفر من الكبر، والمعاصي من الحرص، والبغي والظلم من الحسد)<sup>(١)</sup>.

نسأل الله أن يجعلنا من الذين يتواضعون له وخلقهم، ويعافينا من الكبر وأهله، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مَحْرَصَاتُ الْمَجْدِ

## اختبر فهمك

بين يدك مستويين من الأسئلة، أسئلة مباشرة وأخرى تحتاج منك إلى تأمل وإمعان نظر.

### أسئلة المستوى الأول المباشرة:

- ١- عرف الكبر في اللغة .
- ٢- عرف النبي ﷺ الكبر تعريفاً جامعاً مانعاً، فما هو تعريفه؟.
- ٣- للكبر أسباب متعددة، فما هي أسبابه؟.
- ٤- بِمَ يحصل الكبر؟.
- ٥- ما هي أصول الخطايا؟.

### أسئلة المستوى الثاني الاستنباطية:

- ١- ما الفرق بين الكبر والعجب؟.
- ٢- متى يكون العلم سبباً للكبر؟.
- ٣- بماذا يعاقب المتكبر في الدنيا؟.
- ٤- بماذا يعاقب المتكبر في الآخرة؟.
- ٥- كيف نعالج المتكبر؟.

## المحتويات

٥	.....	مقدمة
٧	.....	تعريف الكبر
١١	.....	الفرق بين الكبر والعجب
١٢	.....	أسباب الكبر
١٦	.....	بماذا يحصل الكبر
٢٤	.....	أمثلة من المتكبرين الذين صرفهم الكبر عن اتباع الحق
٢٨	.....	آثار الكبر على السلوك
٣٩	.....	عقوبة المتكبر
٥٠	.....	علاج الكبر
٦٢	.....	الخاتمة
٦٣	.....	اختبر فهمك
٦٤	.....	المحتويات

سلسلة أعمال القلوب (٥)

اتباع الهوى



ح) مجموعة زاد للنشر ١٤٣٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المنجد ، محمد صالح

اتباع الهوى ، محمد صالح المنجد - الخبر - ١٤٣٠ هـ

٥٤ ص ، ١٧×١٢ سم

ردمك : ٩-١٤-٨٠٤٧-٦٠٣-٩٧٨

١- الوعظ والإرشاد أ. العنوان

ديوي : ٢١٣ ١٤٣٠/٤٠٤٩

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



للنشر

المملكة العربية السعودية

الخبر - هـ: ٨٦٥٥٣٥٥

جدة - هـ: ٦٩٢٩٢٤٢

ص.ب: ١٢٦٢٧١ جدة: ٢١٣٥٢

[www.zadgroup.net](http://www.zadgroup.net)

مَجْلَدُ صَالِحِ الْمُنَجِّدِ

سلسلة أعمال القلوب (٥)

# اتباع الهوى



١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فإن اتباع الهوى عن الخير صاد، وللعقل مضاد، لأنه يُنتج من الأخلاق قبائحها، ويُظهر من الأفعال فضائحها، ويجعل ستر المروءة مهتوكاً، ومدخل الشر مسلوفاً.

الهوى مطية الفتنة، والدنيا دار المحنة، فانزل عن الهوى تسلم، وأعرض عن الدنيا تغنم، ولا يغرنك هواك بطيب الملاهي، ولا تفتنك الدنيا بحسن العواري، فمدة اللهو تنقطع، وعارية الدهر تُرتجع، ويبقى عليك ما تركته من المحارم، وتكتسبه من المآثم.

الهوى هو العدو الأعظم الذي يجب على الإنسان أن يقاتله ويحاربه أشد مما يحارب أي عدو، يقول أبو حازم: (قاتل هواك أشد مما تقاتل عدوك)<sup>(١)</sup>.

---

(١) حلية الأولياء (٣/٢٣١).

الهوى هو أساس كل فتنة، وسبب كل بلية، قال سفيان الثوري:

يَا نَفْسُ تُؤَيِّبِي فَإِنَّ الْمَوْتَ قَدْ حَانَ  
وَاعْصِي الْهَوَى فَاْلْهَوَى مَا زَالَ فَتَانًا

ولما كان هذا شأن الهوى وجب الحديث عنه حتى نبتعد عن هذا المرض الخطير والشر المستطير.

وستتطرق في هذا الكتاب إلى تعريف الهوى، وأضراره، وفوائد مخالفته، وأسباب اتباعه، وطرق علاجه، والفرق بين المحمود منه والمذموم.

ولا يفوتني أن أشكر كل من ساهم في إعداد هذه المادة وإخراجها بالصورة المرضية. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مجمع صالح المنجد

## تعريف الهوى

### الهوى في اللغة:

مصدر (هَوَيْه) إذا أَحَبَّه واشتَهاه<sup>(١)</sup>.

### الهوى في الاصطلاح:

الهوى: (ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع)<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن القيم: (الهوى ميل الطبع إلى ما يلائمه، وهذا الميل خُلِقَ في الإنسان لضرورة بقائه، فإنه لو لا ميله إلى المطعم والمشرب والمنكح ما أكل ولا شرب ولا نكح، فالهوى مستحث لها لما تريده هذه النفس، كما أن الغضب دافع عنه ما يؤذيه)<sup>(٣)</sup>.

(١) المغرب في ترتيب المعرب (٢/ ٣٩٢).

(٢) التعريفات للجرجاني (٣٢٠).

(٣) روضة المحبين (٤٦٩).

## النهي عن اتباع الهوى

تواطأت الأدلة الشرعية على النهي عن اتباع الهوى، وقد نهجت هذه الأدلة أكثر من منهج وطريق لأجل ذلك:

### أ- فتارة يأتي الدليل في النهي عن الهوى مطلقاً:

قال تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَّ أَنْ تَعْدِلُوا﴾ [النساء: ١٣٥].

وقال تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىَّ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

### ب- وتارة يأتي الدليل في النهي عن اتباع أهواء أهل الكفر والضلال:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِنَتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٠].

وأمر سبحانه نبيه أن يقول للكفار: ﴿قُلْ لَا آتِئِعْ أَهْوَاءَ كُفْرًا قَدْ ضَلَلْتُمْ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ٥٦].

وقال جل شأنه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

وقال ﷺ: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقال سبحانه: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [الشورى: ١٥].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا نُطِيع مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

فأضاف الله ﷻ الهوى إلى الكفار والمشركين؛ لأن أهواءهم ضالة عن الحق، بخلاف المؤمن، فإن الكافر هواه كله باطل، والمؤمن قد يرتقي هواه حتى يصير موافقاً لما أمر به سبحانه، وتابعاً لما جاء به النبي ﷺ، فإذا مال إلى شيء كان ذلك الشيء سنة وطاعة، وعلى أدنى الأحوال قد يكون مباحاً. قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَنْ زُرِّي لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٤].



### ج - وتارة يرد الدليل بدم الهوى المضاف إلى النفس الأمانة بالسوء:

عن أبي يعلى شداد بن أوس رضي عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه:  
 «العَاجِزُ مَنْ أَتَبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا»<sup>(١)</sup>.

### د - وقد يرد الدليل بدم الهوى المضاف إلى القلب:

عن حذيفة رضي عنه: سمعت رسول الله صلوات الله عليه يقول: «تُعْرَضُ  
 الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نَكِتَ  
 فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نَكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ، حَتَّى  
 تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلِ الصَّفَا، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ  
 السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ أَسْوَدٌ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ مُجْحِيًا، لَا  
 يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ»<sup>(٢)</sup>.  
 فأضاف الهوى إلى القلب.

(١) رواه ابن ماجة (٤٢٦٠) وصححه الحاكم.

(٢) رواه مسلم (١٤٤).

## متى يعاقب الإنسان على هواه؟

الهوى والشهوة شيء ملازم للإنسان، لا يستطيع مفارقتها ولا تركه، فالله جبل النفس البشرية على ذلك، فهل يعاقب الإنسان على هواه وشهوته كلما هوى واشتهى؟! وهل الإنسان مطالبٌ باستخراج الهوى من نفسه وقلبه، ونبذه خارجاً عنه؟!.

أم أن لذلك ضوابطاً وحدوداً؟!.

قال ابن تيمية: (نفس الهوى والشهوة لا يعاقب عليه، بل على اتباعه والعمل به، فإذا كانت النفس تهوى وهو ينهاها كان نهيها عبادة لله وعملاً صالحاً<sup>(١)</sup>).

فهذه هي حال المسلم الصادق؛ لا تزال نفسه تأمره بكذا وكذا، وهو يجاهدها وينهاها عن مساوئ شهواتها، ويخاف ربه في تلك المقامات التي تأمره بها، ومن كانت هذه حاله فله

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٦٣٥).

الجزء الحسن، قال سبحانه: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى  
النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: ٤٠ -  
٤١].

فالهوى لا يعاقب عليه إلا عند العمل به، فالرجل قد يهوى  
المعصية ويتمناها، فإذا صدق ذلك بالعمل حوسب على هواه  
وعمله.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُتِبَ عَلَىٰ ابْنِ آدَمَ  
نَصِيْبُهُ مِنَ الزَّوْنِ، مُدْرِكُ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ؛ فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظْرُ،  
وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الْاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا  
الْبَطْشُ، وَالرَّجُلُ زِنَاهَا الْخَطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى،  
وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيَكْذِبُهُ»<sup>(١)</sup>.

## أسباب اتباع الهوى

إن اتباع الهوى له أسباب عدة تدعو الناس إليه، فلماذا يتبع الناس أهواءهم؟، ولماذا يعرضون عن الحق واتباع الصراط المستقيم؟.

لذلك عدة أسباب، منها:

### أولاً: عدم التعود على ضبط الهوى من الصغر:

قد يلقي الطفل في صغره من أبويه حباً مفرطاً، وحناناً زائداً، حيث يليان له جميع رغباته، ويأتيانه بكل ما يشتهيهِ ويتمناه، لا يفرقان بين حرام وحلال، أو بين ممنوع ومسموح.

فإذا نام عن صلاة الفجر تركه والداه وقالوا: مرهق نعان، وإذا أراد لعبةً من الألعاب أتياه بها وتغاضيا عما فيها من الموسيقى أو المناظر الخليعة، وللفتى سائق خاص، وللفتاة غرفة مستقلة مع طبق استقبال.

فينشأ الطفل على اتباع هواه، كلما أراد شيئاً حصَّله وفعله، لا

يردعه رادع، ولا يمنعه وازع، حتى إذا بلغ مبلغ التكليف انطلق هواه شرقاً وغرباً، وركضت جوارحه خلف هواه لتحقيق تلك الأمانى والأحلام، خاصةً مع فترة المراهقة، فيفعل الجرائم العظام، والأمور الكبار، وليس من سبيلٍ لدفعه عن ذلك ولا منعه.

وقد عمل الصحابة رضي الله عنهم في تربية أبنائهم على اعتياد ضبط النفس منذ الصغر، فكانوا يحاولون معهم في الصيام، والصلاة، والحج، وغير ذلك من الأمور الشرعية.

عن الربيع بنت معوذ رضي الله عنها قالت: أرسل النبي صلى الله عليه وسلم غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: «مَنْ أَصْبَحَ مُفْطِراً فَلَيْتَمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ، وَمَنْ أَصْبَحَ صَائِماً فَلْيَصُمْ». قالت: فكنا نصومه بعد، ونصوم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار<sup>(١)</sup>.

وتربية الطفل على نيل ما يتمناه لا تعود عليه بالضرر الديني

(١) رواه البخاري (١٩٦٠) ومسلم (١١٣٦).

فقط، بل هي ضارة له في دنياه، فقد يصيب الأهل شيئاً من مصائب الدنيا وجوائحها، فيذهب عنهم ما لهم، ويضيق عليهم معيشتهم، أو قد يتوفى معيل الأسرة، ففي ذلك الوقت كيف ستلبي لهذا الطفل رغباته؟! وكيف سينال أمانيه وأحلامه؟!.

ثم بعد ذلك إذا خاض غمار الحياة ومعتزكها سيجد أن أهله ليسوا قادرين على إعطائه كل ما يتمناه، خاصة إذا دخل مرحلة الاستقلال بالنفس، وبناء بيت الزوجية، فسيتمنى أن يعمل عملاً معيناً ولا يستطيع الوصول إليه.

وكذلك الفتاة التي تعودت على الدلال والرفاهية، قد تتزوج شخصاً ليس في مستوى أهلها المالي، فتتبرم من ذلك وتتأفف، وقد تعير زوجها بأنه فقير، وتدخل حياتها في دوامة من الصراعات والنزاعات التي تفسد عليها استقرارها النفسي، وراحتها مع زوجها.

### ثانياً: مجالسة أهل الأهواء ومصاحبتهم:

إن العواطف والدوافع تنمو بالمجالسة وطول الصحبة، فمن لازم مجالسة أهل الهوى وأدام صحبتهم فلا بد أن يتأثر

بهم، لاسيما إن كان ضعيف الشخصية وعنده قابلية للتأثر  
بمن حوله دون حساب.

ولذلك كان السلف ينهون عن مجالسة أهل البدع والأهواء،  
قال أبو قلابة: (لا تجالسوا أصحاب الأهواء ولا تجادلوهم؛  
فإني لا آمن أن يغمسوكم في الضلالة، أو يلبسوا عليكم في  
الدين بعض ما لبس عليهم)<sup>(١)</sup>.

وقال مجاهد: (لا تجالسوا أهل الأهواء)<sup>(٢)</sup>، ومثله عن  
قيس بن إبراهيم<sup>(٣)</sup>.

### ثالثاً: ضعف المعرفة بالحقة بالله والدار الآخرة:

الذي لا يقدر ربه حق قدره لا يبالي إذا أغضبه أو عصاه  
أو خالف أمره، ليس في قلبه توقيرٌ لله ولا تعظيمٌ: ﴿وَمَا  
قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(١) السنة لعبد الله بن أحمد (٩١).

(٢) التنبيه والرد للملطي (٨٦).

(٣) حلية الأولياء (٤/٢٢٢).

وَالسَّمَكَاثُ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحٰنَهُ ۗ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ [الزمر: ٦٧].

### رابعاً: عدم قيام الآخرين بما يجب عليهم نحو صاحب الهوى:

تقصير الناس في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي إلى تمادي صاحب الهوى في هواه، ومضيه في طريقه بلا مبالاة، حتى يتمكن الهوى من قلبه، ويسيطر على سلوكياته وتصرفاته.

ولذلك جاء الإسلام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال سبحانه: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال جل شأنه: ﴿ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ [النساء: ٦٣].

فإذا تعود الناس كافةً على إنكار المنكر كان رادعاً لأصحاب الهوى عن التمادي في طريقهم.



### خامساً: حب الدنيا والركون إليها:

من أحب الدنيا، وركن إليها، ونسي الآخرة؛ يتولد عنده سعي حثيث لتلبية كل ما يفرضه هذا الحب وذلك الركون، حتى وإن كان مخالفاً لمنهج الله، وذلك بعينه هو اتباع الهوى.

وقد لفت المولى النظر إلى هذا السبب، فقال **عَلَيْكَ**: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا وَهُمْ مِنَ النَّارِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧-٨].

### سادساً: المسارعة في الحصول على ما تشتهيهِ النفس من المباحات:

الإنسان متى ما دعته نفسه إلى شيءٍ من المباحات أسرع إلى إجابتها، وقد كان أهل العلم يربون طلابهم على مخالفة ما تهواه أنفسهم من المباحات.

دخل خلف بن خليفة على سليمان بن حبيب بن المهلب بالأهواز، وعند سليمان جارية له يقال لها: البدر، من أحسن الجوارى وجهاً وأكمله، فقال سليمان لخلف: كيف ترى هذه الجارية؟ فقال: أصلح الله الأمير، ما رأيت عيناى جارية قط

أحسن منها. فقال: خذ بيدها. فقال خلف: ما كنت لأفعل  
ولا أسلبها الأمير وقد عرفت عجبها. فقال: خذها -  
ويحك - على عجبها؛ ليعلم هوأي أني غالب!!<sup>(١)</sup>.

فحرمان النفس من بعض المباحات لأجل التعويد على الصبر  
يعود عليها بالنعف، خاصةً إذا واجهت شهواتها وأمانيتها  
المحرمة، ولكن إذا كانت قد عُوِّدت على نيل المباحات فإنها  
تضعف أمام المحرمات.

### سابعاً: الجهل بالعواقب المترتبة على اتباع الهوى:

الجهل بعاقبة الشيء داعٍ إلى ممارسته، وللهوى أضرار  
ومفاسد قد تدفع صاحب الهوى إلى ترك هواه إذا علمها.

أنشد أحمد بن القاسم الطبراني:

سَأَحْذِرُ مَا يُخَافُ عَلَيَّ مِنْهُ

وَأَتْرُكُ مَا هَوَيْتُ لِمَا خَشِيتُ<sup>(٢)</sup>

(١) ذم الهوى (٢٦).

(٢) تاريخ دمشق (٧/٣٧٢).

## أضرار اتباع الهوى

الهوى له أضراره الكثيرة، العاجلة والآجلة، والتي تمنع على الإنسان التلذذ بهواه، وتنسيه ما كان قد تنعم به.

قال علي بن أبي طالب عليه السلام: (إياكم وتحكيم الشهوات على أنفسكم؛ فإن عاجلها ذميم، وآجلها وخيم، فإن لم ترها تنقاد بالتحذير والإرهاب، فسوفها بالتأميل والإرغاب، فإن الرغبة والرغبة إذا اجتمعا على النفس ذلت لها وانقادت)<sup>(١)</sup>.

### فما هي أضرار اتباع الهوى:

#### خسران الآخرة:

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ [النازعات: ٣٧-٤١].

(١) أدب الدنيا والدين (٢١).

قال الشعبي: (سمي الهوى هوىً لأنه يهوي بصاحبه في النار)<sup>(١)</sup>.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: (من كان الأجوفان همّه خسر ميزانه يوم القيامة)<sup>(٢)</sup>، ويقصد بالأجوفين: شهوة البطن، وشهوة الفرج.

وصاحب الهوى تراه في ذلك اليوم متخبطاً بسبب هواه، ويصرع عن النهوض يوم القيامة عن السعي مع الناجين، كما صرّع في الدنيا بمرافقته لأهل الأهواء. قال محمد بن أبي الورد: (إن لله عز وجل يوماً لا ينجو من شره منقاد لهواه، وإنّ أبطأ الصرعى نهضةً يوم القيامة صريعُ الشهوة)<sup>(٣)</sup>.

وقال عطاء: (من غلب هواه عقله، وجزعه صبره افتضح)<sup>(٤)</sup>. أي: افتضح يوم الدين الفضيحة الكبرى، بخسرانه الآخرة ودخوله النار.

(١) سنن الدارمي (٣٩٥).

(٢) الزهد لابن المبارك (٦١٢).

(٣) صفة الصفوة (٢/٣٩٥).

(٤) ذم الهوى (٢٧).

وقال إبراهيم بن أدهم: (الهوى يردي، وخوف الله يشفي، واعلم أن ما يزيل عن قلبك هواك إذا خفت من تعلم أنه يراك)<sup>(١)</sup>.

### الهوى يقود إلى الضلال:

أصل كل ضلال اتباع الظن والهوى، قال سبحانه في أصحاب الضلال: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ [النجم: ٢٣]؛ فلأجل اتباعهم الظن وهوى النفس وقعوا في الضلال.

ولا يكتفي الهوى بإضلال صاحبه؛ بل يتعداه إلى إضلال الآخرين وإبعادهم عن الطريق، قال عليه السلام: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١١٩] أي: يضلون غيرهم بسبب هواهم.

(١) حلية الأولياء (٨/١٨).

### عدم الانتفاع بالقرآن والمواظب:

الهوى يصد عن فهم القرآن والانتفاع بمواعظه وأحكامه، وقد كان أصحاب الأهواء يستمعون القرآن من في النبي ﷺ مباشرة، ومع ذلك لم يكونوا ينتفعون به، يقول الله تعالى عنهم: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٦].

فعدم الاستجابة لأوامر القرآن والسنة هي دليل اتباع الهوى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [القصص: ٥٠].

وعن علي رضي الله عنه قال: (إنما أخشى عليكم اثنتين: طول الأمل، واتباع الهوى، فإن طول الأمل ينسي الآخرة، وإن اتباع الهوى يصد عن الحق. وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة، وإن الآخرة مقبلة، ولكل واحدةٍ منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة؛ فإنَّ اليوم عملٌ ولا حساب، وغداً حسابٌ ولا عمل) (١).

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣٤٤٩٥).

### يفسد القلب ويحول بينه وبين السلامة:

قال ابن القيم: (والقلب لا يتم سلامته مطلقاً حتى يسلم من خمسة أشياء: من شرك يناقض التوحيد، وبدعة تخالف السنة، وشهوة تخالف الأمر، وغفلة تناقض الذكر، وهوى يناقض التجريد، والإخلاص يعم، وهذه الخمسة حجب عن الله، وتحت كل واحد منها أنواع كثيرة لا تحصر، ولذلك اشتدت حاجة العبد بل ضرورته إلى أن يسأل الله أن يهديه الصراط المستقيم، فليس العبد أحوج إلى شيء منه إلى هذه الدعوة، وليس شيء أنفع منها)<sup>(١)</sup>.

### سبب لذهاب العقل والعلم:

قال المعتصم يوماً لأبي إسحاق الموصلي: (يا أبا إسحاق، إذا نصر الهوى ذهب الرأي)<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن القيم: (سمعت رجلاً يقول لشيخنا ابن تيمية -

(١) الجواب الكافي (٥٨-٥٩).

(٢) تاريخ بغداد (٢/٣١١).

رحمه الله-: إذا خان الرجل في نقد الدراهم سلبه الله معرفة النقد أو نسيه. فقال الشيخ: هكذا من خان الله تعالى ورسوله في مسائل العلم<sup>(١)</sup>.

فمن اتبع هواه فيها فإن الله عَلَّمَكَ يسلبه العقل والعلم.

### الانسلاخ من الإيمان دون الشعور بذلك:

قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَرَكَهٗ يَلْهَثُ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

قال بعض العلماء: (الكفر في أربعة أشياء: في الغضب، والشهوة، والرغبة، والرغبة، ولقد رأيت منهن اثنتين: رجلاً غضب فقتل أمه، ورجلاً عشق ففتنصر)<sup>(٢)</sup>.

(١) روضة المحبين (٤٨٠).

(٢) ذم الهوى (٢٤).



وكان أحدهم يطوف بالبیت، فنظر إلى امرأة جميلة فمشى إلى جانبها ثم قال:

أَهْوَى هَوَى الدِّينِ وَاللَّذَاتُ تُعْجِبُنِي  
فَكَيْفَ لِي بِهَوَى اللَّذَاتِ وَالدِّينِ

فقلت: دع أحدهما تنل الآخر<sup>(١)</sup>. فلا يمكن الجمع بين الهوى والدين.

### مهلك من المهلكات:

عن أنس رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوَىٌّ مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ»<sup>(٢)</sup>.

وعن وهب بن منبه قال: (أعون الأخلاق على الدين الزهادة في الدنيا، وأوشكها ردى اتباع الهوى، ومن اتباع الهوى الرغبة في الدنيا، ومن الرغبة في الدنيا حب المال والشرف، ومن حب المال والشرف استحلال المحارم، ومن استحلال المحارم يغضب الله،

(١) روضة المحبين (٤٧٩).

(٢) شعب الإيمان (٧٤٥)، وحسنه الألباني.

وغضب الله الداء الذي لا دواء له إلا رضوان الله، ورضوان الله دواء لا يضر معه داء، ومن يريد أن يرضي ربه يسخط نفسه، ومن لا يسخط نفسه لا يرضي ربه، إن كان كلما ثقل على الإنسان شيء من دينه تركه أو شك أن لا يبقى معه شيء<sup>(١)</sup>.

### يفلق على العبد أبواب التوفيق:

قال الفضيل بن عياض: (من استحوذ عليه الهوى واتباع الشهوات انقطعت عنه موارد التوفيق)<sup>(٢)</sup>.

فصاحب الهوى يتخبط في طريقه، ولا يوفق إلى الطريق المستقيم؛ لأنه أعرض عن مصدر الهداية والتوفيق، وصار متبعاً لهواه لا للكتاب والسنة، فكيف يوفق للطريق الصحيح! قال سبحانه: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عَمْرٍو خَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجن: ٢٣].

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣٥١٦٨).

(٢) روضة المحبين (٤٧٩).

### سبب لتلاشي الطاعة وانعدامها:

لأن صاحب الهوى يعزّ عليه ويكبر في نفسه أن يطيع غيره، حتى لو كان خالقه، وبعض الناس ما أوقعهم في الكفر إلا هذا؛ لأن الهوى تمكن من قلبه وملك عليه أقطار نفسه، فصار له أسيرا وموقعا له في الغرور، والإنسان ليس له قلبين في جوفه، فإما أن يطيع ربه، وإما أن يطيع نفسه وهواه وشيطانه.

### سبب للاستهانة بالذنوب والآثام:

فإن المتبع للهوى يقسو قلبه، وإذا قسا القلب استهان بالذنوب والآثام، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلوات الله عليه قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه البخاري (٦٣٠٨).

**سبب للابتداع في الدين:**

قال حماد بن أبي سلمة: (حدثني شيخ للرافضة تاب قال: كنا إذا اجتمعنا واستحسننا شيئاً جعلناه حديثاً)<sup>(١)</sup>.

**سبب لضيق المعيشة وعداوة الناس:**

إن أصل العداوة والشر والحسد الواقع بين الناس من اتباع الهوى، فمن خالف هواه أراح قلبه وبدنه وجوارحه فاستراح وأراح، ومن أطاع هواه عاش عيشة مظلمة، وكره الناس وكرهوه.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (اقدعوا<sup>(٢)</sup> هذه النفوس عن شهواتها، فإنها طلاعة تنزع إلى شرّ غاية، إن هذا الحق ثقيل مريء، وإن الباطل خفيف وبيء، وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة، وربّ نظرة زرعت شهوة، وشهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً)<sup>(٣)</sup>.

(١) الجامع لأخلاق الراوي (١/١٣٨).

(٢) أي: كفوا وامنعوا.

(٣) البيان والتبيين (٤٥٤).

وقال أبو بكر الوراق: (إذا غلب الهوى أظلم القلب، وإذا أظلم القلب ضاق الصدر، وإذا ضاق الصدر ساء الخلق، وإذا ساء الخلق أبغضه الخلق، وإذا أبغضه الخلق أبغضهم)<sup>(١)</sup>.

ثم إذا كبر الإنسان وبلغ مبلغ الشيخوخة وجد مساوئ اتباعه لهواه، قال الشاعر:

مَارِبُ كَانَتْ فِي الشَّبَابِ لِأَهْلِهَا

عَذَابُ فَصَارَتْ فِي الْمَشِيبِ عَذَاباً<sup>(٢)</sup>

أي: مآرب وحاجات كانت عذبة وجميلة للمرء عندما كان شاباً؛ انقلبت عليه عذاباً في مشيبه.

### سبب تمكين الإنسان لعدوه منه:

فإن أعدى عدو للمرء شيطانه، وأصدق صديق له عقله الناصح له، والملك الذي يلهمه الخير، فإذا اتبع هواه أعطى نفسه بيده لعدوه واستأسر له، وهذا بعينه جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء.

(١) ذم الهوى (٢٩).

(٢) الفوائد (٤٦).

وكان يقال: (إذا غلب عليك عقلك فهو لك، وإذا غلب هواك فهو لعدوك)<sup>(١)</sup>.

### سبب لنيل ذم الناس:

يقال: إن هشام بن عبد الملك لم يقل بيت شعر قط إلا هذا البيت:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْصِ الْهَوَى قَادَكَ الْهَوَى

إِلَى بَعْضِ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالُ<sup>(٢)</sup>

قال ابن عبد البر: (لو قال: إلى كل ما فيه عليك مقال؛ كان أبلغ وأحسن)<sup>(٣)</sup>.

وللشافعي:

إِذَا حَارَ وَهْمُكَ فِي مَعْنِيَيْنِ

وَأَعْيَاكَ حَيْثُ الْهَوَى وَالصَّوَابُ

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس (١٧٢).

(٢) البداية والنهاية (٣٥٢/٩).

(٣) بهجة المجالس وأنس المجالس (١٧١).

فَدَعِ مَا هَوَيْتَ فَإِنَّ الْهَوَى  
يَقُودُ النَّفْسَ إِلَى مَا يَعَابُ<sup>(١)</sup>

### سبب للذل والهوان:

قال ابن المبارك:

وَمِنَ الْبَلَاءِ وَاللِّبَاءِ عِلَامَةٌ  
أَنْ لَا تَرَى لَكَ عَنْ هَوَاكَ نُزُوعُ  
الْعَبْدُ عَبْدُ النَّفْسِ فِي شَهَوَاتِهَا  
وَالْحُرُّ يَشْبَعُ مَرَّةً وَيَجُوعُ<sup>(٢)</sup>

وسئل أحد الحكماء عن الهوى فقال: (هوانٌ سُرقت  
نونه). وقد أخذ ذلك المعنى أحد الشعراء فصاغه بقوله:

نُونُ الْهَوَانِ مِنَ الْهَوَى مَسْرُوقَةٌ  
فَإِذَا هَوَيْتَ فَقَدْ لَقَيْتَ هَوَانًا<sup>(٣)</sup>

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس (١٧١).

(٢) تاريخ دمشق (٤٦٨/٣٢).

(٣) تفسير القرطبي (١٦٨/١٦).

وقال الشاعر:

وَلَقَدْ رَأَيْتُ مَعَاشِرًا جَمَحَتْ بِهِمْ  
 تِلْكَ الطَّبِيعَةُ نَحْوَ كُلِّ تَبَارِ  
 تَهَوَى نُفُوسُهُمْ هَوَى أَجْسَامِهِمْ  
 شُغْلًا بِكُلِّ دَنَاءَةٍ وَصَغَارِ  
 تَبِعُوا الْهَوَى فَهَوَى بِهِمْ وَكَذَا الْهَوَى  
 مِنْهُ الْهَوَانُ بِأَهْلِهِ فَحَذَارِ  
 فَانظُرْ بَعَيْنِ الْحَقِّ لَا عَيْنِ الْهَوَى  
 فَالْحَقُّ لِلْعَيْنِ الْجَلِيَّةِ عَارِي<sup>(١)</sup>  
 قَادَ الْهَوَى الْفَجَّارَ فَانْقَادُوا لَهُ  
 وَأَبَتْ عَلَيْهِ مَقَادَةُ الْأَبْرَارِ<sup>(٢)</sup>

(١) عاري: ليس عليه غطاء واضح.

(٢) التبصرة لابن الجوزي (١/١٥٥).



## فوائد مخالفة الهوى

قال عمر بن عبد العزيز: (أفضل الجهاد جهاد الهوى)<sup>(١)</sup>.

وقال سفيان الثوري: (أشجع الناس أشدهم من الهوى امتناعاً، ومن المُحَقَّرَاتِ تُتُّجُ الموبقات)<sup>(٢)</sup>.

والعلاج الحقيقي لأدواء القلوب في مخالفة الهوى، يقول سهل بن عبد الله: (هواك داؤك، فإن خالفته فداؤك)<sup>(٣)</sup>.

فما هي الفوائد المترتبة على مخالفة الإنسان لهوى نفسه؟.

### نبيل الجنة:

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ [النازعات: ٣٧-٤١].

(١) الآداب الشرعية (٣/ ٢٥١).

(٢) الآداب الشرعية (٣/ ٢٥١).

(٣) تفسير القرطبي (١٦/ ١٤٤).

فمن جاهد نفسه وصابرها على مخالفة هواها نال أفضل الجزاء يوم القيامة، وذلك بدخول الجنة، والعيش الهنيء والحسن، وذلك جزاء الصبر على الهوى، قال تعالى: ﴿ وَجَزَّئُهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ [الإنسان: ١٢].

قال أبو سليمان الداراني: ﴿ وَجَزَّئُهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ أي: بما صبروا عن الشهوات<sup>(١)</sup>.

وَأَفَّةَ الْعَقْلِ الْهَوَى فَمَنْ عَلَا

عَلَى هَوَاهُ عَقْلُهُ فَقَدْ نَجَا<sup>(٢)</sup>

### النجاة من أهوال يوم المحشر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالَ فَقَالَ:

(١) حلية الأولياء (٩/٢٦٨).

(٢) الاستذكار (٢/٣٦٤).

إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينَهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم: (إذا تأملت السبعة الذين يظلمهم الله عز وجل في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله وجدتهم إنما نالوا ذلك الظل بمخالفة الهوى؛ فإن الإمام المسلط القادر لا يتمكن من العدل إلا بمخالفة هواه، والشاب المؤثر لعبادة الله على داعي شبابه لولا مخالفة هواه لم يقدر على ذلك، والرجل الذي قلبه معلق بالمساجد إنما حمّله على ذلك مخالفة الهوى الداعي له إلى أماكن اللذات، والمتصدق المخفي لصدقته عن شماله لولا قهره لهواه لم يقدر على ذلك، والذي دعت المرأة الجميلة الشريفة فخاف الله عز وجل وخالف هواه، والذي ذكر الله عز وجل خالياً ففاضت عيناه من خشيته إنما أوصله إلى ذلك مخالفة هواه، فلم يكن لحر الموقف وعرقه وشدته سبيل عليهم يوم القيامة، وأصحاب الهوى قد بلغ منهم الحر والعرق كل مبلغ، وهم يتظنون بعد هذا دخول سجن الهوى)<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه البخاري (١٤٢٣) ومسلم (١٠٣١).

(٢) روضة المحبين (٤٨٥-٤٨٦).

**الشرف والعلو:**

قال معاوية رضي الله عنه: (المروءة ترك الشهوات وعصيان الهوى،  
فاتباع الهوى يُزمن <sup>(١)</sup> المروءة، ومخالفته تنعشها) <sup>(٢)</sup>.

وقيل للمهلب بن أبي صفرة: (بِمَ نلت ما نلت من شرف  
العلو والمكانة؟ قال: بطاعة الحزم وعصيان الهوى) <sup>(٣)</sup>.

وقال بعضهم: (أشرف العلماء من هرب بدينه من الدنيا،  
واستصعب قياده على الهوى) <sup>(٤)</sup>.

وقال أبو علي الدقاق: (من ملك شهوته في حال شببته؛  
أعزه الله تعالى في حال كهولته) <sup>(٥)</sup>.

(١) أي: يصيبها بمرض مُزْمِن، وهو المرض الذي يتكرر على المرء كل فترة وأخرى.

(٢) روضة المحبين (٤٧٧-٤٧٨).

(٣) العقل وفضله لابن أبي الدنيا (٩٢).

(٤) ذم الهوى (٢٧).

(٥) روضة المحبين (٤٨٣).

قال ابن عبد القوي:

فَمَنْ هَجَرَ اللَّذَّاتِ نَالَ الْمَنَى وَمَنْ  
 أَكَبَّ عَلَى اللَّذَّاتِ عَصَّ عَلَى الْيَدِ  
 وَفِي قَمْعِ أَهْوَاءِ النُّفُوسِ اعْتِزَّازُهَا  
 وَفِي نَيْلِهَا مَا تَشْتَهِي ذُلُّ سَرْمَدِ  
 وَلَا تَشْتَغِلْ إِلَّا بِمَا يُكْسِبُ الْعَلَا  
 وَلَا تُرْضِ النَّفْسَ النَّفِيسَةَ بِالرَّيْ  
 وَفِي خَلْوَةِ الْإِنْسَانِ بِالْعِلْمِ أَنْسُهُ  
 وَيَسْلَمُ دِينَ الْمَرْءِ عِنْدَ التَّوْحِيدِ  
 وَيَسْلَمُ مِنْ قَيْلٍ وَقَالٍ وَمِنْ أذى  
 جَلِيسٍ وَمِنْ وَاشٍ بِغَيْضٍ وَحَسَدِ  
 فَكُنْ حِلْسَ بَيْتٍ فَهُوَ سِتْرٌ لِعَوْرَةٍ  
 وَحِرْزُ الْفَتَى عَنْ كُلِّ غَاوٍ وَمُفْسِدِ  
 وَخَيْرُ جَلِيسِ الْمَرْءِ كُتُبُ تَفِيدِهِ  
 عُلُومًا وَآدَابًا وَعَقْلًا مُؤَيَّدِ<sup>(١)</sup>

**تقوية العزائم:**

اتباع الهوى يحل العزائم ويوهنها، ومخالفة الهوى تشد العزائم وتقويها، والعزيمة هي مركب العبد إلى الله والدار الآخرة، فمتى تعطل المركوب تعطل المسافر.

قيل ليحيى بن معاذ: (من أصح الناس عزماً؟ قال: الغالب لهواه)<sup>(١)</sup>.

**حفظ الصحة:**

قال ابن رجب: (كان بعض العلماء قد جاوز المائة سنة وهو ممتع بقوته وعقله، فوثب يوماً وثبة شديدة، فعوتب في ذلك، فقال: هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر. وعكس هذا أن بعض السلف رأى شيخاً يسأل الناس فقال: إن هذا ضعيف، ضيع الله في صغره فضيعة الله في كبره)<sup>(٢)</sup>.

(١) ذم الهوى (٢٦).

(٢) جامع العلوم والحكم (١٨٦).

### الحفظ من بلاء الدنيا:

قال إبراهيم بن أدهم: (أشد الجهاد جهاد الهوى، ومن منع نفسه هواها فقد استراح من الدنيا وبلائها، وكان محفوظاً ومعافىً من أذاها)<sup>(١)</sup>.

---

(١) شعب الإيمان (٨٧٦).

## علاج الهوى

من وقع في الهوى يحتاج إلى طرق لعلاج نفسه من هواها؛ لعل الله أن يرحمه ويلحقه بالصالحين، ومن أهم الأدوية النافعة في علاج الهوى:

**أولاً:** الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى، ودعاؤه ﷻ أن يقيه شر هذه الأهواء، وقد كان هذا دأب النبي ﷺ والسلف الصالح.

فعن قطبة بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَهْوَاءِ»<sup>(١)</sup>.

وقال عمر بن عبد العزيز لخالد بن صفوان: عظمي وأوجز. فقال: يا أمير المؤمنين، إن أقواماً غرهم ستر الله، وفتنهم حسن الثناء، فلا يغلبن جهل غيرك بك علمك بنفسك، أعاذانا الله وإياك أن نكون بالستر مغرورين، وبثناء الناس مسرورين،

(١) رواه الترمذي (٣٥٩١)، وحسنه.



وعما افترض الله علينا متخلفين ومقصرين، وإلى الأهواء مائلين. فبكى، ثم قال: أعاذنا الله وإياك من اتباع الهوى<sup>(١)</sup>.

وكان إبراهيم التيمي يدعو ويقول: (اللهم اعصمني بكتابك وسنة نبيك محمد ﷺ من اختلاف في الحق، ومن اتباع الهوى بغير هدى منك، ومن سبيل الضلال، ومن شبهات الأمور، ومن الزيغ واللبس والخصومات)<sup>(٢)</sup>.

**ثانياً:** ملء القلب بما يضاد الهوى:

وذلك بملئه بمحبة الله ﷻ والقرب منه، حتى يخرج الهوى بالكلية من هذا القلب.

**ثالثاً:** مخالطة العلماء وأهل الصلاح:

قال ابن عبد القوي:

وَخَالِطُ إِذَا خَالَطَتْ كُلَّ مُؤَفَّقٍ  
مِنَ الْعُلَمَاءِ أَهْلِ التَّقَى وَالتَّسَدُّدِ

(١) حلية الأولياء (١٨/٨).

(٢) حلية الأولياء (٢١٢/٤).

يُفِيدُكَ مِنْ عِلْمٍ وَيَنْهَاكَ عَنْ هَوَىٍّ  
 فَصَاحِبُهُ تُهْدِي مِنْ هُدَاهُ وَتُرْشِدُ  
 وَإِيَّاكَ وَالْهَمَّازَ إِنْ قُمْتَ عَنْهُ وَالْ  
 بَدْيِيُّ فَإِنَّ السَّمْرَةَ بِالسَّمْرِ يُقْتَدِي  
 وَلَا تَصْحَبِ الْحَمَقَى فَذُو الْجَهْلِ إِنْ يَرُمُ  
 صَلاَحًا لَشَيْءٍ يَا أَخَا الْحَزْمِ يُفْسِدُ<sup>(١)</sup>

وقد ذكر ابن القيم جملة من الأمور التي يمكن للمرء أن يتخلص من الهوى بالاستعانة بها بعد عون الله له، فقال: (فإن قيل: فكيف يتخلص من هذا من قد وقع فيه؟

قيل: يمكنه التخلص - بعون الله وتوفيقه له - بأمر نذكر منها:

أحدها: عزيمة حريغار لنفسه وعليها.

الثاني: جرعة صبر، يصبر نفسه على مرارتها تلك الساعة.

الثالث: قوة نفس تشجعه على شرب تلك الجرعة،

والشجاعة كلها صبر ساعة، وخير عيش أدركه العبد بصبره.

(١) الآداب الشرعية (٣/٣٠٤).

الرابع: ملاحظته حسن موقع العاقبة، والشفاء بتلك الجرعة.

الخامس: ملاحظته الألم الزائد على لذة طاعة هواه.

السادس: إبقاؤه على منزلته عند الله تعالى، وفي قلوب عباده، وهو خير وأنفع له من لذة موافقة الهوى.

السابع: إثارة لذة العفة وعزتها وحلاوتها على لذة المعصية.

الثامن: فرحه بغلبة عدوه وقهره له ورده خاسئاً بغيظه وغمه وهمه، حيث لم ينل منه أمنيته، والله تعالى يجب من عبده أن يراغم عدوه ويغيظه. كما قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُنِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ [التوبة: ١٢٠].  
وعلاوة المحبة الصادقة مغاظة أعداء المحبوب ومرامتهم.

التاسع: معرفة أن مخالفة الهوى توجب شرف الدنيا وشرف الآخرة، وعز الظاهر وعز الباطن، ومتابعته تضع العبد في الدنيا والآخرة، وتذله في الظاهر وفي الباطن<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: روضة المحبين (٤٧١-٤٨٥).

## الهوى المحمود والهوى المذموم

لا ينبغي ذم الهوى مطلقاً ولا مدحه مطلقاً، وإنما يذم الإفراط فيه، فما زاد على جلب المنافع ودفع المضار أصبح مذموماً. وهناك هوى محمود، يحبه الله ورسوله، وذلك عندما تصبح النفس تهوى ما يحبه الله ورسوله.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقول: أتهب المرأة نفسها؟ فلما أنزل الله تعالى: ﴿ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُعْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ أَبْغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾ [الأحزاب: ٥١] قلت: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك <sup>(١)</sup>.

فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يهوى بعض الأمور، وكان سبحانه وتعالى ينزل القرآن موافقاً لهواه؛ مما يدل على أن مما تهواه النفس ما هو محمود وممدوح.

(١) رواه البخاري (٤٧٨٨).

ومن الأمور التي كان يهواها النبي ﷺ أن تنتقل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وسبب ذلك كما ذكره العلماء أنه كان يهوى اتباع قبلة إبراهيم عليه السلام <sup>(١)</sup>.

وعن أبي برزة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ مِمَّا أَحْشَى عَلَيْكُمْ شَهَوَاتِ الْغِيِّ فِي بُطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ، وَمُضِلَّاتِ الْهَوَى» <sup>(٢)</sup>.

فلم يخش النبي ﷺ على أمته جميع الهوى؛ بل خشي عليهم مضلات الهوى، فالهوى قد يكون مضلاً وهو الذي يتصور منه إفساد العقل والدين، وأما الهوى غير المضل فليس بذلك؛ لأجل هذا لم يحذر النبي ﷺ منه.

ولكن الهوى المذموم أكثر، ولأجل ذلك نجد كثيراً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار عن السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم تذم الهوى، وإنما يُراد بتلك النصوص الهوى المذموم، لا مطلق الهوى.

(١) تفسير الطبري (٢/٢٢).

(٢) رواه أحمد (١٩٧٨٨)، وصححه الألباني.

قال ابن القيم: (لما كان الغالب من مطيع هواه وشهوته أنه لا يقف فيه على حد المنتفع به؛ أطلق ذم الهوى والشهوة؛ لعموم غلبة الضرر، ولأنه ينذر من يقصد العدل في ذلك ويقف عنده؛ فلذلك لم يذكر الله تعالى الهوى في كتابه إلا ذمه، وكذلك في السنة لم يجيء إلا مذموماً، إلا ما جاء منه مقيداً<sup>(١)</sup>.)  
ومما ورد في السنة من الهوى الذي لا يذم: حديث عائشة رضي الله عنها السابق<sup>(٢)</sup>.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»<sup>(٣)</sup>.  
فدل الحديث على أن هناك من الهوى ما يكون محموداً، وهو الهوى الذي يكون تبعاً لما جاءت به الشريعة السمحاء.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر، فلما أسروا الأسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما:

(١) روضة المحبين (٤٦٩) بتصرف.

(٢) رواه البخاري (٤٧٨٨).

(٣) رواه النسوي في كتاب الأربعين (٩)، وصححه النووي.

«مَا تَرُونَ فِي هَؤُلَاءِ الْأَسَارَى؟». فقال أبو بكر: يا نبي الله، هم بنو العم والعشيرة؛ أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟». قلت: لا والله، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان - نسيبا لعمر - فأضرب عنقه؛ فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها. فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت<sup>(١)</sup>.

فهذا نبي الرحمة ﷺ مال إلى قول الصديق وهويه؛ لأنه رأى فيه مصلحة الإسلام، فهو هوى محمود؛ لأنه عن اجتهاد مبني على علم، مع أن القرآن نزل مصوباً لرأي عمر بعد ذلك.

(١) رواه مسلم (١٧٦٣).

## الخاتمة

إن مجاهدة الهوى أمرٌ متعب، وشاق على النفس وعلى  
الجسد، ولكن نتيجته جميلة، وثمرته لذيدة، لا يتخلى عنها إلا  
أصحاب الهمم الضعيفة السقيمة، يقول أبو العتاهية:

أَشَدُّ الْجِهَادِ جِهَادُ الْهَوَى  
وَمَا كَرَّمَ الْمَرْءَ إِلَّا التُّقَى

وقال الشاعر:

صَبَرْتُ عَلَى الْأَيَّامِ حَتَّى تَوَلَّيْتُ  
وَأَلْزَمْتُ نَفْسِي صَبْرَهَا فَاسْتَمَرَّتْ  
وَمَا النَّفْسُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُهَا الْفَتَى  
فَإِنْ أُطِمِعَتْ تَأَقَّتْ وَإِلَّا تَسَلَّتْ<sup>(١)</sup>

وأكبر علامات عدم اتباع الهوى هو الابتعاد عن زينة  
الحياة الدنيا وزخرفها، يقول مالك بن دينار: (من تباعد من

(١) ذم الهوى (١٤٣).



زهرة الحياة الدنيا فذلك الغالب لهواه<sup>(١)</sup>.

والهوى يدخل على جميع الناس، وليس مختصاً بالجهال، أو بالصغار، بل يدخل قلوب العلماء، ويدخل قلوب أصحاب العقل والرأي والمشورة، ويدخل قلوب الكبار والصغار، والرجال والنساء.

قال بعض الحكماء: (إنما يحتاج اللبيب ذو الرأي والتجربة إلى المشاورة ليتجرد له رأيه من هواه)<sup>(٢)</sup>.

فليس لأحد أن يقول: إن النهي عن اتباع الهوى لا ينالني؛ لأنني لا أتبع هواي.

قال منصور الفقيه:

إِنَّ الْمَرَّائِيَّ لَا تُرِيكَ خُدُوشَ وَجْهِكَ فِي صَدَاهَا  
وَكَذَلِكَ نَفْسُكَ لَا تُرِيكَ عُيُوبَ نَفْسِكَ فِي هَوَاهَا<sup>(٣)</sup>

(١) حلية الأولياء (٢/٣٦٤).

(٢) بهجة المجالس وأنس المجالس (١٧١).

(٣) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد البكري (٢٧٥).

بل قد يدخل الهوى قلوب أعقل الرجال وأكثرهم تديناً  
وعلماً.

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يكفيننا دواعي الهوى، وأن  
يصرف عنا سبل الردى، وأن يجعل التوفيق لنا رائداً.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه  
أجمعين.

مَحَارِجُ الْمُنَجِّدِ

## اختبر فهمك

بين يديك مستويين من الأسئلة ، أسئلة مباشرة وأخرى تحتاج منك إلى تأمل وإمعان نظر .

### أسئلة المستوى الأول المباشرة:

- ١ - عرف الهوى في اللغة والاصطلاح.
- ٢ - لاتباع الهوى أسباب، اذكر أبرزها.
- ٣ - لاتباع الهوى مفسد وأضرار متعددة، فما هي؟
- ٤ - اتباع الهوى داء، فما دواؤه؟

### أسئلة المستوى الثاني الاستنباطية:

- ١ - متى يعاقب الإنسان على اتباع الهوى؟.
- ٢ - لمخالفة الهوى فوائد متعددة، اذكر ما تيسر منها .
- ٣ - ما القاسم المشترك بين السبعة الذين يظلمهم الله تحت ظل عرشه يوم القيامة؟ وضح ذلك.

٤- قال ﷺ: « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما

جئت به»، ماذا تفهم من هذا الحديث؟

٥- ما هي أكبر علامة على عدم اتباعك للهوى؟

## المحتويات

٥	.....	مقدمة
٧	.....	تعريف الهوى
٨	.....	النهي عن اتباع الهوى
١١	.....	متى يعاقب الإنسان على هواه
١٣	.....	أسباب اتباع الهوى
٢٠	.....	أضرار اتباع الهوى
٣٤	.....	فوائد مخالفة الهوى
٤١	.....	علاج الهوى
٤٥	.....	الهوى المحمود والهوى المذموم
٤٩	.....	الخاتمة
٥٢	.....	اختبر فهمك
٥٤	.....	المحتويات

سلسلة أعمال القلوب (٩)

الجدال والمرء

ح) مجموعة زاد للنشر ١٤٣٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المنجد ، محمد صالح

الجدال والمرء ، محمد صالح المنجد - الخير ١٤٣٠ هـ

٦٤ ص ، ١٧×١٢ سم

ردمك : ٧-١٨-٨٠٤٧-٦٠٣-٩٧٨

١- القرآن - جلد ٢- الأخلاق الإسلامية أ. العنوان

ديوي : ٢٢٩،٤١٦٨ ١٤٣٠/٤٠٥٢

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



للنشر

المملكة العربية السعودية

الخبر - هـ: ٨٦٥٥٣٥٥

جدة - هـ: ٦٩٢٩٢٤٢

ص.ب: ١٢٦٢٧١ جدة: ٢١٣٥٢

[www.zadgroup.net](http://www.zadgroup.net)

مَجْلَدُ صَالِحِ الْمُنْجِدِ

سلسلة أعمال القلوب (٩)

# الجدال والمراء



١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م





## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فإن الجدل من الآفات الشديدة التي تقسي القلب، ولخطورته، كان مجالاً لكلام العلماء رحمهم الله، وهو خُلق يكرهه السلف، ويتعدون عنه أشد الابتعاد، قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: (لا ينبغي لحامل القرآن أن يخوض مع من يخوض، ولا يجهل مع من يجهل، ويترك الجدل والمراء)<sup>(١)</sup>.

وقال إبراهيم النخعي: (كانوا يكرهون الجدل)<sup>(٢)</sup>.

فما معنى الجدل والمراء؟.

وما السبب الذي جعل العلماء يكرهونه؟.

---

(١) تفسير القرطبي (١/٥٣).

(٢) تفسير ابن كثير (١/٣١٩).

وما الفرق بين الجدال المحمود والجدال المذموم؟

وما أمثلة كل نوع؟

وهل الجدال شيء مركب في طبع النفس البشرية؟ أم هو طارئ عليها؟.

تساؤلات كثيرة أحببنا الإجابة عليها من خلال هذا الكتاب.

ولا يفوتني أن أشكر كل من ساهم في إعداد هذه المادة وإخراجها بالصورة المرضية.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لما فيه الخير والصلاح، وأن يسدد خطانا لطريق الصواب والفلاح، إنه على كل شيء قدير.

محمد صالح المنجد

## تعريف الجدال والمرء

الجدال: الخصومة ومراجعة الكلام، وهو دفع المرء خصمه تصحيحاً لكلامه، وهو منازعة للخصم.

والمجادلة: هي المناظرة لا لإظهار الصواب بل لإلزام الخصم<sup>(١)</sup>.

قال الزجاج: (الجدال: هو المبالغة في الخصومة والمناظرة)<sup>(٢)</sup>.

وقال القرطبي: (الجدال: دفع القول، على طريقة الحجة بالقوة)<sup>(٣)</sup>.

أما المرء: فقليل هو الجدال<sup>(٤)</sup>. قال الطبري: (ماريت

(١) المعجم الوسيط (١/ ٢٣١).

(٢) زاد المسير (٤/ ٩٩).

(٣) تفسير القرطبي (٧/ ٦٧).

(٤) فتح القدير (٣/ ٣٩٦).

فلاناً: إذا جادلته<sup>(١)</sup>. وقيل: هو طعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير<sup>(٢)</sup>.

وقيل: إن المرء لإثبات قول باطل، والجدال لإثبات قول قد يكون باطلاً وقد لا يكون.

### الفرق بين الجدال والمرء:

قيل هما بمعنى واحد غير أن المرء مذموم لأنه مخاصمة في الحق بعد ظهوره، وليس كذلك الجدال<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير الطبري (٨/٣٤٠).

(٢) التعاريف (١/٢٦٦).

(٣) الفروق اللغوية (١/١٥٩).

## معنى الجدال في القرآن

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المرء في القرآن كُفْرٌ»<sup>(١)</sup>.

وصف النبي صلى الله عليه وسلم المرء في القرآن بأنه كفر، فما معنى المرء في القرآن؟

**المراد بالمرء في القرآن:** الشك فيه، وهذا كفر، فإذا شك أنه كلام الله، أو قال: إنه مخلوق، أو جعل يتتبع الأشياء لكي يصل إلى جحد شيء مما أنزله الله ونحو ذلك، فالمجادلة والمماراة هنا على مذهب الشك والريبة.

وليس من الجدال في القرآن الممنوع أن يناقش في التفسير بعلم، فيقول: هل المراد كذا؟ أو المراد كذا؟ وترجيح أحد الوجوه. فهذا نقاش بعلم لمعرفة مراد الله.

فالمتصود بوصف المرء في القرآن بأنه كفر، أي: الذي يكون على سبيل الشك والارتياب والتكذيب.

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٣)، وصححه الألباني.

فعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلی الله علیه و آله قال: «اقْرؤُوا الْقُرْآنَ مَا اتَّخَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ»<sup>(١)</sup>.

• أي: إذا اختلفتم في فهم معانيه فقوموا عنه لئلا يؤدي بكم الاختلاف إلى الشر.

• ويحتمل أن النهي كان خاصاً بزمان النبي صلی الله علیه و آله.

• ويحتمل أن المعنى اقرؤوا والزموا الائتلاف على ما دل عليه وقاد إليه، فإذا وقع الاختلاف أو عرضت شبهة تقتضي المنازعة الداعية إلى الافتراق، فاتركوا ذلك وتمسكوا بالمحكم، واتركوا المتشابه الذي سبب الاختلاف.

وأهل الباطل يتبعون ما تشابه من القرآن ويجادلون فيه ابتغاء الفتنة.

قال عمر رضي الله عنه: (إنه سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن؛ فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله)<sup>(٢)</sup>؛ لأن السنن تبين مراد الله، والسنة مفسرة للقرآن.

(١) رواه البخاري (٥٠٦٠).

(٢) رواه الدارمي (١١٩).

## الجدل طبع مركب في الإنسان

إن الجدل طبع مركب في الإنسان، فهو كثير الجدل كثير المرء، قال الله ﷻ: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤] أي: أكثر شيء مرء وخصومة، لا ينيب لحق، ولا ينزجر لموعظة<sup>(١)</sup>.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله ليلة فقال: «أَلَا تُصَلِّيَانِ». فقلت: يا رسول الله، أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا. فانصرف حين قلنا ذلك، ولم يرجع إلي شيئا -أي: لم يرد علي-، ثم سمعته وهو موّل يضرب فخذه وهو يقول: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾<sup>(٢)</sup>. يعني: تعجب من سرعة جوابه، وعدم موافقته له على الاعتذار بهذا، ولهذا ضرب فخذه.

ومن الناس من يُحسن فن الجدل أكثر من غيره، وإن كان

(١) تفسير الطبري (٨/ ٢٤١).

(٢) رواه البخاري (١١٢٧).



من ناحية الطبع مركزاً في الجميع، لكن يتفاوت فيه البشر. وقد قال تعالى عن الكفار لما بعث إليهم محمداً ﷺ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [مريم: ٩٧] أهل لدد وجدل بالباطل، لا يقبلون الحق. وقال تعالى عن أهل الباطل: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨] أشداء في المخاصمة.

ومن الأدلة على أن بعض الناس أعطي جدلاً أكثر من بعض، حديث كعب بن مالك رضي الله عنه حين تخلف عن تبوك، قال كعب: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، ... قال كعب بن مالك: فلما بلغني أنه صلى الله عليه وسلم توجه قافلاً حضرتني همي، وطفقت أتذكر الكذب وأقول: بماذا أخرج من سخطه غدا، واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل: إن رسول الله ﷺ قد أظلم قادمًا زاح عني الباطل، وعرفت أنني لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب، فأجمعت صدقه ... فجئته، فلما سلمت عليه تبسم تبسّم المغضب، ثم قال: «تَعَالَ». فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي: «مَا حَلَّفَكَ؟». فقلت: إني والله يا رسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من

سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً ... الحديث<sup>(١)</sup>.

وموضع الشاهد: (أعطيت جدلاً) يعني: أعطيت فصاحة وقوة كلام بحيث أخرج من عهدته ما يُنسب إليّ، وأسلُّ نفسي كما تُسلُّ الشعرة من العجين.

وعن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سمع خصومة بباب حجرته، فخرج إليهم فقال: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّهُ يَأْتِينِي الْخَصْمُ، فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَبْلَغَ مِنْ بَعْضٍ؛ فَأَحْسَبُ أَنَّهُ صَدَقَ، فَأَقْضِي لَهُ بِذَلِكَ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ مُسْلِمٍ فَإِنَّمَا هِيَ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ، فَلْيَأْخُذْهَا أَوْ فَلْيَتْرُكْهَا»<sup>(٢)</sup>.

وهذا الطبع من الجدل يستمر في الإنسان إلى يوم القيامة، حتى بعدما تقوم الساعة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بِجُودِلٍ عَنِ نَفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١] أي: تخاصم وتحتج بما أسلفت في الدنيا وتحتاج عن نفسها.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟». قال: قلنا: الله

(١) رواه البخاري (٤٤١٨) ومسلم (٢٧٦٩).

(٢) رواه البخاري (٢٤٥٨) ومسلم (١٧١٣).

ورسوله أعلم. قال: «مِنْ مَخَاطِبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ، أَلَمْ تُجْرِنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى. قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي. قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا. قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي. قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ. قَالَ: ثُمَّ يُحَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ: فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أَنَاضِلٌ»<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى واصفًا جدال الكفار يوم القيامة: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٣٢﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤-٢٢﴾.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: هَلْ بَلَغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيُّ رَبِّ. فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَغْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ. فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم وَأُمَّتُهُ. فَتَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِئَكُونَوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]. والوسط العدل»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه مسلم (٢٩٦٩).

(٢) رواه البخاري (٣٣٣٩).

## أسباب حصول المرء والجدال

لو وقفنا نسأل أنفسنا: لماذا يحصل المرء والجدال بين الناس؟ لتوصلنا إلى عدة أسباب، منها:

- ١- النصيحة العلنية.
  - ٢- اختيار الوقت غير المناسب.
  - ٣- اختيار المكان غير المناسب، بحيث يتجهم الآخر ويثار.
  - ٤- قد يكون سبب الجدال والمرء إرادة الحظوة عند الآخرين.
  - ٥- قد يكون السعي للتغلب على الآخر بأي طريقة: بالباطل، أو بالحق.
  - ٦- أحياناً البيئة لها دور في تنشيط عمليات المجادلة والمهارة، وخصوصاً في أوساط الشباب فيجب أن يحذروا منها، وقد يوجد في بعض أوساط الدعاة والمتدينين وسط يُغذّي هذه الأشياء، فيشجع كل منهم فريقاً، فهذه عمليات تنشيطية وأجواء بيئية تؤدي إلى المرء والجدل.
- ويوجد في بعض الأوساط التربوية مدرسون يشجعون

الجدل، وكثيراً ما يجادلون الطلاب، فيتسلل هذا الطبع ويتسرب لنفوس الطلاب.

وقد تتسرب هذه الطبيعة الجدلية من الأب إلى الأبناء إن كان الأب ذا طبيعة جدلية.

فعلى المرء أن يكون متخلصاً من هذه السلبية.

٧- قد يكون السبب في الجدال عند البعض العُجب والغرور والكِبَر.

٨- قد يكون من فراغ القلب من تقوى الله.

٩- الفراغ، فالعسكر الفارغ تسوده المشاغبات، ومن تأمل كثيراً من الأوساط التي يكثر فيها الجدال، يجد أنهم أناس فارغون ليس لديهم برامج تشغلهم، فهذا من أكبر أسبابه.

## شروط المجادلة

لابد أن نعرف ماذا نلتزم إذا أردنا أن نجادل؟ وماذا نشترط قبل أن نجادل؟.

### شروط الجدل المحمود كالآتي:

**أولاً:** إخلاص النية لله، وهو الشرط الأول؛ لتكثر البركة وتعظم الفائدة وينقطع اللجاج؛ لأن القصد هو الحق ومعرفة الحق، فيجب أن يقدم تقوى الله قبل الدخول في ذلك، والقصد الحسن هو أهم شيء.

**ثانياً:** يجب أن يكون الجدل بالتي هي أحسن.

**ثالثاً:** يجب أن يكون الجدل بالعلم، قال تعالى: ﴿ هَتَأْتُمْ هَتُؤَلَاءَ حَنْجَبَهُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [آل عمران: ٦٦].

**رابعاً:** البدء بذكر الله تعالى، فيبدأ كل من المتجادلين المتناظرين للحق بذكر الرب عز وجل وبالبسملة، وإن لم يذكره بلسانه فليذكره في قلبه ونفسه.

**خامسا:** التأدب في الجلوس، وتوقير صاحبه الذي يجادله، وإحسان الجلسة أمامه وبين يديه.

**سادسا:** اجتناب الهوى، فالإنسان قد يكتشف أنه مخطئ أثناء النقاش، وأن صاحبه على حق، فعليه أن يتراجع عن خطئه. ومن تأمل كلام المنصفين والسلف يهون عليه التراجع عن الخطأ.

عن محمد بن كعب قال: سأل رجلٌ علياً رضي الله عنه عن مسألة فقال فيها رأيه، فقال الرجل: ليس هكذا! ولكن كذا وكذا. فقال علي: أصبتَ وأخطأتُ ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]<sup>(١)</sup>.

وعن طاووس: أن زيد بن ثابت وابن عباس رضي الله عنهما تماريا في صدر الحائض قبل أن يكون آخر عهدا الطواف بالبيت، - أي: هل الحائض تخرج بدون طواف وداع أم لا؟ - فقال ابن عباس: تنفر. وقال زيد: لا تنفر. فدخل زيد على عائشة

(١) تفسير الطبري (٢٧/٢٥٩).

ﷺ عنها فسألها فقالت: تنفر. فخرج زيد وهو يتبسم ويقول:  
ما الكلام إلا ما قلت.

قال ابن عبد البر: (هكذا يكون الإنصاف، وزيد معلم  
ابن عباس، فما لنا لا نقندي بهم، والله المستعان)<sup>(١)</sup>.

وروي أن أبا حنيفة نهى ابنه حماداً عن المناقشة والجدال،  
وكان أبو حنيفة معروفاً بأنه كان من المناظرين الأذكياء الكبار،  
الذين يناظرون للوصول إلى الحق، فقال له ابنه: رأيتك وأنت  
تتكلم فما بالك تنهاني؟!.

قال: يا بني، كنا نتكلم وكل واحد منا كأن الطير على رأسه  
مخافة أن يزل صاحبه، وأنتم اليوم تتكلمون وكل واحد يريد  
أن يزل صاحبه.

وجاء عن الشافعي أنه قال: (ما ناظرت أحداً قط إلا على  
النصيحة، وما ناظرت أحداً فأحببت أن يخطئ)<sup>(٢)</sup>، أي: ما

(١) التمهيد (١٧/ ٢٧٠).

(٢) تاريخ دمشق (٥١/ ٣٨٤).



دخلت أبدأً في مناظرة وأريد أن الطرف الثاني يخطئ؛ لأن القصد هو الوصول إلى الحق سواء مني أو منه.

وورد أنه ناقش بعض أهل العلم في مسألة فيها رأيان، فرجع الشافعي لرأي الثاني، ورجع العالم الثاني بعد النقاش لرأي الشافعي، فكل واحد منهما اقتنع برأي الآخر، وانتهى النقاش بهذه النتيجة العجيبة.

**سابعا:** أن يكون متحلياً بالحلم والصبر؛ لأنه بدون التحلي بالحلم والصبر تنقلب المجادلات إلى نقاشات عقيمة.

**ثامنا:** أن يكون متريثاً متأنياً لا يعجل، فربما أن الشخص الآخر لو أفرغ ما عنده لانتهى النقاش بمجرد حكاية كلامه، فيكون كلامه يغني عن الرد عليه، فاصبر عليه ودعه يفرغ ما عنده، فقد يكون متصوراً القضية بشكل معين، فإذا طرح ما عنده اكتشف خطأه.

**تاسعا:** لا بُدَّ من التزام الصدق: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

**عاشراً: لأبَدَّ من الترفق بالخصم.**

وهذه نقطة مهمة جداً، فنحن عندما نتناقش في مسألة ما إنما نريد أن نصل إلى نتيجة، ونصل إلى الحق، وليس الهدف إمضاء الوقت، أو ظهور أحدنا على الآخر.

فلا ينبغي كسر المخاصم، أو إحراجه أمام الناس، أو عدم إعطائه فرصة للتراجع، أو الانهيار عليه بالعبارات القاسية الجارحة، أو جعله مسخرة ومضحكة للناس، ونحو ذلك.

إن المهم في النقاشات هو كسب الخصم لا كسب الموقف.

**الحادي عشر:** اجعل للخصم طريقاً للتراجع، وإذا زل زلة لا تحجله، ولا تقولها له بطريقة مسيئة، وإنما نبهه بلطف، وأحسن الاستماع إليه فإن حسن الاستماع نصف الوصول إلى النتيجة.

**الثاني عشر:** الإنصاف له، فقد يقول المخاصم حقاً فأقر له بذلك، وأقر له بمكانته ومنزلته.

قال مالك: (دخلت على أبي جعفر بالغداة فقال: يا أبا

عبد الله، ضع للناس كتباً، واقصد فيها أوسط الأمور وما اجتمع عليه الأمة والصحابة، ولئن بقيت لأكتبن كتبك بماء الذهب فأحمل الناس عليها.

فقلت له: يا أمير المؤمنين، لا تفعل؛ فإن الناس قد سبقت لهم أقاويل، وسمعوا أحاديث، ورووا روايات، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم وعملوا به ودانوا له من اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم، وإن ردهم عما اعتقدوه شديد، فدع الناس وما هم عليه وما اختار أهل كل بلد لأنفسهم<sup>(١)</sup>. وهذا من إنصافه.

يقول أبو محمد بن حزم: (ناظرت رجلاً من أصحابنا، فعلوته لبكوء كان في لسانه - أي: عيب في لسانه -، فظهرت عليه في النقاش، وانفض المجلس على أني أنا الظاهر عليه، فلما أتيت منزلي حاك في نفسي شيء، فرجعت إلى الكتب، فوجدت برهاناً صحيحاً يبين بطلان قولي وصحة قول خصمي، وكان معي أحد أصحابنا ممن شهدوا المجلس،

(١) ترتيب المدارك للقاظمي عياض (٧٣/٢).

فعلّمت على المكان من الكتاب، فقال: ما تريد؟ قلت: حمل الكتاب وعرضه على فلان وإعلامه بأنه المحق وأنا المبتل وأني راجع إلى قوله. فقال: وتسمح نفسك بهذا؟ فقلت له: نعم، ولو أمكنتني ذلك في وقتي هذا ما أخرته إلى الغد، وإنما أظهر التراجع الآن).

**الثالث عشر:** لأبّد من تهذيب النطق والكلام وعدم رفع الصوت والصياح، ولما صاح أحدهم بحضرة من كان يفصل النقاش في المجلس قال: (يا عبد الصمد، إن الصواب في الأسد لا في الأشد)، فالقضية ليست برفع الصوت.

**الرابع عشر:** تجنب الممارسة، وقد حُرّم أناس من علم علماء بسبب الممارسة؛ لأنهم كانوا يجادلون المشايخ، قال بعض تلاميذ ابن عباس: (لو رفقتُ بابن عباس لاستخرجت منه علماً كثيراً<sup>(١)</sup>)، وقال ابن جريج: (لم أستخرج الذي استخرجت من عطاء إلا برفقي به)<sup>(٢)</sup>.

(١) تاريخ دمشق (٢٩/٢٩٧).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/١٦٩).

**الخامس عشر:** من شرط المناظرة أن تكون بين أناس من أهل العلم، وليس من أهل الجهل.

**السادس عشر:** اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية.

ناقش الإمام أحمد مرة علي بن المديني في مسألة وارتفعت أصواتهما، ولما قام علي بن المديني يمشي أخذ أحمد بركابه!!

**السابع عشر:** ينبغي تجنب ما يشوش الأفكار.

**الثامن عشر:** لترك الحيل في النقاش؛ وليجعل حكماً يحفظ الكلام بين المتناقشين، حتى لا ينكر أحدهما شيئاً مما قاله، بل يكون الحكم شاهداً على كل ما يقال.

**التاسع عشر:** هناك أناس يجب تجنب مماراتهم ومجادلاتهم أصلاً، مثل: الجاهل الذي لا يقر بجهله، والمتعنت، والمعتدي، والسفيه، والذي لا يشهد بالحق بل بالزور.

## أنواع الجدال

### الجدال المحمود والجدال المذموم:

الجدال منه ما يكون محموداً، ومنه ما يكون مذموماً.

الجدال قد يكون حواراً ومحاورة ومناظرة فيكون محموداً، وقد يكون ملاحاة وممارة ومماحلة فيكون مذموماً.

لقد أمر الله ﷻ بالجدال المحمود، فقال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] أي: فليكن جدالك لهم بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، ومعنى ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾:

١- الجدال بالقرآن.

٢- وقيل: الجدال بلا إله إلا الله.

٣- وقيل: جادلهم غير فظ ولا غليظ وألن لهم جانبك.

ومعنى قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ أي: إلا الذين أبوا أن يقرؤا لكم بالحق ولا بإعطاء الجزية ونصبوا الحرب لكم، فعند ذلك يكون جداهم بالسيف؛ لأن جداهم باللسان غير ممكن في هذه الحالة.

### الجدال المذموم:

ما تعلق بإظهار الباطل، أو أشغل عن إظهار الحق وتوضيح الصواب.

قال الذهبي: (إن كان الجدال للوقوف على الحق وتقريره كان محموداً، وإن كان في مدافعة الحق، أو كان جدالاً بغير علم كان مذموماً)<sup>(١)</sup>.

### الجدال المحمود:

ما كان بنية خالصة وأدى إلى خير، وهذا من الواجبات التي على المسلم أن يفعلها لأجل دينه، قال ابن تيمية: (فكل

(١) الكبائر (٢٢١).

من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفق بموجب العلم والإيمان، ولا حصّل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين<sup>(١)</sup>.

والمجادلة بالحق عبادة عظيمة، فعندما قال قوم نوح عليه السلام لنبيهم: ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴾ [هود: ٣٢] جادلهم لأجل تعريفهم بالحق وإقناعهم به، ولذلك رد عليهم: ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ (٣٣) وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [هود: ٣٣-٣٤].

وقد حفلت الآيات الكريمة في القرآن الكريم بقصص من المناظرات بين موسى وفرعون، وبين نوح وقومه، وبين إبراهيم والنمرود، وبين إبراهيم وأبيه، وبين إبراهيم وقومه، وبين النبي صلوات الله عليه وآله وقريش، وبين الصحابة والمشرّكين وهكذا.

(١) مجموع الفتاوى (١٦٤/٢٠).



فهذا جدال من أهل الحق لأهل الباطل لإقناعهم فهو  
جدال محمود.

وكذلك المرأة التي جاءت تستفتي، وذكرت قصتها في قوله  
تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ  
وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١] هذه المرأة  
تريد أن تعرف مصيرها مع زوجها، ماذا تفعل معه؟ هل هي  
حرام عليه أم حلال؟. فهو جدال محمود.

**أما الجدال المذموم:** فهو كل جدال ظاهر الباطل أو أفضى  
إليه. كما قال الله **وَعَجَلًا**: ﴿ وَجَادِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَطْلِ  
لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾ [الكهف: ٥٦] يعني: ليدفعوه ويبطلوه.

والجدل المذموم من طبع الكفار، قال تعالى: ﴿ وَمَا تُرْسِلُ  
الْمُرْسَلِينَ إِلَّا لِمُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَمُجَادِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَطْلِ  
لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾ [الكهف: ٥٦] فهذه الآية العظيمة تدل  
على جدال الكفار باستمرار لدحض الحق وإزالته.

وقال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ  
بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادِلُوا بِالْبَطْلِ

لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿ [غافر: ٥]

ماحلوا، وجادلوا، وخاصموا؛ ليذهبوا الحق.

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ جَحْتُهُمْ دَاخِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ [الشورى: ١٦] وهذا وعيد من الله للذين يحاجون ويجادلون في الله بعد ما استجاب له المؤمنون ويجاولون أن يصدوا المؤمنين عن الله تعالى وعن سبيله، فتوعدهم الله وعجل.

وقال تعالى: ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْيَلْدِ ﴾ [غافر: ٤].

وقال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلاًّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٥] أي: أخذته عن الأوائل، ونقلته من كتبهم وأفواههم.

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا ءَأَلْهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٨] مجادلون بالباطل كثير و الخصومة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء عبد الله بن الزبعرى إلى النبي ﷺ فقال: تزعم أن الله أنزل عليك هذه الآية: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُّونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] فقال ابن الزبعرى: قد عبت الشمس والقمر والملائكة وعزير وعيسى بن مريم، كل هؤلاء في النار مع آلهتنا؟ فنزلت: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا يَا إِلَهُنَا خَيْرٌ أَمْرٌ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٧-٥٨]، ثم نزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١] <sup>(١)</sup>.

فعزير وعيسى بن مريم مبعدون عن النار، وبقية الآلهة فيها، حتى الشمس والقمر والأصنام في النار تعذيباً لعابديها، يقال هذا الذي عبدتموه هو الآن سبب إحراقكم فصرتم حصب جهنم فذوقوا العذاب.

وقد حصلت عدة محاولات من المشركين في الجدال

(١) أخرجه ابن مردويه كما في تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦٥).

بالباطل في عهد النبي ﷺ وجادلوا الصحابة بالباطل، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُؤْخَذَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّ لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢١].

يوحون: يوسوسون.

إلى أوليائهم: الكفار.

ليجادلوكم: بهذه الحجة التي يريدون بها دحض الحكم الشرعي وهو الحق، فهم يقولون للمسلمين: ما ذبحتموه بأيديكم تأكلوه وما قتله الله يعني مات حتف أنفه لا تأكلوه؟! انظر إلى منطق أهل الجاهلية، فرد الله عليهم مخاطباً المسلمين: ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ فكله قدر الله، حتى الذي ذبحه الإنسان بقدر من الله، والبهيمة ماتت بحتف أنفها بقدر من الله.

لكن هذا القدر أباحه الله ﷻ إذا وقع الذبح باليد مع التسمية، وهذا القدر حرمه الله إذا وقع، وهو أن تموت حتف أنفها.

وانظر إلى هذه المحاجة: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

قال: أتى أناس النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، أنأكل ما

نقتل، ولا نأكل ما يقتل الله؟ فأنزل الله: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٨-١٢١]<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى واصفاً مجادلة المشركين لما رآه محمد ﷺ في معرجه: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ ﴿١١﴾ أَفْتَمَرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ [النجم: ١١-١٢] أي: أتجادلون يا أيها المشركون محمداً ﷺ على ما أراه الله من الآيات، وتكذبون وتشككون؟!!!

وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [الحج: ٦٨-٦٩] فهذه الآية نزلت على النبي ﷺ لما جادله الكفار بالباطل فدافعهم بقوله: ﴿ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ من الكفر والتكذيب، وأمره بالإعراض عن مماراتهم صيانة عن الاشتغال بتعتتهم؛ لأن صاحب العناد لا ينفع معه النقاش.

ومما يجادلون به بالباطل القرآن: ﴿ مَا يُجَدِّلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [غافر: ٤]، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه

(١) رواه الترمذي (٣٠٦٩) وحسنه.

أن النبي ﷺ قال: «لَا تُجَادِلُوا فِي الْقُرْآنِ؛ فَإِنَّ جِدَالَ فِيهِ كُفْرٌ»<sup>(١)</sup>.

### وأيضا فقد حصلت المجادلة من ضعف الإيمان:

قال تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥٠﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الأنفال: ٥-٦] أي: لما أيقنوا بالقتال وأن المصادمة آتية كرهوا ذلك وقالوا: لم لم نخبرنا أننا سنلقى العدو حتى نتأهب لذلك ونستعد؟ ونحن خرجنا للغير والقافلة وما خرجنا للجيش، فهذا كان جدالهم.

ومجادلة الكفار للأنبياء كانت موجودة مع وجود الرسل، فهذا هود عليه السلام ناقشه قومه وجادلوه في الأصنام، قال تعالى على لسان هود عليه السلام: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمِيئْتُمْوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهِا مِنْ سُلْطٰنٍ فَأَنْظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [الأعراف: ٧١] أي: أتجاجوني في أصنام سميتموها أنتم وآباؤكم لا تضر ولا تنفع؟!.

(١) رواه البيهقي (٢٢٥٧)، وصححه الألباني.

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كُفْرًا مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر: ٣٥].

من الذي قال هذا الكلام؟ حكاها الله ﷻ عن من؟.

هذا قاله مؤمن آل فرعون، لما قام ينافح عن موسى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَلِّغِيهِ ﴾ [غافر: ٥٦].

فهذا رابط بين الكبر والجدال والمرء، فانظر كيف يبعث الكبر على الجدال بغير حق، والمرء بغير حق، وإرادة دحض الحق، وتقرير الباطل كبراً وعناداً.

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنِّي يُصْرَفُونَ ﴾ [غافر: ٦٩].

**والجدال المذموم ينقسم أيضا إلى قسمين:**

١ - جدال بغير علم. كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ

فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَتَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴾ [الحج: ٣].

وقال تعالى يخاطب أهل الكتاب: ﴿ هَاتَمْتُمْ هَتُؤَلَاءَ  
حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ، عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ،  
عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٦].

والجدال في الله من المجادلة بغير علم، قال سبحانه وتعالى:  
﴿ وَيَسِيحُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ، وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ، وَيُرْسِلُ  
الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ  
شَدِيدُ الْحَالِ ﴾ [الرعد: ١٣] أي: شديد القوة سبحانه وتعالى.

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ  
وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ۝ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ، مَنْ تَوَلَّاهُ فَآنَهُ،  
يُضِلُّهُ، وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الحج: ٣-٤] فيزعم أن الله  
لا يقدر على إحياء الموتى، ويأتي الكافر إلى النبي ﷺ بعظم قد  
يلي فيفته أمامه ويقول: أتزعم أن ربك يقدر على أن يحيي هذا؟  
وهكذا كانوا يجادلون النبي ﷺ وينكرون البعث بعد الموت.

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا  
هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ۝ ثَانِي عَطْفِهِ، يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الحج: ٨-٩] أي: متكبر ويريد إضلال الناس عن سبيل الله.



ومما يجادل به هؤلاء أيضاً الساعة وقيام الساعة: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [الشورى: ١٨]، مع أن قيام الساعة من علم الغيب الذي لا يعرفه أحد.

### ومن الجدال بغير علم: الجدال في القدر:

فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلوات الله عليه على أصحابه وهم يختصمون في القدر، فكأنما يُفقد في وجهه حب الرمان من الغضب. فقال: «بهذا أمرتم؟ أو لهذا خلقتم؟ تضرّبون القرآن بعضه ببعض؟! بهذا هلكت الأمم قبلكم». قال: فقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: ما غبطت نفسي بمجلس تخلفت فيه عن رسول الله صلوات الله عليه ما غبطت نفسي بذلك المجلس وتخلفي عنه <sup>(١)</sup>.

فقوله: (يختصمون في القدر): يعني يتنازعون نزاعاً مذموماً في القدر.

(١) رواه ابن ماجه (٨٥)، وحسنه الألباني.

وقوله: (فكأنما يُفَقَأُ في وجهه حب الرمان من الغضب):  
 هذا التعبير فيه دليل على شدة احمرار الوجه من الغضب،  
 وكيف صار من شدة الحمرة كأنه شق أو عصر في وجنتيه -  
 في خديه - حب الرمان.

وإنما غضب لأن القدر سر من أسرار الله تعالى، فمن  
 يخوض فيه بغير علم ينتهي إلى الضلالة، إما أن يصبح قدرياً  
 أو يصبح جبرياً، ولذلك نهي عنه.

والمناقشات في القدر تؤدي إلى الشك والريبة، وتؤدي إلى  
 تخلخل الإيمان، ولما تصبح هذه القضية مدار نقاشات بلا  
 علم، أو تؤدي إلى إثارة شبهات بدون حسم وبدون رد على  
 الشبهات، فهذا نقاش مذموم، وهذا جدال مذموم، ولذلك  
 قال ﷺ: «لَا يَزَالُ أَمْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مُوَائِمًا أَوْ مُقَارِبًا مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا  
 فِي الْوِلْدَانِ وَالْقَدَرِ»<sup>(١)</sup>.

الولدان: يعني أطفال المشركين ما مصيرهم؟.

والقدر: معروف، والمقصود: الكلام بغير علم، قال ابن

(١) رواه ابن حبان (٦٧٢٤)، وصححه الحاكم.

القيم: (الحديث لو صح إنما يدل على ذم من تكلم فيهم بغير علم، أو ضرب النصوص بعضها ببعض)<sup>(١)</sup>.

٢- والنوع الثاني من الجدال الباطل: الجدال لنصرة الباطل والشغب على الحق بعدما تبين. كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [غافر: ٥].

قال ابن بطة في الجدال المذموم: (إنما هو لهو يُتَعَلَّم، ودراية يُتَفَكَّهُ بها، ولذة يُسْتَرَاخ إليها، ومهارشة العقول، وتدريب اللسان بمحق الأديان، والضراوة على التغلب، واستمتاع بظهور حجة المخاصم، وقصد إلى قهر المناظر، والمغالطة في القياس، وهبت في المقابلة، وتكذيب بالآثار، وتسفيه الأحلام الأبرار، ومكابرة لنص التنزيل بما قاله الرسول، ونقض لعقدة الإجماع، وتشيت الألفة، وتفريق لأهل الملة، وشكوك تدخل على الأمة، وضراوة السلاطة، وتوغير القلب، وتوليد الشحنةاء في النفوس، عصمنا الله وإياكم من ذلك، وأعاذنا من مجالسة أهله).

والجدال المحمود: دعانا النبي ﷺ إليه، بل هو نوع من

(١) أحكام أهل الذمة (٢/١٠٩٢).

الجهاد، فعن أنس رضي الله عنه: أن النبي صلَّى الله عليه وآله قال: «جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَالسِّتِئِكُمْ»<sup>(١)</sup>.

### فكيف نجاهد بالسنتنا؟!

بالجدال بالتي هي أحسن، فالأمر بالمناظرة واجب كإيجاب الجهاد في سبيل الله، كما قال ابن حزم<sup>(٢)</sup>.

قال الصنعاني: (في الحديث دليل على وجوب الجهاد بالنفس وهو بالخروج والمباشرة للكفار، وبالمال وهو بذله لما يقوم به من النفقة في الجهاد والسلاح ونحوه، والجهاد باللسان بإقامة الحججة عليهم ودعائهم إلى الله تعالى)<sup>(٣)</sup>.

وجنس المناظرة بالحق قد تكون واجبة تارة، ومستحبة أخرى.

أما الجدال المذموم فهو مذموم بكل حال؛ لأنه إبطال لحق، أو نصرة لباطل.

(١) رواه أبو داود (٢٥٠٤)، وصححه الألباني .

(٢) الإحكام (٢٩/١).

(٣) سبل السلام (١٩٩/١).

وقد يكون الجدال محموداً ومذموماً في مكان واحد.

ففي الحج مثلاً يقول تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

فما هو الجدال المنهي عنه في الحج؟.

هو الجدال الذي يسبب خصومة وشحناء وبغضاء، الجدال بغير علم، الجدال الذي يريد كل واحد أن يعلو صاحبه فيه، ولا يريد أحدهما الوصول إلى الحق، فقط يريدون أن يروا من الأفضل في المناقشة؟ من يفهم الآخر؟ من يسكته؟ فهو ليس لوجه الله.

وقد يكون جدالاً في أحكام الحج بلا علم، وهذا جدال مذموم أيضاً.

أما أن نتناقش هل التمتع أفضل؟ أم الأفراد أفضل؟ وكيف حج النبي ﷺ؟ متمعاً أو قارناً أو مفرداً؟ فهذا النقاش والجدال لمعرفة الحق ومعرفة السنة له ثمرة، وهو أن تعمل بالحق وتصل إليه.

وكذلك النقاش في الصيام: فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلوات الله عليه قال: «الصَّيَامُ جُنَّةٌ، فَلَا يَرْفُثُ وَلَا يَجْهَلُ، وَإِنْ أَمْرٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ - مَرَّتَيْنِ -»<sup>(١)</sup>، وفي رواية سهيل بن أبي صالح عن أبيه: «فَلَا يَرْفُثُ وَلَا يُجَادِلُ»<sup>(٢)</sup>.

وينبغي للمسلم أن يترك الجدال ولو كان محققاً لأن الممارسة والجدل يقسيان القلب، ويسببان الشحنة والبغضاء بين المسلمين، وفيهما رفض الحق وتقرير الباطل، ولما في هذه الممارسة التي يريد بها الشخص أن يزيف قول الآخر وأن يبطل قوله وأن يظهره بمظهر المخطئ ولو كان ما يقوله حقاً؛ ندب الشارع لأجل هذا إلى ترك المرء فقال النبي صلوات الله عليه: «أَنَا زَعِيمٌ بَيْتٍ فِي رَبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا»<sup>(٣)</sup>.

زعيم: كفيل وضمين.

بيت: بقصر.

(١) رواه البخاري (١٨٩٤).

(٢) عمدة القاري (٢٥٨/١٠) وفتح الباري (١٠٤/٤).

(٣) رواه أبو داود (٤٨٠٠)، وحسنه الألباني.

في ربض الجنة: حولها.

المراء: الجدال الذي يريد فيه كسر الخصم ولو كان على الحق، أي لجأ وخصومة وجدل يوقع في الباطل.

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَبْغَضَ الرَّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلْدُ الْخَصِمُ»<sup>(١)</sup>.

الألد: كثير الجدال والمراء والمماحكة.

الخصم: صاحب خصومات وعداوات.

والمقصود بترك المراء والجدال هنا: هو الجدال مع أهل الحق، أما الجدال مع أهل الباطل والبدع فلا بُدَّ من متابعة نقاشهم حتى يهتدوا أو ينكسر باطلهم.

(١) رواه البخاري (٢٤٥٧) ومسلم (٢٦٦٨).

## أمثلة للجدال المحمود

هناك أمثلة على كيفية مجادلة الأنبياء عليهم السلام والسلف الصالح لأهل الباطل، وما يكون في الجدالات والمناقشات الفقهية العلمية.

\* فإبراهيم عليه السلام جادل النمرود ليدحض باطله: ﴿الَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

فلما صار النقاش في توحيد الربوبية قال الكافر: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ أي: هذا محكوم عليه بالقتل فأعفو عنه، وهذا بريء فأقتله. فهذه مجادلة بالباطل وليس هذا الإحياء وهذه الإمامة هما المقصودين في توحيد الربوبية، المقصود أن الله يحيي من العدم، فإن كنت صادقاً فأحيي من العدم!.

لكن لما صارت المسألة مجال مجادلة بالباطل من قبل النمرود؛



انتقل إبراهيم إلى شيء لا يمكن المجادلة فيه فقال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ ماذا سيقول في هذه؟ ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ وسكت.

\* كذلك النقاش الذي حصل بين صاحب الجنتين وبين الآخر الصالح، وكيف رد عليه؟ وكيف أرشده إلى ما يجب أن يقوله بدلاً من الاغترار بالنعيم الذي عنده؟ ثم ذكر له رجاءه بالله ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ﴾ [الكهف: ٤٠]، وذكره بما يمكن أن يحصل له من غوران الماء وذهاب الثمر.

\* وكذلك فإن عدداً من أهل العلم أيضاً جادلوا الكفار وناظروهم، كما جادل أبو حنيفة قوماً من الدهرية الذين يقولون: إن هذه الطبيعة هي التي خلقت الكون، وليس هناك خالق بل هي جاءت من نفسها، وكل ستة وثلاثين ألف سنة تدور الدائرة نفسها، ويرجع آدم مرة ثانية، ويرجع نفس الأشخاص، ثم يعودون يموتون، ويعودون ويموتون، وهكذا.

قال أبو حنيفة: أرأيتم لو أن سفينة بدجلة تسير بلا ربان، وتأتي إلى الميناء وتحمل البضاعة بدون أن يحملها أحد، ثم تشرع

الأشربة بدون أن يرفع الأشربة أحد، ثم تبجر وتكون بغاية المهارة في الالتفاف بين الصخور حتى ترسو في الميناء، فتفرغ شحنتها بدون أحد، ما تقولون في هذا؟.

قالوا: إن الذي يقول هذا مجنون.

قال: هذه السفينة قلتكم أنه لا بد لها من ربان فما بالكم بهذه الدنيا وهذا الكون الذي أنتم فيه!.

فبكوا واعترفوا بالحق.

\* وكذلك لما قام عمرو بن عبيد مرة - وهو من المعتزلة الذين يقولون: إن مرتكب الكبيرة خالد في النار - فقال بكل وقاحة: يؤتى بي يوم القيامة فأقام بين يدي الله فيقول لي: لم قلت: إن القاتل في النار؟ فأقول: أنت قلتة ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾ [النساء: ٩٣].

فقال له قريش بن أنس وما في البيت أصغر منه: أرأيت إن قال لك قد قلت: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: ١١٦] فمن أين علمت أني لا أشاء أن أغفر؟.

فما استطاع أن يرد شيئاً<sup>(١)</sup>.

\* وكذلك وجه عمر بن عبد العزيز عون بن عبد الله إلى الخوارج ليناظرهم، فقال عون بن عبد الله للخوارج، وقد كانوا يكفرون الأئمة لأنهم ظلمة: كتتم تطلبون من يعمل بعمل عمر بن الخطاب، فلما جاءكم عمر بن عبد العزيز كتتم أول من نفر عنه؟!.

قالوا: لكنه لم يتبرأ من الذين كانوا قبله ولم يلعنهم، ونحن شرطنا أن يلعن كل الأئمة والخلفاء الذين كانوا قبله.

فقال: ما عهدكم بلعن هامان؟ متى آخر مرة لعنتم هامان؟.

قالوا: ما لعناه قط!.

قال: أيسعكم أن تتركوا وزير فرعون المنفذ لأمره الذي بنى له الصرح، ولا يسع عمر بن عبد العزيز أن يعمل بالحق ولا يلعن أهل قبلته إن كانوا أخطأوا في شيء أو قصرُوا؟!.

(١) تهذيب الكمال (٢٢/١٣١).

فلما بلغ عمر بن عبد العزيز ذلك سُرَّ به فقال: ما أحب أن أوجه إليهم غيرك رجلاً.

ثم قال له: كيف فطنت لهامان ولم تذكر فرعون؟.

قال: خفت إن ذكرت فرعون أن يقولوا قد لعناه!!

\* وكذلك جاء أن الضحاك الشاري من الخوارج جاء إلى أبي حنيفة فقال: تب.

قال: مم أتوب؟.

قال: من قولك بتجويز الحكمين- لأن الخوارج لا يجيزون أي أحد يحكم بين اثنين، ويقولون: ليس هناك حكم، فكل الحكم لله-.

قال أبو حنيفة: تقتلني أو تناظرني؟.

قال: أناظرك.

قال: فإن اختلفنا في شيء مما تناظرني عليه فمن يحكم بيني وبينك؟.

قال: اجعل من شئت.

قال أبو حنيفة لرجل من أصحاب الضحاك الشاري:  
اقعد فاحكم بيننا فيما اختلفنا فيه.

ثم قال للضحاك: أترضى هذا بيني وبينك حكماً؟

قال: نعم.

قال أبو حنيفة: فأنت جوزت التحكيم. فانقطع وسكت  
ولم يستطع أن يرد.

\* وناظر سني أحد القدرية الذين يقولون: (الله لا يعلم  
الشر قبل وقوعه والعصاة يخلقون أفعالهم بأنفسهم والله لا يخلق  
الشر)، وأهل السنة يقولون: (الله يخلق الخير ويخلق الشر).

فقال السني للقدري في النقاش: بلغني أن أناساً في عهد  
الرسول ﷺ يقال لهم القدرية كانوا يسرقون نعال الصحابة!.

فقال القدري: ومتى كان القول بالقدر في عهد النبي ﷺ  
أصلاً، أنت جاهل بالتاريخ، فالقدرية لم يظهروا إلا بعد النبي

فقال له: إذا كان قولكم هذا غير موجود في عهد النبي ﷺ فمن أين أتيتم به؟!.

\* وذكر ابن عساكر: أن طاغية الروم عرض يوماً للقاضي أبي بكر الباقلاني المسلم الذي أرسل إليه للنقاش بحديث الإفك، محاولاً النيل من عائشة زوج النبي ﷺ، فقال له: امرأة في القرآن نزهها الله من الزنا، فمن هي؟!.

فقال القاضي: هما ثنتان قيل فيهما ما قيل: زوج نبينا، ومريم بنت عمران، فأما زوج نبينا فلم تلد، وأما مريم فجاءت بولدها تحمله على كتفها، وكلُّ قد برأها الله مما رميت به، فالله برأ مريم وبرأ عائشة، فمن تريد منهما؟!.

فسكت الطاغية ولم يستطع أن يجيب. وماذا يقول بعد هذا؟!<sup>(١)</sup>.

وبالجملة فإن الجدال لإسكات أهل الباطل والرد على النصارى وغيرهم من أهل الكفر من الواجبات على المسلمين، ولا يجوز لمسلم أن يعرض الكفر أمامه ويسكت.

(١) تبين كذب المفترى (٢١٩).

## أضرار المرء والجدال المذمومين

إن الشارع الحكيم لا ينهاى عن شيء إلا وفيه ضرر على العباد في العاجل والآجل، ومن ذلك المرء والجدال بالباطل، فهما سبب لكثير من المضار والمفاسد، ومن أبرزها ما يأتي:

### حرمان الخير العظيم:

قال الأوزاعي: (إذا أراد الله بقوم شراً ألزمهم الجدل ومنعهم العمل)<sup>(١)</sup>.

وقال معاوية بن قرة: (إياكم وهذه الخصومات فإنها تجبب الأعمال)<sup>(٢)</sup>.

### حرمان العلم:

ألم تعلموا أن ليلة القدر قد رفع علمها بسبب المرء والمجادلة؟!.

(١) اعتقاد أهل السنة (٢٩٦).

(٢) اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢٢١).

فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله خرج يخبر بليلة القدر، فتلاحى رجلان من المسلمين فقال: «إِنِّي خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُم بَلِيْلَةَ الْقَدْرِ - أَي: ليعينها-، وَإِنَّهُ تَلَاْحَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ فَرَفَعْتُ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، التَّمِسُّوْهَا فِي السَّبْعِ وَالتَّسْعِ وَالتَّحْمَسِ»<sup>(١)</sup>.

فبسبب هذا التلاحى والخصومة والمجادلة والمرء رفع تعيين ليلة القدر، ولم نتمكن من معرفتها على التحديد.

تلاحى: تنازعا وتخاصما وحضر معهما الشيطان فلذلك نَسَى النبي صلَّى الله عليه وآله تعيين هذه الليلة.

فالحديث دليل على أن المخاصمة مذمومة، وأنها سبب في العقوبة والحرمان من الخير. وقد كانت هذه الخصومة وهذه الملاحاة ورفع الصوت في المسجد وبحضرة النبي صلَّى الله عليه وآله.

وعن يونس قال: كتب إليَّ ميمون بن مهران: (إياك والخصومة والجدال في الدين، ولا تجادلن عالماً ولا جاهلاً،

(١) رواه البخاري (٤٩).



أما العالم فإنه يخزن عنك علمه ولا يبالي ما صنعت، وأما الجاهل فإنه يُحسِّن صدرك ولا يطيعك<sup>(١)</sup>.

وجاء عن بعضهم أن شخصا حُرِمَ نيل العلم من العلماء بسبب جداله ونقاشه إياهم، فتندّم وقال: ليتني لم أفعل ذلك.

### هلاك الأمم:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وآله قال: «دَعُونِي مَا تَرَكَتُكُمْ، إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ سُؤْأَلُهُمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ»<sup>(٢)</sup>.

وقال عمر رضي الله عنه لزياد بن حدير: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قال: لا. قال: يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين<sup>(٣)</sup>.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (إنما هلك من كان قبلكم بالمرء والخصومات في الدين)<sup>(٤)</sup>.

(١) سنن الدارمي (٣٠٢).

(٢) رواه البخاري (٧٢٨٨) ومسلم (١٣٣٧)، واللفظ للبخاري.

(٣) سنن الدارمي (٢١٤) وصححه الألباني.

(٤) تفسير الطبري (٣٢٨/٤).

**يورث الضغائن وقسوة القلوب:**

قال الشافعي: (المرء في العلم يقسي القلب، ويورث الضغائن)<sup>(١)</sup>.

وكثيراً من الناس هجر بعضهم بعضاً بسبب الجدال، فلا يكلم بعضهم بعضاً، ولا يزور بعضها بعضاً، وذلك بسبب اللدد والمناقشة والجدال والخصومة التي حصلت في المجلس، فانتهى بالافتراق وابتعاد القلوب بعضها عن بعض، ولذلك كان السلف يحدرون منه، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (كفى بك ظلماً أن لا تزال مخاصماً، وكفى بك إثماً أن لا تزال ممارياً)<sup>(٢)</sup>.

وقال محمد بن علي بن الحسين: (الخصومة تمحق الدين، وتنتب الشحناء في صدور الرجال).

وقال عبد الله بن الحسن: (المرء يفسد الصداقة القديمة، ويحل العقدة الوثيقة، وأقل ما فيه أن تكون المغالبة، والمغالبة أمتن أسباب القطيعة)<sup>(٣)</sup>.

(١) شعب الإيمان (٨٤٨٨).

(٢) تاريخ دمشق (١٠/٨٠).

(٣) تاريخ دمشق (٢٧/٣٨٠).

وقال إبراهيم النخعي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة: ٦٤] قال: (الخصومات والجدال في الدين)<sup>(١)</sup>.

### حرمان التوفيق:

لأن الله لا يوفق أصحاب المجالس التي تقع فيها هذه المجادلات التي لا يراد بها وجه الله.

### انشغال القلب عن الله:

فأقل ما في هذه الخصومات التي ليست لوجه الله أنها تشغل الإنسان حتى في صلاته، ويبقى خاطره معلقاً بها.

قال بعض السلف: (ما رأيت شيئاً أذهب للدين، ولا أنقص للمروءة، ولا أضيع للذة، ولا أشغل للقلب؛ من الخصومة)<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير (٢/١٠٤).

(٢) تاريخ دمشق (١٠/٢٩٧).

**مدعاة للزلل:**

قال مسلم بن يسار: ( إياكم والمرء، فإنه ساعة جهل العالم، وبها يتبغي الشيطان زلته)<sup>(١)</sup>.

**ذهاب الكرامة:**

قال بعض الأعراب: (من لاحى الرجال وماراهم قلت كرامته، ومن أكثر من شيء عُرِفَ به).

وقال الشافعي:

قَالُوا سَكَتَ وَقَدْ خُوصِمْتَ، قُلْتُ لَهُمْ  
 إِنَّ الْجَوَابَ لِبَابِ الشَّرِّ مِفْتَاحُ  
 وَالصَّمْتُ عَنْ جَاهِلٍ أَوْ أَحْمَقٍ شَرَفٌ  
 وَفِيهِ أَيْضاً لَصَوْنُ الْعِرْضِ إِصْلَاحُ  
 أَمَا تَرَى الْأَسَدَ تُحْشَى وَهِيَ صَامِتَةٌ  
 وَالْكَلبُ يُحْشَى لِعَمْرِي وَهُوَ نَبَّاحُ

(١) سنن الدارمي (٣٩٦) وحلية الأولياء (٢/ ٢٩٤).

**ظهور البدع واتباع الهوى:**

قال عمر بن عبد العزيز: (من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل)<sup>(١)</sup> يعني من بدعة إلى بدعة، ومن مزلق إلى مزلة، وهكذا.

وقيل للحكم بن عتيبة الكوفي: ما اضطر الناس إلى هذه الأهواء أن يدخلوا فيها؟ - أي: لماذا دخلوا في البدع؟ - قال: الخصومات<sup>(٢)</sup>.

وقال خالد بن برمك: (من استطاع أن يمنع نفسه من أربعة أشياء فهو خليق أن لا ينزل به كبير مكروه: العجلة، واللجاجة، والعُجب، والتواني؛ فثمرة العجلة الندامة، وثمرة اللجاجة الحيرة، وثمرة العجب البغضة، وثمرة التواني الذل)<sup>(٣)</sup>.

وسئل سهل بن عبد الله: متى يعلم الرجل أنه على السنة والجماعة؟ فقال: (إذا عرف من نفسه عشر خصال: لا يترك

(١) السنة لعبد الله بن أحمد (١٠٣) وسنن الدارمي (٣٠٤).

(٢) اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢١٨).

(٣) روضة العقلاء (٢١٧).

الجماعة، ولا يسب أصحاب النبي ﷺ، ولا يخرج على هذه الأمة بالسيف، ولا يكذب بالقدر، ولا يشك في الإيمان، ولا يماري في الدين، ولا يترك الصلاة على من يموت من أهل القبلة بالذنب، ولا يترك المسح على الخفين، ولا يترك الجماعة خلف كل والٍ، جارٍ أو عدل<sup>(١)</sup>.

---

(١) اعتقاد أهل السنة (٣٢٤).

## ممارسة العلماء

هناك أناس يجادلون في القضايا العلمية، يريدون المنازعة في مجالس العلماء وطلبة العلم ليظهروا علمهم، ويظهروا قدراتهم البلاغية، ويستعرضوا إمكاناتهم اللسانية.

وهذا أمر مذموم شرعاً، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِيُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَلَا لِتُبَاهُوا بِهِ السُّفَهَاءَ، وَلَا تَخَيَّرُوا بِهِ الْمَجَالِسَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالْتَّارَ النَّارَ»<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث الآخر: عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيُجَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ؛ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه ابن ماجه (٢٥٤)، وصححه الألباني.

(٢) رواه الترمذي (٢٦٥٤)، وحسنه الألباني.

فلا بد من الحذر من التعلم للمجادلة، ولا بد من الحذر من مجادلة العلماء.

وهناك أناس همهم المجادلة مع العلماء وطلبة العلم، كأنه يقول: أنا أعرف القاعدة الفلانية، والدليل الفلاني، وكلام العالم الفلاني...، ولذلك تجد بعض هؤلاء يسأل الشيخ، والشيخ يجيب، فيقول: يا شيخ، هذه ما قال فيها فلان كذا، وما قال فيها فلان كذا، وما قال فيها فلان كذا.

فإذا كان يعرف كل هذا فلماذا يسأل إذن؟!.

من الواضح إذن أن المسألة عملية استعراضية.

ومثل هذا لا يدرس ويقرأ ابتغاء وجه الله، وإنما يفعل ذلك إرادة الظهور، والبروز، واللمعان في المجالس.

يريد به أن يذكر اسمه، وأن يشار إليه بالبنان، وأن يقال: حافظ، وطالب علم، ومناقش عنده حجة، ونحو ذلك.



## الخاتمة

إذا أردنا أن لا نقع في الجدال والمرء المذمومين فعلينا أن نتمسك بهذا الدين القويم؛ لأن من عقوبات الله لمن ترك دينه أن ينشر فيهم المرء والجدال.

فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ» ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٨] <sup>(١)</sup>.

(إلا أوتوا الجدل) يعني: انتقم الله منهم وعاقبهم بأن أعطاهم الجدل بدل العلم الذي أعرضوا عنه، وأعطاهم الخصومة بالباطل واللجج والمهارة بلا فائدة، أي: لما تركوا العلم النافع ظهر الجدل.

(١) رواه الترمذي (٣٢٥٣)، وحسنه الألباني.

وهذه قاعدة: فأى قوم يتركون العلم النافع علم الكتاب  
والسنة؛ يعاقبون بانتشار الجدل والخصام فيهم.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً  
وارزقنا اجتنابه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مَجَالِ الْمُنْجَلِ

## اختبر فهمك

بين يديك مستويين من الأسئلة، أسئلة مباشرة وأخرى تحتاج منك إلى تأمل وإمعان نظر.

### أسئلة المستوى الأول المباشرة:

- ١ - عرف الجدال والمراء .
- ٢ - ما الفرق بين الجدال والمراء؟.
- ٣ - للمراء والجدال أسباب، اذكر أبرزها .
- ٤ - ما هي شروط الجدال المحمود؟.
- ٥ - ما هي أنواع الجدال؟ واذكر مثالا لكل نوع منها .
- ٦ - ما المفاسد والأضرار الناجمة عن الجدال والمراء؟.

### أسئلة المستوى الثاني الاستنباطية:

- ١ - ما المقصود بالمراء في القرآن الكريم؟.
- ٢ - ما معنى قوله ﷺ : «اقرأوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه»؟.

٣- ما معنى قوله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»؟.

٤- قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ فما معنى قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾؟.

## المحتويات

٥	.....	مقدمة
٧	.....	تعريف الجدال والمرء
٩	.....	معنى الجدال في القرآن
١١	.....	الجدل طبع مركب في الإنسان
١٥	.....	أسباب حصول المرء والجدال
١٧	.....	شروط المجادلة
٢٥	.....	أنواع الجدال
٤٤	.....	أمثلة للجدال المحمود
٥١	.....	أضرار الجدال والمرء المذمومين
٥٩	.....	ممارسة العلماء
٦١	.....	الخاتمة
٦٢	.....	اختبر فهمك
٦٤	.....	المحتويات

سلسلة أعمال القلوب (٨)

حب الدنيا

ح) مجموعة زاد للنشر ١٤٣٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المنجد ، محمد صالح

حب الدنيا، محمد صالح المنجد - الخبر - ١٤٣٠ هـ

٦٠ ص ، ١٧×١٢ سم

ردمك : ٦-٢٨١٤-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- الزهد أ. العنوان

ديوي : ٢٦٧,٤ ١٤٣٠/٤٠٣٤

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



للنشر

المملكة العربية السعودية

الخبر - هـ : ٨٦٥٥٣٥٥

جدة - هـ : ٦٩٢٩٢٤٢

ص.ب: ١٢٦٣٧١ جدة: ٢١٣٥٢

[www.zadgroup.net](http://www.zadgroup.net)

مَجَلَّةُ الصَّالِحِ الْمُنْتَجِدِ

سلسلة أعمال القلوب (٨)

# حب الدنيا



١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م





## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف  
المرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فما لا شك فيه أن القلب هو ملك الأعضاء، والأعضاء  
جنوده، فإذا صلح الملك صلح الجنود، كما روى النعمان بن  
بشير رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا  
صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا  
وَهِيَ الْقَلْبُ»<sup>(١)</sup>.

والقلب كالحصن الرفيع وله أبواب ومدخل، والشيطان  
كالعدو الغاشم المتربص الذي يسعى جاهدا لدخول هذا  
الحصن ليستولي عليه.

ولا يقدر على حفظ هذا الحصن إلا بحراسة أبوابه ومدخله،  
فيجب على العاقل أن يعرف هذه الأبواب وتلك المداخل حتى  
يصد ذلك العدو الغاشم عن قلبه حتى لا يفسده عليه.

---

(١) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

ومداخل الشيطان إلى القلب كثيرة ومنها على سبيل المثال:  
الحسد، والحرص، والطمع، والبخل، والشح، والرياء،  
والعجب، وسوء الظن، والعجلة، والطيش، والغضب،  
وحب الدنيا والتعلق بها وبزينتها في اللباس والأثاث والدور  
والمراكب ونحوها.

وسوف نتناول بمشيئة الله تعالى هذا المدخل الأخير من  
مداخل الشيطان في ثنایا هذا الكتاب ضمن سلسلة مفسدات  
القلوب، وسنعرض لبيان شيء من حقيقة الدنيا، مع إشارة  
موجزة لموقف المؤمنین منها، ثم نذكر ما تيسر من مظاهر  
حب الدنيا، وأسبابه، ومفاسده، وعلاجه.

ولا يفوتني أن أشكر كل من ساهم في إعداد هذه المادة  
وإخراجها بالصورة المرضية.

ونسأل الله تعالى أن لا يجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ  
علمنا، ولا إلى النار مصيرنا.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## حقيقة الدنيا

قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ ثُمَّ يَسِيحُ فترته مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

قال القرطبي: ("ما" صلة تقديره اعلموا أن الحياة الدنيا لعب باطل وهو فرح ثم ينقضي، وقال قتادة: لعب وهو أكل وشرب، وقيل: إنه على المعهود من اسمه، قال مجاهد: كل لعب لهو)<sup>(١)</sup>.

وقال ابن كثير: (يقول تعالى مهوناً أمر الحياة الدنيا ومحقرها لها) ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ أي إنما حاصل أمرها عند أهلها

(١) تفسير القرطبي (١٧ / ٢٥٤).

هذا كما قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ  
وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ  
الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ  
عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَاقِ ﴾ [آل عمران: ١٤].

ثم ضرب الله تعالى مثل الحياة الدنيا، وبيّن أنها زهرة  
فانية، ونعمة زائلة فقال: ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ ﴾ وهو المطر الذي  
يأتي بعد قنوط الناس كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ  
مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ﴾ [الشورى: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَاءِهِ ﴾ أي يعجب الزراع  
نبات ذلك الزرع الذي نبت بالغيث كما يعجب الزراع ذلك  
تُعجِبُ الحياة الدنيا الكفار؛ فإنهم أحرص شيء عليها وأميل  
الناس إليها.

﴿ ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا ﴾ أي يهيج ذلك  
الزرع، فتراه مصفرا بعدما كان خضرا نضرا، ثم يكون بعد  
ذلك كله حطاما، أي يصير يبسا متحطما. هكذا الحياة الدنيا  
تكون أولا شابة ثم تكتهل ثم تكون عجوزا شوهاء،

والإنسان يكون كذلك أول عمره وعنفوان شبابه، غضا طريا لين الأعطاف، بهي المنظر، ثم إنه يشرع في الكهولة؛ فتتغير طباعه ويفقد بعض قواه، ثم يكبر فيصير شيخا كبيرا، ضعيف القوى قليل الحركة، يعجزه الشيء اليسير كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤].

ولما كان هذا المثل دالا على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة كائنة لا محالة؛ حذر من أمرها، ورغب بما فيها من الخير فقال: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ﴾ أي وليس في الآخرة الآتية القريبة إلا إما هذا وإما هذا، إما عذاب شديد، وإما مغفرة من الله ورضوان.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ﴾ أي هي متاع فإن غار لمن ركن إليه، فإنه يغتر بها وتعجبه، حتى يعتقد أن لا دار سواها، ولا معاد وراءها، وهي حقيرة قليلة

بالنسبة إلى الدار الآخرة<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقَدِّرًا ۗ ﴾ [الكهف: ٤٥].

وقال الطبري: (يقول فلا يفخر ذو الأموال بكثرة أمواله، ولا يستكبر على غيره بها، ولا يغترن أهل الدنيا بدنياهم؛ فإنما مثلها مثل هذا النبات الذي حسن استواؤه بالمطر، فلم يكن إلا ريثما أن انقطع عنه الماء؛ ففتناهى نهايته عاد يابساً تذروه الرياح، فاسدا تنبو عنه أعين الناظرين، ولكن ليعمل للباقي الذي لا يفنى، والدائم الذي لا يبيد ولا يتغير)<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: (يقول تعالى واضرب يا محمد للناس مثل الحياة الدنيا في زوالها وفنائها وانقضائها، كما أنزلناه من

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٤).

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٣٠).

السماء فأختلط به نبات الأرض، أي ما فيها من الحب فشب وحسن وعلاه الزهر والنور والنضرة، ثم بعد هذا كله أصبح هشيما يابساً تذروه الرياح أي تفرقه وتطرحة ذات اليمين وذات الشمال، وكان الله على كل شيء مقتدراً أي هو قادر على هذه الحال وهذه الحال، وكثيراً ما يضرب الله مثل الحياة الدنيا بهذا المثل<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرٌ نَا لِيلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٢٤].

قال ابن القيم: (شبه سبحانه الحياة الدنيا في أنها تتزين في عين الناظر فتروقه بزینتها، وتعجبه فيميل إليها ويهاها اغترارا منه بها، حتى إذا ظن أنه مالك لها قادر عليها سلبها بغتة أحوج ما كان إليها، وحيل بينه وبينها، فشبها بالأرض

(١) تفسير ابن كثير (٥ / ١٦١).



التي ينزل الغيث عليها، فتعشب ويحسن نباتها ويروق منظرها للناظر فيعتر به ويظن أنه قادر عليها مالك لها، فيأتيها أمر الله فتدرك نباتها الآفة بغتة فتصبح كأن لم تكن قبل، فيخيب ظنه وتصبح يدها صفرا منها، فكذا حال الدنيا والوائق بها سواء وهذا من أبلغ التشبيه والقياس<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلوات الله عليه قال: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوءٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ» وفي رواية: «لَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ»<sup>(٢)</sup>.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله صلوات الله عليه قال:

(١) إعلام الموقعين (١ / ١٥٣).

(٢) رواه مسلم (٢٧٤٢).

«الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»<sup>(١)</sup>.

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدُلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»<sup>(٣)</sup>.

وعن المستورد بن شداد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: «مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أَصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَا تَرَجُّعُ»<sup>(٤)</sup>.

## المؤمنون والدنيا

(١) رواه مسلم (١٤٦٧).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٢٠) وقال: حديث صحيح غريب.

(٣) رواه مسلم (٢٩٥٦).

(٤) رواه مسلم (٢٨٥٨).

## موقف النبي ﷺ من الدنيا:

قال عمر رضي الله عنه واصفاً حال رسول الله صلوات الله عليه (... وإنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء، وتحت رأسه وسادة من آدم حشوها ليف، وإن عند رجله قرظاً مصبوباً، وعند رأسه أهبٌ معلقة، فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت، فقال: «مَا يُبْكِيكَ؟» فقلت: يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله. فقال: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ؟»<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم: (وقد عرضت الدنيا على النبي بحذافيرها، وتعرضت له فدفع في صدرها باليدين، وردّها على عقبها، ثم عرضت بعده على أصحابه وتعرضت لهم، فمنهم من سلك سبيله ودفعها عنه وهم القليل، ومنهم من استعرضها وقال ما فيك قالت في الحلال والشبهة والمكروه والحرام، فقالوا هاتي حلالك ولا حاجة لنا فيما عداه، فأخذوا حلالها. ثم تعرضت لمن بعدهم فطلبوا حلالها فلم يجدوه، فطلبوا مكروها وشبهها، فقالت قد أخذته من قبلكم، فقالوا هاتي

(١) البخاري (٤٩١٣).

حرامك فأخذوه، فطلبه من بعدهم فقالت هو في أيدي الظلمة قد استأثروا به عليكم، فتحيلوا على تحصيله منهم بالرغبة والرغبة، فلا يمد فاجر يده إلى شيء من الحرام إلا وجد أفجر منه وأقوى قد سبقه إليه، هذا وكلهم ضيوف وما بأيديهم عارية كما قال ابن مسعود رضي الله عنه ما أصبح أحد في الدنيا إلا ضيف، وماله عارية، فالضيف مرتحل، والعارية مؤادة<sup>(١)</sup>.

وهذا هو ديدن الأنبياء عليهم السلام حيث إنهم لا يحصل لهم سرور إذا حصلوا على أمر من أمور الدنيا، قال القرطبي: (ولا يسر نبي بأمر دنيا)<sup>(٢)</sup>.

### بعض مواقف الصحابة رضي الله عنهم من الدنيا:

تورع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن كثير من طيبات المآكل والمشارب وتنزه عنها، وقال: إني أخاف أن أكون كالذين قال الله لهم وقرّعهم ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠] وقال أبو مجلز: ليفقدن أقوام حسنات

(١) عدة الصابرين (١٨٦).

(٢) تفسير القرطبي (١٣ / ١٧٠).

كانت لهم في الدنيا فيقال لهم ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾<sup>(١)</sup>.

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا أبو حمزة عن عطاء عن عرفجة الثقفي قال استقرأت ابن مسعود رضي الله عنه ﴿سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ فلما بلغ ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا﴾ ترك القراءة وأقبل على أصحابه وقال: آثرنا الدنيا على الآخرة، فسكت القوم. فقال: آثرنا الدنيا؛ لأننا رأينا زيتها ونساءها وطعامها وشرابها، وزويت عنا الآخرة، فاخترنا هذا العاجل، وتركنا الآجل، وهذا منه على وجه التواضع والهضم، أو هو إخبار عن الجنس من حيث هو، والله أعلم<sup>(٢)</sup>.

عن الأحنف بن قيس قال: ثم قدمت المدينة، فبينما أنا في حلقة فيها ملاً من قريش، إذ جاء رجل أحسن الثياب، أحسن الجسد، أحسن الوجه، فقام عليهم فقال: بشر الكانزين برضف يحمى عليه في نار جهنم، فيوضع على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج من غض كتفيه، ويوضع على غض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل، قال: فوضع القوم رؤوسهم

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٨٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٨٢).

فما رأيت أحدا منهم رجع إليه شيئا. قال: فأدبر واتبعته حتى جلس إلى سارية، فقلت: ما رأيت هؤلاء إلا كرهوا ما قلت لهم. قال: إن هؤلاء لا يعقلون شيئا، إن خليلي أبا القاسم رضي الله عنه دعاني فأجبتة، فقال: أترى أحدا فنظرت ما علي من الشمس، وأنا أظن أنه يبعثني في حاجة له، فقال: ما يسرني أن لي مثله ذهباً أنفقه كله إلا ثلاثة دنانير، ثم هؤلاء يجمعون الدنيا لا يعقلون شيئا، قال: قلت مالك ولإخوتك من قریش لا تعتریهم وتصیب منهم، قال: لا وربك لا أسألهم عن دنیا، ولا أستفتيهم عن دين حتى ألحق بالله ورسوله<sup>(١)</sup>.

عن وبرة قال: سأل رجل ابن عمر رضي الله عنهما أطوف بالبيت وقد أحرمت بالحج؟ فقال: وما يمنعك؟ قال: إني رأيت ابن فلان يكرهه وأنت أحب إلينا منه، رأيناه قد فتنته الدنيا، فقال: وأينا أو أيكم لم تفتنه الدنيا<sup>(٢)</sup>.

عن عمرو بن قيس عن حدثه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه

(١) رواه مسلم (٩٩٢).

(٢) رواه مسلم (١٢٣٣).

قال: لما حضره الموت قال: مرحبا بالموت زائر مغرب، حبيب جاء على فاقة، اللهم كنت أخافك، فأنا اليوم أرجوك، اللهم: إنك تعلم أنني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظماً الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر<sup>(١)</sup>.

### بعض مواقف التابعين من الدنيا:

دخلنا على مالك بن دينار في مرضه الذي مات فيه، وهو يكابد بنفسه، فرفع رأسه إلى السماء ثم قال: (اللهم إنك تعلم أنني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لبطن ولا لفرج)<sup>(٢)</sup>.

دخل أبو مسلم الخولاني المسجد، فنظر إلى نفر قد اجتمعوا جلوساً، فرجا أن يكونوا على ذكر وعلى خير، فجلس إليهم، فإذا بعضهم يقول: قدم غلام لي فأصاب كذا وكذا، وقال الآخر: قد جهزت غلامي، فنظر إليهم فقال: (سبحان الله

(١) الثبات عند المات (١١٨-١١٩).

(٢) الثبات عند المات (١٤٨).

هل تدرون يا هؤلاء ما مثلي ومثلكم؟ كمثل رجل أصابه مطر غزير وابل، فالتفت فإذا هو بمصراعين عظيمين، فقال: لو دخلت هذا البيت حتى يذهب عني أذى هذا المطر، فدخل فإذا بيت لا سقف له، جلست إليكم وأنا أرجو أن تكونوا على خير وعلى ذكر، فإذا أنتم أصحاب دنيا. فقام عنهم<sup>(١)</sup>.

هذه بعض النماذج من سير الرعيل الأول، ومن أراد المزيد في إمكانه الرجوع لما سطره العلماء في مصنفاتهم الخاصة بالتراجم والسير.

(١) الزهد لابن المبارك (٣٣٨).



## مظاهر حب الدنيا

لحب الدنيا مظاهر عديدة، ومن أبرزها ما يلي:

### ١- إصرار الناس على الانهماك في الدنيا:

عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال: كنت واقفا مع أبي ابن كعب رضي الله عنه فقال: (لا يزال الناس مختلفة أعناقهم في طلب الدنيا)<sup>(١)</sup>.

### ٢- طلب الدنيا بعمل الآخرة:

قال مطرف: (إن أقبح الرغبة في الدنيا أن تُطلبَ بعمل الآخرة)<sup>(٢)</sup>.

قال الفضيل بن عياض: (لأن أكل الدنيا بالطبل والمزمار أحب إلي من أن أكلها بديني)<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه مسلم (٢٨٩٥).

(٢) رواه البيهقي في الشعب (٦٩٣٠).

(٣) رواه البيهقي في الشعب (٦٩٣١).

قال الجنيد: (سمعت السري يذم من يأكل بدينه ويقول: من النذالة أن يأكل العبد بدينه)<sup>(١)</sup>.

كان مالك بن أنس يقول: قال لي ربيعة الرأي - وكان أستاذ مالك - يا مالك من السفلة؟ قال: قلت: من أكل بدينه، فقال: من سفلة السفلة؟ قال: من أصلح دنيا غيره بفساد دينه. قال: فصدري<sup>(٢)</sup>.

سئل ابن المبارك: من الناس؟ قال: العلماء، قال: من الملوكة؟ قال: الزهاد، قال: فمن السفلة؟ قال: الذي يأكل بدينه<sup>(٣)</sup>.

### ٣- الترف والتنعم في الملبس والمأكل والمشرب:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله صلوات الله عليه لما بعث به إلى اليمن قال له: «إِيَّاكَ وَالتَّنَعُّمَ فَإِنَّ عِبَادَ اللَّهِ لَيَسُؤُوا بِالتَّنَعُّمِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه البيهقي في الشعب (٦٩٣٢).

(٢) رواه البيهقي في الشعب (٦٩٣٣).

(٣) رواه البيهقي في الشعب (٦٩٣٤).

(٤) رواه أحمد (٢١٦٠٠) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٠/١٠) رجاله ثقات.

#### ٤- حب المال وحب الجاه والشرف والشهرة:

قال الله تعالى: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ بَجَعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ  
 عُلُوقًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣].  
 عن كعب بن مالك رضي عنه عن النبي صلَّى الله عليه وآله أنه قال: «مَا ذُئِبَانٍ  
 جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ  
 وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه الترمذي (٢٣٧٦) وقال: حديث حسن صحيح.

## أسباب حب الدنيا

لحب الدنيا أسباب كثيرة، ولعل من أبرزها الأسباب التالية:

### ١- زينتها وحسنها الظاهر:

قال الله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوهٌ حَضْرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَحْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»<sup>(١)</sup>.

### ٢- ميل النفس والقلب إليها:

قال تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ

(١) رواه مسلم (٢٧٤٢).

وَالْفَنْطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ  
وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ  
حُسْنُ الْمَعَابِ ﴿١٤﴾ [آل عمران: ١٤].

عن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَلْبُ الشَّيْخِ  
شَابٌّ عَلَى حُبِّ اثْنَتَيْنِ، حُبِّ الْعَيْشِ وَالْمَالِ»<sup>(١)</sup>.

وفي لفظ: «يَهْرُمُ ابْنُ آدَمَ وَيَشْبُ مِنْهُ اثْنَتَانِ الْحِرْصُ عَلَى  
الْمَالِ، وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمُرِ»<sup>(٢)</sup>.

وعنه أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ  
وَأَدْيَانٍ مِنْ مَالٍ لَا يَتَّبِعِي وَأَدْيَا ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا  
التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ»<sup>(٣)</sup>.

وفي لفظ: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادٍ مِنْ ذَهَبٍ، أَحَبَّ أَنْ لَهُ  
وَأَدْيَا آخَرَ، وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه مسلم (١٠٤٦).

(٢) رواه مسلم (١٠٤٧).

(٣) رواه مسلم (١٠٤٨).

(٤) رواه البخاري (٦٤٣٩).

## ٣- إيثار العاجل الحاضر على الأجل المنتظر:

قال الله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْتِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ ۚ وَأَبْقَىٰ﴾ [الأعلى: ١٧].

قال ابن القيم: (بل أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه وبيّن لهم مواقع رضاه وغضبه، ووعدهم على مخالفة هواهم وطبائعهم أكمل اللذات في دار النعيم، فلم تقو عقول الأكثرين على إيثار الأجل المنتظر بعد زوال الدنيا على هذا العاجل الحاضر المشاهد وقالوا: كيف يباع نقد حاضر وهو قبض باليد بنسيئة مؤخره وعدنا بحصولها بعد طي الدنيا وخراب العالم، ولسان حال أكثرهم يقول: خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به، فساعد التوفيق الإلهي من علم أنه يصلح لمواقع فضله فأمدّه بقوة إيمان وبصيرة رأى في ضوءها حقيقة الآخرة ودوامها، وما أعد الله فيها لأهل طاعته وأهل معصيته، ورأى حقيقة الدنيا، وسرعة انقضائها، وقله وفائها، وظلم شركائها، وأنها كما وصفها الله سبحانه لعب وهو وتفاجر بين أهلها وتكاثر في الأموال والأولاد، وأنها كغيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج

فتراه مصفرا ثم يكون حطاما، فنشأنا في هذه الدار ونحن منها وبنوها لا نألف غيرها، وحكمت العادات، وقهر السلطان الهوى، وساعده داعي النفوس وتقاضاه موجب الطباع، وغلب الحس على العقل، وكانت الدولة له<sup>(١)</sup>.

**وخلاصة القول:** أن حب الدنيا وإيثارها على الآخرة

يرجع إلى أحد سببين:

السبب الأول: فساد في الإيمان والدين.

والسبب الثاني: فساد في العقل.

---

(١) شفاء العليل (٢٦٥).

## مفاسد حب الدنيا

حذرنا الله جلَّ وعلا من الاغترار بالدنيا والركون إليها؛  
لما في ذلك من المفاسد والمضار العاجلة والآجلة، ومنها ما  
يلي:

### ١- أن حب الدنيا مفتاح كل شر:

قال ابن القيم: (ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل،  
ومفتاح كل خير الرغبة في الله والدار الآخرة، ومفتاح كل  
شر حب الدنيا وطول الأمل، وهذا باب عظيم من أنفع  
أبواب العلم وهو معرفة مفاتيح الخير والشر، ولا يوفق  
لمعرفته ومراعاته إلا من عظم حظه وتوفيقه، فإن الله سبحانه  
وتعالى جعل لكل خير وشر مفتاحا وبابا يدخل منه إليه)<sup>(١)</sup>.

(١) حادي الأرواح (٤٨).



## ٢- أن حب الدنيا سبب للوقوع في الكفر بالله ومعصيته:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلوات الله عليه قال: «يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»<sup>(١)</sup>.

قال ابن تيمية: (والكافر قد يعلم وجود ذلك الضرر، لكنه يحمله حب العاجلة على الكفر، يبين ذلك قوله: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(١٠٦)</sup> ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ فقد ذكر تعالى من كفر بالله من بعد إيمانه وذكر وعيده في الآخرة ثم قال: ﴿ذَلِكَ

(١) رواه مسلم (١١٨).

يَأْتُهُمْ أَسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ ﴿١﴾ وبين تعالى أن الوعيد إستحقوه بهذا (١).

### ٣- التعرض للعقوبة والعذاب في الدنيا قبل الآخرة:

قال ابن القيم: (محبها أشد الناس عذابا بها، وهو معذب في دوره الثالث، يعذب في الدنيا بتحصيلها والسعى فيها ومنازعة أهلها، وفي دار البرزخ بفواتها والحسرة عليها، وكونه قد حيل بينه وبين محبوبه على وجه لا يرجو اجتماعه به أبدا، ولم يحصل له هناك محبوب يعوضه عنه، فهذا أشد الناس عذابا في قبره، يعمل الهم والغم والحزن والحسرة في روحه ما تعمل الديدان وهوام الأرض في جسمه) (٢).

وقال أيضا: (محب الدنيا يعذب في قبره، ويعذب يوم لقاء ربه، قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ

(١) مجموع الفتاوى (٧ / ٥٥٩).

(٢) عدة الصابرين (١٨٩).

كَفِرُونَ ﴿١﴾ قال بعض السلف: يعذبهم بجمعها، وتزهق أنفسهم بحبها، وهم كافرون بمنع حق الله فيها<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً: (وقالت طائفة: تعذيبهم بها أنهم يتعرضون بكفرهم لغنيمة أموالهم، وسبي أولادهم، فإن هذا حكم الكافر وهم في الباطن كذلك. وهذا أيضاً من جنس ما قبله، فإن الله سبحانه أقر المنافقين، وعصم أموالهم وأولادهم بالإسلام الظاهر وتولى سرائرهم، فلو كان المراد ما ذكره هؤلاء لوقع مراده سبحانه من غنيمة أموالهم، وسبي أولادهم، فإن الإرادة ههنا كونية بمعنى المشيئة وما شاء الله كان ولا بد وما لم يشأ لم يكن. والصواب والله أعلم أن يقال: تعذيبهم بها هو الأمر المشاهد من تعذيب طلاب الدنيا ومحبيها ومؤثرها على الآخرة بالحرص على تحصيلها، والتعب العظيم في جمعها، ومقاساة أنواع المشاق في ذلك. فلا تجد أتعب ممن الدنيا أكبر همهم، وهو حريص بجهدته على تحصيلها، والعذاب هنا هو الألم والمشقة والنصب)<sup>(٢)</sup>.

(١) عدة الصابرين (١٨٩).

(٢) إغاثة اللهفان (١/٣٦).

#### ٤- غفلة القلب عن الدار الآخرة والتقصير في العمل الصالح:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلوات الله عليه قال: «مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِأَخْرَجَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ، فَاتِّرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى»<sup>(١)</sup>.

قال ابن تيمية: (وقال تعالى ﴿قُلِ الْخِرَاصُونَ﴾<sup>(١٠)</sup> الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿﴾ أي: ساهون عن أمر الآخرة، فهم في غمرة عنها، أي: فيما يغمر قلوبهم من حب الدنيا ومتاعها، ساهون عن أمر الآخرة وما خلقوا له، وهذا يشبه قوله ﴿وَلَا تُطْعَمَنَ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَاتِ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ ﴿﴾ فالغمرة تكون من اتباع الهوى، والسهو من جنس الغفلة، ولهذا قال من قال: السهو الغفلة عن الشيء وذهاب القلب عنه، وهذا جماع الشر الغفلة والشهوة، فالغفلة عن الله والدار الآخرة تسد باب الخير الذي هو الذكر واليقظة، والشهوة تفتح باب الشر والسهو والخوف فيبقى القلب مغمورا فيما يهواه ويخشاه

(١) رواه أحمد (١٩١٩٨)، قال الهيثمي في المجمع (١١/١٤٤) رجاله ثقات، وقال الألباني: صحيح لغيره.

غافلا عن الله، رائدا غير الله، ساهيا عن ذكره، قد اشتغل  
 بغير الله، قد انفرط أمره، قد ران حب الدنيا على قلبه، كما  
 روي في صحيح البخاري وغيره عن أبي هريرة عن النبي ﷺ  
 أنه قال: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعَسَّ عَبْدُ الدَّرْهَمِ، تَعَسَّ عَبْدُ  
 الخَمِيصَةِ، تَعَسَّ عَبْدُ القَطِيفَةِ، تَعَسَّ وَأَنْتَكَسَّ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا  
 أَنْتَقَشَ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِي، وَإِنْ مُنِعَ سَخِطَ»<sup>(١)</sup>، جعله عبد ما  
 يرضيه وجوده ويسخطه فقده، حتى يكون عبد الدرهم، وعبد  
 ما وصف في هذا الحديث. والقטיפفة هي التي يجلس عليها  
 فهو خادمها)<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن القيم: ( محبتها تعترض بين العبد وبين فعل ما  
 يعود عليه نفعه في الآخرة؛ لاشتغاله عنه بمحبوبه. والناس  
 ها هنا مراتب، فمنهم من يشغله محبوبه عن الإيمان وشرائعه،  
 ومنهم من يشغله عن الواجبات التي تجب عليه الله ولخلقه فلا  
 يقوم بها ظاهرا ولا باطنا، ومنهم من يشغله حبها عن كثير من

(١) رواه البخاري (٢٨٨٧).

(٢) الزهد والورع والعبادة (٣٥).

الواجبات، ومنهم من يشغله عن واجب يعارض تحصيلها وإن قام بغيره، ومنهم من يشغله عن القيام بالواجب في الوقت الذي ينبغي، على الوجه الذي ينبغي فيفطر في وقته، وفي حقوقه، ومنهم من يشغله عن عبودية قلبه في الواجب، وتفريغه لله عند أدائه فيؤديه ظاهرا لا باطنا. وأقل درجات حبها أن يشغل عن سعادة العبد وهو تفريغ القلب لحب الله، ولسانه لذكره، وجمع قلبه على لسانه وجمع لسانه وقلبه على ربه. فعشقها ومحبتها تضر بالآخرة ولا بد كما أن محبة الآخرة تضر بالدنيا، وقد روى مرفوعا: «مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَ بِدُنْيَاهُ، فَأَثَرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى»<sup>(١)</sup> (٢).

### ٥- مزاحمته لمحبة الله في القلب:

قال ابن تيمية: (فكيف إذا استولى على القلب ما هو أعظم استعبادا من الدرهم والدينار من الشهوات والأهواء والمحجوبات التي تجذب القلب عن كمال محبته لله وعبادته؛ لما

(١) رواه أحمد (١٩١٩٨)، وقال الهيثمي في المجمع (١١/١٤٤) رجاله ثقات، وقال الألباني: صحيح لغيره.

(٢) عدة الصابرين (١٨٨).

فيها من المزاومة والشرك بالمخلوقات، كيف تدفع القلب وتزيغه عن كمال محبته لربه وعبادته وخشيته؛ لأن كل محبوب يجذب قلب محبه إليه ويزيغه عن محبة غير محبوه<sup>(١)</sup>.

### ٦- عدم تلاذذ القلب بذكر الله تعالى:

قال ابن تيمية: (القلب إنما خلق لذكر الله سبحانه، ولذلك قال بعض الحكماء المتقدمين من أهل الشام أظنه سليمان الخواص رحمه الله قال: الذكر للقلب بمنزلة الغذاء للجسد، فكما لا يجد الجسد لذة الطعام مع السقم، فكذلك القلب لا يجد حلاوة الذكر مع حب الدنيا أو كما قال<sup>(٢)</sup>.

عن أبي عمران المصري قال: (أوحى الله جل وعز إلى داود: يا داود لا تجعل بيني وبينك عالما أسكنت قلبه حب الدنيا، أولئك القطاع على عبادي، إن أدنى ما أعاقبهم به أن أنزع حلاوة مناجاتي من أصول قلوبهم)<sup>(٣)</sup>.

(١) الزهد والورع (٣٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٩ / ٣١٢).

(٣) حديث خيثة (١٦٦).

## ٧- الهم الدائم والفقر اللازم وتشئت الشمل:

قال النبي ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ وَالدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّهِ شَتَّتَ اللَّهُ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ أَصْبَحَ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرَ هَمِّهِ، جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ»<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم: ( وهكذا مَنْ الدنيا كل همه أو أكبر همه كما قال في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمِّهِ، جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمِّهِ، جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ»<sup>(٢)</sup> ) ومن أبلغ العذاب في الدنيا تشئت الشمل، وتفريق القلب، وكون الفقر نصب عيني

(١) رواه الترمذي (٢٤٦٥) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٢٧/٣).

(٢) رواه الترمذي (٢٤٦٥) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٢٧/٣).



العبد لا يفارقه، ولولا سكرة عشاق الدنيا بحبها لاستغاثوا من هذا العذاب<sup>(١)</sup>.

### ٨- أنه يلهي عن ذكر الله:

قال ابن القيم: (وأقل ما في حبها أنه يلهي عن حب الله وذكره، ومن ألهاه ماله عن ذكر الله فهو من الخاسرين، وإذا لها القلب عن ذكر الله سكنه الشيطان وَصَرَّفَهُ حَيْثُ أَرَادَ)<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن الجوزي: (والله لو كانت الدنيا صافية المشارب من كل شائب، ميسرة المطالب لكل طالب، باقية علينا لا يسلبها منا سالب، لكان الزهد فيها هو الفرض الواجب؛ لأنها تشغل عن الله، والنعم إذا شغلت عن المنعم كانت من المصائب)<sup>(٣)</sup>.

(١) إغاثة اللهفان (١ / ٣٦).

(٢) عدة الصابرين (١٨٦).

(٣) التذكرة في الوعظ (٧١).

## ٩. أن الدنيا تصير غايته:

قال ابن القيم: (إذا أحبها صَيَّرَهَا غَايَتَهُ، وتوسل إليها بالأعمال التي جعلها الله وسائل إليه وإلى الدار الآخرة، فعكس الأمر وقلب الحكمة فانعكس قلبه وانعكس سيره إلى وراء، فها هنا أمران أحدهما: جعل الوسيلة غاية، والثاني: التوسل بأعمال الآخرة إلى الدنيا، وهذا شر معكوس من كل وجه، وقلب منكوس غاية الانتكاس، وهذا هو الذي انطبق عليه حذو القذة بالقذة قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّكَارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾، وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَدْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٧﴾ وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿١٨﴾ فهذه ثلاث آيات يشبه بعضها بعضا، وتدل على معنى واحد وهو أن من أراد بعمله الدنيا وزينتها دون الله والدار الآخرة فحظه ما أراد وهو

نصيبه ليس له نصيب غيره، والأحاديث عن رسول الله ﷺ مطابقة لذلك، مفسرة له<sup>(١)</sup>.

### ١٠- حرمان العبد من الأجر وفساد عمله:

قال ابن القيم: (فانظر محبة الدنيا ماذا حرمت هذا المجاهد من المجاهدين من الأجر، وأفسدت عليه عمله وجعلته أول الداخلين إلى النار)<sup>(٢)</sup>.

### ١١- الطغيان:

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ۚ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ أُسْتَعْتَبَ ۗ﴾ [العلق: ٦-٧].

قال ابن كثير: (قال ابن أبي حاتم حدثنا زيد بن إسماعيل الصائغ حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو عميس عن عون قال: قال عبد الله: منهومان لا يشبعان صاحب العلم وصاحب الدنيا، ولا يستويان فأما صاحب العلم فيزداد رضى الرحمن، وأما صاحب الدنيا فيتهدى في الطغيان، قال: ثم قرأ عبد الله

(١) عدة الصابرين (١٨٦).

(٢) عدة الصابرين (١٨٨).

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْتَضَى ﴾ وقال للآخر ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ وقد روي هذا مرفوعا إلى رسول الله ﷺ: «منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا»<sup>(١)</sup><sup>(٢)</sup>.

### ١٢- بيع الدنيا بالدين:

عن أبي هريرة رضي عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»<sup>(٣)</sup>.

### ١٣- القول على الله بغير علم والابتداع في الدين:

قال ابن القيم: (فائدة جليلة: كل من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبها، فلا بد أن يقول على الله غير الحق في فتواه، وحكمه في خبره وإلزامه؛ لأن أحكام الرب سبحانه كثيرا ما تأتي على خلاف أغراض الناس، ولا سيما أهل الرياسة والذين

(١) رواه الدارمي (٣٣٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) تفسير ابن كثير (٨ / ٤٣٧).

(٣) رواه مسلم (١١٨).

يتبعون الشبهات فإنهم لا تتم لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحق ودفعه كثيرا، فإذا كان العالم والحاكم محبين للرياسة متبعين للشهوات لم يتم لهم ذلك إلا بدفع ما يصاده من الحق، ولا سيما إذا قامت له شبهة فتتفق الشبهة والشهوة ويثور الهوى فيخفى الصواب وينطمس وجه الحق، وإن كان الحق ظاهرا لا خفاء به ولا شبهة فيه أقدم على مخالفته وقال لي مخرج بالتوبة وفي هؤلاء وأشباههم قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ ﴾ وقال تعالى فيهم أيضا: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ فأخبر سبحانه أنهم أخذوا العرض الأدنى مع علمهم بتحريمه عليهم وقالوا سيغفر لنا، وإن عرض لهم عرض آخر أخذوه فهم مصرون على ذلك، وذلك هو الحامل لهم على أن يقولوا على الله غير الحق فيقولون هذا حكمه وشرعه ودينه وهم يعلمون أن دينه وشرعه وحكمه خلاف ذلك، أولا يعلمون أن ذلك دينه وشرعه وحكمه، فتارة يقولون على الله

مالا يعلمون، وتارة يقولون عليه ما يعلمون بطلانه. وأما الذين يتقون فيعلمون أن الدار الآخرة خير من الدنيا فلا يحملهم حب الرياسة والشهوة على أن يؤثروا الدنيا على الآخرة<sup>(١)</sup>.

#### ١٤- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وترك الجهاد في سبيل الله:

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَالَكُمُ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: «أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ رَهْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ بِحَقِّ إِذَا رَأَاهُ أَوْ شَهِدَهُ؛ فَإِنَّهُ لَا يَقْرَبُ مِنْ أَجَلٍ، وَلَا يُبَاعِدُ مِنْ رِزْقٍ أَنْ يَقُولَ بِحَقِّ أَوْ يُذَكِّرَ بِعَظِيمٍ»<sup>(٢)</sup>.

(١) الفوائد (١٠٠-١٠١).

(٢) رواه أحمد (١١٠٨٢) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/٣٠) بنحوه.

### ١٥- تأخر النصر ونزع المهابة من صدور الأعداء:

عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قِصْعَتِهَا. فَقَالَ قَائِلٌ: وَمَنْ قِلَّةٌ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْدِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»<sup>(١)</sup>.

### ١٦- خسارة الدنيا والآخرة:

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

قال الحسن: (غدا كل امرئ فيما يهيمه، ومن همم بشيء أكثر من ذكره، إنه لا عاجلة لمن لا آخرة له، ومن أثر دنياه على آخرته فلا دنيا له ولا آخرة)<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه أبو داود (٤٢٩٧) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/ ١٦٥).

(٢) الزهد لأحمد بن حنبل (٢٥٨).

**١٧- التعبد الأجوف وموت القلب:**

قال ابن الجوزي: (مثل المحب لها ولو كابد العبادة كمثل ناشر الأرز يرفع رجلاً ويضع أخرى، ومن مكانه لا يبرح، وكذلك الذي شُغِلَ بحب الدنيا قلبه، وبالعبادة جوارحه، تراه طول عمره يتقرب إلى الله بظواهره، ويبعد عنه بقلبه)<sup>(١)</sup>.

**١٨- سوء الخاتمة:**

قال الحافظ أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي: (وأعلم أن لسوء الخاتمة أعاذنا الله منها أسباب، ولها طرق وأبواب أعظمها الإنكباب على الدنيا، وطلبها والحرص عليها، والإعراض عن الأخرى، والإقدام والجرأة على معاصي الله عز وجل، وربما غلب على الإنسان ضرب من الخطيئة، ونوع من المعصية، وجانب من الإعراض، ونصيب من الجرأة والإقدام؛ فملك قلبه، وسبى عقله، وأطفأ نوره، وأرسل عليه حجبه، فلم تنفع فيه تذكرة، ولا نجعت فيه موعظة،

(١) التذكرة في الوعظ (٣٦).



فربما جاءه الموت على ذلك، فسمع النداء من مكان بعيد فلم يتبين له المراد، ولا علم ما أراد، وإن كرر عليه الداعي وأعاد<sup>(١)</sup>.

---

(١) الجواب الكافي (١١٦).

## علاج حب الدنيا

ما من داء إلا وله دواء، علمه من علمه، وجهله من جهله،  
ومن ذلك داء حب الدنيا، فعلاجه كامن في الأمور التالية:

### ١- العلم الراسخ بحقيقة الدنيا:

وقد تقدم الكلام على ذلك في مبحث حقيقة الدنيا.

### ٢- احتقار الدنيا وإهانتها:

قال ابن القيم:

(وقال إسحق بن هانئ في مسأله: قال أبو عبد الله وأنا  
أخرج من داره: قال الحسن: أهينوا الدنيا فوالله لأهناً ما تكون  
حين تهان. وقال الحسن: والله ما أبالي شرقت أم غربت. قال:  
وقال لي أبو عبد الله: يا إسحق ما أهون الدنيا على الله عز وجل)<sup>(١)</sup>.

(١) عدة الصابرين (١٨٥-١٨٦).

### ٣- التفكير في سرعة زوالها وسرعة إقبال الآخرة:

قال ابن القيم: (عاشقها ومحبتها الذي يؤثرها على الآخرة من أسفه الخلق، وأقلهم عقلا؛ إذ أثر الخيال على الحقيقة، والمنام على اليقظة، والظل الزائل على النعيم الدائم، والدار الفانية على الدار الباقية، وباع حياة الأبد في أرغد عيش بحياة إنما هي أحلام نوم أو كظل زائل. إن اللبيب بمثلها لا يخدع، كما نزل أعرابى يقوم فقدموا له طعاما فأكل ثم قام إلى ظل خيمة فنام فاقتلعوا الخيمة فأصابته فانتبه وهو يقول:

وان امرؤ دنياه أكبر همه

لمستمسك منها بحبل غرور

وكان بعض السلف يتمثل بهذا البيت:

يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها

إن اغترارا بظل زائل حمق

قال يونس بن عبد الأعلى: ما شبهت الدنيا إلا كرجل نام فرأى في منامه ما يكره وما يحب، فبينما هو كذلك انتبه<sup>(١)</sup>.

(١) عدة الصابرين (١٩٠).

قال ابن كثير: (قال تعالى ﴿ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي إنما هذا زهرة الحياة وزينتها الفانية الزائلة ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَاقِ﴾ أي حسن المرجع والثواب، وقد قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن عطاء عن أبي بكر بن حفص بن عمر بن سعد قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما نزلت ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ قلت الآن يا رب حين زينتها لنا فنزلت ﴿قُلْ أَوْبَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الآية، ولهذا قال تعالى: فنزلت ﴿قُلْ أَوْبَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ﴾ أي قل يا محمد للناس أخبركم بخير مما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من زهرتها ونعيمها الذي هو زائل لا محالة ثم أخبر عن ذلك فقال ﴿لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً: (قال تعالى ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي لا تتعاضوا عن الأيمان بالله عرض الحياة الدنيا وزينتها فإنها قليلة، ولو حيزت لابن آدم الدنيا بحذافيرها لكان ما عند الله هو خير له أي جزاء الله وثوابه خير لمن رجاه وآمن به

(١) تفسير ابن كثير (٢ / ٢٢).

وطلبه وحفظ عهده رجاء موعوده ولهذا قال ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ثم قال ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي يخلو وينقضي فإنه إلى أجل محدود محصور مقدر متناه وما ثم الله باق أي ثوابه لكم في الجنة باق لا انقطاع ولا نفاذ له فإنه دائم لا يحول ولا يزول ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ قسم من الرب تعالى مؤكد باللام أنه يجازي الصابرين بأحسن أعمالهم أي ويتجاوز عن سيئها<sup>(١)</sup>.

#### ٤ - القناعة باليسير:

قال الله تعالى: ﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١]، عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلوات الله عليه وآله قال: «مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ»<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير (٢ / ٧٧٢).

(٢) رواه الترمذي (٢٤٦٥) وصححه الألباني.

قال ابن القيم: (وقال الحسن أيضا: ابن آدم لا تعلق قلبك في الدنيا فتعلقه بشر معلق، اقطع حبالها، وغلق أبوابها، حسبك يا ابن آدم منها ما يبلغك المحل)<sup>(١)</sup>.

### ٥- تدبر عواقب حب الدنيا:

قال ابن القيم: (شهوات الدنيا في القلب كشهوات الأظعمة في المعدة، وسوف يجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والتتن والقبح ما يجده للأظعمة اللذيذة إذا انتهت في المعدة غايتها، وكما أن الأظعمة كلما كانت ألد طعما وأكثر دسما وأكثر حلاوة كان رجيعها أقدر، فكذلك كل شهوة كانت في النفس ألد وأقوى فالتأذي بها عند الموت أشد، كما أن تفجع الإنسان بمحبوبه إذا فقدته يقوى بقدر محبة المحبوب.

وفي المسند أن النبي ﷺ قال للضحاك بن سفيان رضي عنه: «يا ضحَّاكُ مَا طَعَامُكَ؟» قال: اللحم واللبن قال: «ثُمَّ يَصِيرُ إِلَى

(١) عدة الصابرين (١٩٣).

مَآذَا؟» قال: إلى ما قد علمت، قال: «فَإِنَّ اللَّهَ وَعَجَلِكُمْ صَرَبَ مَا يَخْرُجُ مِنْ ابْنِ آدَمَ مَثَلًا لِلدُّنْيَا»<sup>(١)</sup>.

كان بعض السلف يقول لأصحابه: انطلقوا حتى أريكم الدنيا، فيذهب بهم إلى مزبلة، فيقول: انظروا إلى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم)<sup>(٢)</sup>.

### ٦- الاشتغال بتحصيل أسباب اللذة الحقيقية لا المتوهمة:

قال ابن القيم: (أعظم لذات الدنيا على الإطلاق لذة معرفته سبحانه، ولذة محبته؛ فإن ذلك هو لذة الدنيا ونعيمها العالي، ونسبة لذاتها الفانية إليه كتلفة في بحر فإن الروح والقلب والبدن إنما خلق لذلك، فأطيب ما في الدنيا معرفته سبحانه ومحبته، وألذ ما في الجنة رؤيته ومشاهدته، فمحبته ومعرفته قرة العيون، ولذة الأرواح، وبهجة القلوب، ونعيم الدنيا وسرورها من

(١) رواه أحمد (٢٠٧٣٣)، وابن حبان (٧٠٢) بلفظ: «إن مطعم ابن آدم جُعل مثلاً للدنيا وإن قرحه وملحه فانظروا ماذا يصير»، وصححه الأرنؤوط.

(٢) عدة الصابرين (١٩٥).

اللذة القاطعة عن ذلك تنقلب آلاما وعذابا ويبقى صاحبها في المعيشة الضنك، فليست الحياة الطيبة إلا بالله، وكان بعض المحبين تمر به أوقات فيقول: إن كان أهل الجنة في نعيم مثل هذا إنهم لفي عيش طيب، وكان غيره يقول: لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف<sup>(١)</sup>.

#### ٧- أن يقدم رضى الله على ما تحبه نفسه وتهواه:

قال ابن رجب: (وفي بعض الكتب السالفة: من أحب الله لم يكن شيء عنده أثر من رضاه، ومن أحب الدنيا لم يكن شيء عنده أثر من هوى نفسه. وروى ابن أبي الدنيا باسناده عن الحسن قال: ما نظرت ببصري، ولا نطقت بلساني، ولا بطشت بيدي، ولا نهضت على قدمي، حتى أنظر على طاعة الله أو على معصيته، فإن كانت طاعة تقدمت، وإن كانت معصية تأخرت)<sup>(٢)</sup>.

(١) الجواب الكافي (١٦٨).

(٢) كلمة الإخلاص (٣٥).



## ٨- التفكير في نعيم الجنة:

قال ابن رجب: (قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ  
 الْآخِرَةِ»<sup>(١)</sup>) وسبب ذلك: أن ابن آدم مركب من جسد وروح،  
 وكل منهما يحتاج إلى ما يتقوت به، ويتنعم به، وذلك هو عيشه،  
 فالجسد عيشه الأكل والشرب والنكاح واللباس والطيب وغير  
 ذلك من اللذات الحسية، ففيه هذا الاعتبار مشابهة بالحيوانات  
 في هذه الأوصاف، وأما الروح فهي لطيفة وهي روحانية من  
 جنس الملائكة فقوتها ولذتها وفرحها وسرورها في معرفة  
 خالقها وبارئها وفاطرها، وفيما يقرب من طاعته وذكره ومحبه  
 والأنس به والشوق إلى لقاءه، فهذا هو عيش النفس وقوتها،  
 فإذا فقدت ذلك مرضت وهلكت أعظم مما يهلك الجسد بفقد  
 طعامه وشرابه، ولهذا يوجد كثير من أهل الغنى والسعة  
 يعطي جسده حظه من التنعيم، ثم يجد ألما في قلبه ووحشة  
 فيظنه الجهال أن هذا يزول بزيادة هذه اللذات الحسية،  
 وبعضهم يظن أنه يزول بإزالة العقل بالسكر، وكل هذا يزيد

(١) رواه الطبراني (٤٩٥٩) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

الألم والوحشة، وإنما سببه أن الروح فقدت قوتها وغذاءها فمرضت وتألمت<sup>(١)</sup>.

### ٩- اليقين بأن الجمع بين عيش الدنيا والآخرة متعذر، فيتعين إيثاره على عيش الدنيا:

قال ابن رجب: (اعلم أن الجمع بين هذين العيشين في دار الدنيا غير ممكن، فمن اشتغل بعيش روحه وقلبه وحصل له منه نصيب وافر لهُ عن عيش جسده وبدنه، ولم يقدر أن يأخذ منه نهاية شهوته، ولم يقدر أن يتوسع في نيل الشهوات الحسية، وإنما يأخذ منها بقدر ما تقوم به حاجة البدن خاصة، فيتنقص بذلك عيش الجسد ولا بد، وهذه كانت طريقة الأنبياء والمرسلين وأتباعهم، وكان الله يختار أن يقلل نصيبهم من عيش أجسادهم، ويوفي نصيبهم من عيش قلوبهم وأرواحهم. قال سهل التستري: ما أتى الله عبدا من قربه ومعرفة نصيبا إلا حرمه من الدنيا بقدر ما أعطاه من معرفته وقربه، ولا آتاه من الدنيا نصيبا إلا حرمه من معرفته وقربه بقدر ما آتاه في الدنيا)<sup>(٢)</sup>.

(١) شرح حديث لبيك (٥٨).

(٢) شرح حديث لبيك (٦٢).

## ١٠- التدبر في سرعة زوال الدنيا:

قال ابن القيم: (مثل أهلها في غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة، فانتهد بهم إلى جزيرة فأمرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة، وحذرهم الابطاء، وخوفهم مرور السفينة، فتفرقوا في نواحي الجزيرة ففضى بعضهم حاجته، وبادر إلى السفينة فصادف المكان خاليا، فأخذ أوسع الأماكن وألينها وأوقفها لمراده، ووقف بعضهم في الجزيرة ينظر إلى أزهارها وأنوارها العجيبة، ويسمع نغمات طيورها، ويعجبه حسن أحجارها، ثم حدثته نفسه بفوت السفينة، وسرعة مرورها، وخطر ذهابها فلم يصادف إلا مكانا ضيقا فجلس فيه، وأكب بعضهم على تلك الحجارة المستحسنة والأزهار الفائقة فحمل منها حمله، فلما جاء لم يجد في السفينة إلا مكانا ضيقا، وزاده حمله ضيقا، فصار محموله ثقلا عليه ووبالا، ولم يقدر على نبذه، بل لم يجد من حمله بدا، ولم يجد له في السفينة موضعا، فحمله على عاتقه، وندم على أخذه فلم تنفعه الندامة، ثم ذبلت الأزهار، وتغيرت أراييجها، وأذاه تنتها. وتولج بعضهم في تلك الغياض، ونسي السفينة، وأبعد في نزهته حتى إن الملاح نادى

بالناس عند دفع السفينة، فلم يبلغه صوته لاشتغاله بملاهيته، فهو تارة يتناول من الثمر، وتارة يشم تلك الأنوار، وتارة يعجب من حسن الأشجار، وهو على ذلك خائف من سَبُعٍ يخرج عليه، غير منفك من شوك يتشبث في ثيابه، ويدخل في قدميه، أو غصن يجرح بدنه أو عوسج يخرق ثيابه<sup>(١)</sup>.

### ١١ - الصبر عن محبة الدنيا:

قال ابن كثير: (يقول تعالى مخبراً عن قارون: إنه خرج ذات يوم على قومه في زينة عظيمة، وتجمل باهر، من مراكب وملابس عليه وعلى خدمه وحشمه، فلما رآه مَنْ يريد الحياة الدنيا ويميل إلى زخرفها وزينتها، تمنوا أن لو كان لهم مثل الذي أعطي، قالوا: ﴿يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ أي: ذو حظ وافر من الدنيا. فلما سمع مقالتهم أهل العلم النافع قالوا لهم: ﴿وَيَلَيْكُمُ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أي: جزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين في الدار الآخرة خير مما

(١) عدة الصابرين (١٩٥-١٩٦).

ترون..... : «يقول الله تعالى: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ وَاقْرَأُوا  
 إِنَّ شَتْمَ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾»<sup>(١)</sup>.

وقوله: ﴿وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾: قال السدي: وما يلقى الجنة إلا الصابرون. كأنه جعل ذلك من تمام كلام الذين أتوا العلم. قال ابن جرير: وما يلقى هذه الكلمة إلا الصابرون عن محبة الدنيا، الراغبون في الدار الآخرة. وكأنه جعل ذلك مقطوعاً من كلام أولئك، وجعله من كلام الله ﷻ وإخباره بذلك)<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) تفسير ابن كثير (٦ / ٢٥٥)، تفسير الطبري (١٩ / ٦٢٩).

## الخاتمة

تفكر في دنياك كم قتلت، وتذكر ما صنعت بأقرانك وما فعلت، واحذرهما فإنها عما لا بد منه قد شغلت، وإياك أن تساكنها فإنها إن حَلَّتْ رحلت.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر رسول الله صلوات الله عليه وآله بشاة ميتة قد ألقاها أهلها، فقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ عَلَى أَهْلِهَا»<sup>(١)</sup>.

عن المستورد بن شداد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله: «مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أَصْبَعَهُ فِي الِيمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَا تَرَجُّعُ»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه أحمد (٣٠٣٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٤٢/٣).

(٢) رواه مسلم (٢٨٥٨).

هذا وأسأل الله تعالى أن يجعلنا من الذين يتجافون عن  
دار الغرور، وينيبون إلى دار الخلود والسرور.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه  
أجمعين.

محرم صالح المنجد

## اختبر فهمك

بين يديك مستويين من الأسئلة، أسئلة مباشرة وأخرى تحتاج منك إلى تأمل وإمعان نظر.

### أسئلة المستوى الأول المباشرة:

- ١- ما هي مظاهر حب الدنيا؟
- ٢- لِمَ حب الدنيا أسباب عديدة، فما هي أبرزها؟
- ٣- ما المفسد والأضرار المترتبة على حب الدنيا؟
- ٤- ما العلاج الناجع لمرض حب الدنيا؟

### أسئلة المستوى الثاني الاستنباطية:

- ١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»، وضح ذلك؟
- ٢- بكى عمر رضي الله عنه لما رأى حال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فماذا قال؟ وبماذا أجابه الرسول صلى الله عليه وسلم؟
- ٣- ما العلاقة بين القول على الله بغير علم، وبين حب الدنيا؟



## المحتويات

٥	..... المقدمة
٧	..... حقيقة الدنيا
١٤	..... المؤمنون والدنيا
٢٠	..... مظاهر حب الدنيا
٢٣	..... أسباب حب الدنيا
٢٧	..... مفسد حب الدنيا
٤٥	..... علاج حب الدنيا
٥٧	..... الخاتمة
٥٩	..... اختبر فهمك
٦٠	..... المحتويات

سلسلة أعمال القلوب (٦)

حب الرئاسة

ح) مجموعة زاد للنشر ١٤٣٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المنجد، محمد صالح

حب الرئاسة، محمد صالح المنجد - الخبر ١٤٣٠ هـ

٦٤ ص، ١٧×١٢ سم

ردمك: ٧-٢٨١٧-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- الإسلام - نظام الحكم

٢- الإسلام (فقه إسلامي)

٣- النظام الإداري في الإسلام

أ. العنوان

ديوي: ٢٥٧، ١ ١٤٣٠/٤٠٦٤

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



للنشر

المملكة العربية السعودية

الخبر - هـ: ٨٦٥٥٣٥٥

جدة - هـ: ٦٩٢٩٢٤٢

ص.ب: ١٢٦٢٧١ جدة: ٢١٣٥٢

www.zadgroup.net

مَجْمُوعَةُ الزَّادِ  
مَجْمُوعَةُ الزَّادِ

سلسلة أعمال القلوب (٦)

# حب الرئاسة



١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين،  
وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فإن مما يفسد إخلاص القلب وتوحيده، ويزيد تعلقه  
بالدنيا، وإعراضه عن الآخرة، حب الرئاسة، فهو مرض عضال؛  
تُنْفَقُ فِي سَبِيلِهِ الْأَمْوَالُ، وَتُرَاقُ لَهُ الدَّمَاءُ، وَتَنْشَأُ بِسَبَبِهِ الْعَدَاوَةُ  
وَالْبَغْضَاءُ بَيْنَ الْأَخِ وَأَخِيهِ، بَلِ الْإِبْنُ وَأَبِيهِ؛ وَلِذَا سُمِّيَ هَذَا  
الْمَرَضُ بِالشَّهْوَةِ الْخَفِيَّةِ.

وستتناول هذا الموضوع الخطير بشيء من التفصيل،  
وذلك ببيان الأصل في تسمية حب الرئاسة بالشهوة الخفية،  
ثم بيان أهمية الولايات وحاجة الناس إليها، وموقف المسلم  
منها، ثم نذكر صورته، ومظاهره، وأسبابه، وعلاجه.

ولا يفوتني أن أشكر كل من ساهم في إعداد هذه المادة  
وإخراجها بالصورة المرضية.

والله نسأل للجميع العلم النافع والعمل الصالح.

محمد صالح المنجد



## تسمية حب الرئاسة بالشهوة الخفية

أصل هذه التسمية جاءت عن شداد بن أوس رضي الله عنه، حيث إنه تسجى بثوب وبكى، ثم بكى، ثم بكى، فقال له قائل: ما يبكيك يا أبا يعلى؟ قال: إن أخوف ما أخاف عليكم الشهوة الخفية والرياء الظاهر، إنكم لن تؤتوا إلا من قبل رؤوسكم، إنكم لن تؤتوا إلا من قبل رؤوسكم، إنكم لن تؤتوا إلا من قبل رؤوسكم، الذين إن أمروا بخير أطيعوا، وإن أمروا بشر أطيعوا، وما المنافق؟ إنما المنافق كالجمل اختنق فمات في رقبته، لن يعدو شره نفسه<sup>(١)</sup>.

وفسر أبو داود السجستاني الشهوة الخفية بحب الرئاسة، قال أبو بكر بن أبي داود: سمعت أبي يقول: (الشهوة الخفية حب الرياسة)<sup>(٢)</sup>.

(١) الزهد لابن المبارك (١٦).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٦/٣٤٦).



والظاهر والله أعلم أن هذا من باب التفسير بالمثال، قال أبو عبيد: (الشهوة الخفية: قد اختلف الناس فيها، فذهب بعضهم إلى شهوة النساء وغير ذلك من الشهوات، وهو عندي ليس بمخصوص بشيء واحد، ولكنه في كل شيء من المعاصي يضمه صاحبه ويصر عليه، وإنما هو الإصرار وإن لم يعمله)<sup>(١)</sup>.

**وقد اشتهر عند أهل العلم تفسير أبي داود للشهوة الخفية بحب الرئاسة، فصار علماً عليها، إلا لقرينة تبين خلاف ذلك.**

قال ابن تيمية: (مما يبين أن الإنسان قد يخفى عليه كثير من أحوال نفسه فلا يشعر بها، أن كثيراً من الناس يكون في نفسه حب الرياسة كامن لا يشعر به، بل إنه مخلص في عبادته وقد خفيت عليه عيوبه، وكلام الناس في هذا كثير مشهور؛ ولهذا سميت هذه الشهوة الخفية)<sup>(٢)</sup>.

(١) غريب الحديث (١٧١/٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٤٦/١٦).

## حاجة الناس إلى الولاية

قال ابن تيمية: (ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين والدنيا إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس حتى قال النبي ﷺ: «إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ»<sup>(١)</sup> ...

فأوجب ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر تنبيهاً بذلك على سائر أنواع الاجتماع، ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة، وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجمع والأعياد ونصر المظلوم وإقامة الحدود لا تتم إلا بالقوة والإمارة... ويقال: ستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة واحدة بلا سلطان. والتجربة تُبَيِّنُ ذلك)<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه أبو داود (٢٦٠٨)، وحسنه الألباني.

(٢) السياسة الشرعية (١٢٩).

فالناس إذن محتاجون في كل أمر من أمورهم العامة إلى من يدير هذا الأمر، ويرأس شئونه، ويتحمل مسؤولياته وتبعاته.

### موقف المسلم من الولاية:

عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ أُوتِيَتْهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِّلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُوتِيَتْهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا»<sup>(١)</sup>.

قال أبو موسى رضي الله عنه: أقبلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعني رجلان من الأشعريين، أحدهما عن يميني والآخر عن يساري، فكلاهما سأل العمل، والنبي صلى الله عليه وسلم يستاك، فقال: «يَا أَبَا مُوسَى أَوْ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ رضي الله عنه؟». قال: فقلت: والذي بعثك بالحق ما أطلعاني على ما في أنفسهما، وما شعرت أنها يطلبان العمل! قال: وكأني أنظر إلى سواكه تحت شفته وقد قلصت،

(١) رواه البخاري (٧١٤٧)، ومسلم (١٦٥٢).

فقال: «لَنْ أَوْ لَا نَسْتَعْمِلَ عَلَى عَمَلِنَا مَنْ أَرَادَهُ، وَلَكِنْ إِذْهَبْ أَنْتَ يَا أَبَا مُوسَى أَوْ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ رضي الله عنه» فبعثه على اليمن <sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلوات الله عليه قال: «إِنَّكُمْ سَتَحْرِضُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ، وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَنِعْمَتِ الْمَرْضِعَةُ، وَبِئْسَتِ الْفَاطِمَةُ» <sup>(٢)</sup>.

قال ابن حجر: (نعم المرضعة؛ لما فيها من حصول الجاه والمال ونفاذ الكلمة، وتحصيل اللذات الحسية والوهمية حال حصولها، وبئست الفاطمة عند الانفصال عنها بموت أو غيره، وما يترتب عليها من التبعات في الآخرة) <sup>(٣)</sup>.

قال السعدي: (الإمارة وغيرها من الولايات على الخلق، لا ينبغي للعبد أن يسألها ويتعرض لها، بل يسأل الله العافية والسلامة، فإنه لا يدري هل تكون الولاية خيرا له أو شرا؟

(١) رواه مسلم (١٨٢٤).

(٢) رواه البخاري (٧١٤٨).

(٣) فتح الباري (١٣/١٢٦).

ولا يدري هل يستطيع القيام بها أم لا؟ فإذا سأها وحرّص عليها وُكِّلَ إلى نفسه، ومتى وُكِّلَ العبدُ إلى نفسه لم يوفق ولم يسدد في أموره، ولم يُعَنَّ عليها، لأن سؤاها ينبئ عن محذورين:

**الأول:** الحرص على الدنيا والرئاسة، والحرص يحمل على الريبة في التخوض في مال الله، والعلو على عباد الله.

**والثاني:** فيه نوع اتكال على النفس، وانقطاع عن الاستعانة بالله.

وأما من لم يحرص عليها ولم يستشرف لها، بل أتته من غير مسألة، ورأى من نفسه عدم قدرته عليها، فإن الله يُعينه عليها ولا يكله إلى نفسه، لأنه لم يتعرض للبلاء، ومن جاءه البلاء بغير اختياره حمل عنه ووفق للقيام بوظيفته، وفي هذه الحال يقوى توكله على الله تعالى، ومتى قام العبد بالسبب متوكلا على الله نجح.

وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «أُعِنْتَ عَلَيْهَا» دليل على أن الإمارة وغيرها من الولايات الدنيوية جامعة للأمرين: للدين والدنيا، فإن المقصود من الولايات كلها إصلاح دين الناس ودنياهم.

ولهذا يتعلق بها الأمر والنهي والإلزام بالواجبات والردع

عن المحرمات، والإلزام بأداء الحقوق، وكذلك السياسة والجهاد، فهي لمن أخلص فيها لله وقام بالواجب من أفضل العبادات، ولمن لم يكن كذلك من أعظم الأخطار، ولهذا كانت من فروض الكفايات، لتوقف كثير من الواجبات عليها<sup>(١)</sup>.

ولذا ففي أحوال خاصة يجوز طلب الولاية، كما في قوله تعالى مخبراً عن قول يوسف عليه السلام لملك مصر: ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ ﴾ [يوسف: ٥٥].

قال السعدي: (طلبها لهذه المصلحة التي لا يقوم بها غيره، من الحفظ الكامل والعلم بجميع الجهات المتعلقة بهذه الخزائن، من حسن الاستخراج وحسن التصريف وإقامة العدل الكامل، فهو لما رأى الملك استخلصه لنفسه وجعله مقدماً عليه، وفي المحل العالي، وجب عليه أيضاً النصيحة التامة للملك والرعية وهي متعينة في ولايته، ولهذا لما تولى خزائن الأرض سعى في تقوية الزراعة جداً)<sup>(٢)</sup>.

(١) بهجة قلوب الأبرار (١٠٥-١٠٦).

(٢) بهجة قلوب الأبرار (١٠٦).

وقال ابن القيم: (والفرق بين حب الرئاسة وحب الإمارة للدعوة إلى الله هو: الفرق بين تعظيم أمر الله والنصح له، وتعظيم النفس والسعي في حظها، فإن الناصح لله المعظم له المحب له يجب أن يطاع ربه فلا يعصى، وأن تكون كلمته هي العليا، وأن يكون الدين كله لله، وأن يكون العباد ممثلين أوامره مجتنبين نواهيه، فقد ناصح الله في عبوديته، وناصح خلقه في الدعوة إلى الله، فهو يجب الإمامة في الدين، بل يسأل ربه أن يجعله للمتقين إماما يقتدي به المتقون كما اقتدى هو بالمتقين، ..... وهذا بخلاف طلب الرئاسة، فإن طلابها يسعون في تحصيلها لينالوا بها أغراضهم من العلو في الأرض، وتعبيد القلوب لهم، وميلها إليهم، ومساعدتهم لهم على جميع أغراضهم، مع كونهم عالين عليهم قاهرين لهم، فترتب على هذا المطلب من المفاسد ما لا يعلمه إلا الله من البغي والحسد والطغيان والحقد والظلم والفتنة والحمية للنفس دون حق الله، وتعظيم من حقره الله واحتقار من أكرمه الله، ولا تتم الرئاسة الدنيوية إلا بذلك ولا تنال إلا به وبأضعافه من المفاسد)<sup>(١)</sup>.

## صور وأحوال حب الرئاسة

للرئاسة صورتان باعتبار الأمر المترأس فيه:

**الصورة الأولى: الرئاسة الدنيوية.**

**والصورة الثانية: الرئاسة العلمية الدينية.**

قال ابن رجب: (والحرص على الشرف على قسمين: أحدهما طلب الشرف بالولاية والسلطان والمال، وهذا خطر جداً، وهو في الغالب يمنع خير الآخرة وشرفها وكرامتها وعزها، قال تعالى: ﴿ تَلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣])<sup>(١)</sup>.

ثم قال: (القسم الثاني: طلب الشرف والعلو على الناس بالأمور الدينية كالعلم والعمل والزهد، فهذا أفحش من الأول وأقبح، وأشدّ فساداً وخطراً؛ فإن العلم والعمل والزهد

(١) شرح حديث ما ذئبان جائعان (٢٩).



إنما يطلب به ما عند الله من الدرجات العلى، والنعيم المقيم والقرب منه والزلفى لديه.

قال الثوري: إنما فُضِّلَ العلم لأنه يُتَّقَى به الله، وإلا كان كسائر الأشياء.

فإذا طُلِبَ بشيء من هذا عَرَضَ الدنيا الفاني فهو أيضاً نوعان:

**أحدهما:** أن يُطلب به المال، فهذا من نوع الحرص على المال وطلبه بالأسباب المحرمة.

**النوع الثاني:** من يطلب بالعلم والعمل والزهد؛ الرئاسة على الخلق والتعاضم عليهم، وأن ينقاد الخلق ويخضعون له ويصرفون وجوههم إليه، وأن يظهر للناس زيادة علمه على العلماء ليعلو به عليهم ونحو ذلك، فهذا موعده النار؛ لأن قصد التكبر على الخلق محرم في نفسه، فإذا استعمل فيه آلة الآخرة كان أقبح وأفحش من أن يستعمل فيه آلات الدنيا من المال والسلطان.

عن كعب بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ يُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ يَصْرِفَ وَجْهَهُ النَّاسِ إِلَيْهِ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ»<sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup>.

### ولحب الرئاسة حالان:

#### الحالة الأولى: قبل تولي الرئاسة:

فمن الناس من يكون حريصا على الرئاسة، وتبدو عليه مظاهرها وآثارها، ثم قد يتولى وقد لا يتولى. كما قال تعالى:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨].

#### والحالة الثانية: بعد تولي الرئاسة:

فالإنسان قد يكون زاهداً في الرئاسة، فإذا تولاها تعلق

(١) رواه الترمذي (٢٦٥٤) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٥/١).

(٢) شرح حديث ما ذئبان جائعان (٤٧-٥٣) بتصرف يسير.

بها قلبه، وقد يكون متشوقاً لها قبل التولي، ثم يزداد تعلقه بها بعد التولي، لأنه يجمع بين التعلق وخوف زوالها.

قال ابن رجب: (واعلم أن الحرص على الشرف يستلزم ضرراً عظيماً قبل وقوعه في السعي في أسبابه، وبعد وقوعه بالحرص العظيم الذي يقع فيه صاحب الولاية من الظلم والتكبر وغير ذلك من المفاسد)<sup>(١)</sup>.

---

(١) شرح حديث ما ذُئبان جائعان (٣٢).

## مظاهر حب الرئاسة

لحب الرئاسة مظاهر كثيرة، ومن أبرزها ما يأتي:

### ١ - منازعة الله ﷻ في صفات جلاله ونعوت كماله:

قال ابن تيمية: (فأعظم السيئات جحود الخالق والشرك به وطلب النفس أن تكون شريكة ونداً له، أو أن تكون إلهاً من دونه وكلا هذين وقع، فإن فرعون طلب أن يكون إلهاً معبوداً دون الله تعالى وقال: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨]، وقال: ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ [النازعات: ٢٤] وقال لموسى: ﴿ لَئِنِ اتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٩] واستخف قومه فأطاعوه.

وإبليس يطلب أن يُعبد ويُطاع من دون الله، فيريد أن يُعبد ويُطاع هو، ولا يعبد الله ولا يطاع.

وهذا الذي في فرعون وإبليس هو غاية الظلم والجهل.

وفي نفوس سائر الإنس والجن شعبة من هذا وهذا، إن لم

يُعين الله العبدَ ويهديه وإلا وقع في بعض ما وقع فيه إبليس وفرعون بحسب الإمكان<sup>(١)</sup>.

### ٢- فقدان الإخلاص في العمل:

فطالب الرئاسة غايته الوصول إليها والمحافظة عليها، فيكون ولاؤه وبراؤه، ومنعه وعطاؤه، ووجهه وبغضه من أجلها؛ فيفقد الإخلاص في العمل، فيكون من الهالكين.

### ٣- لا يعمل إذا لم يُصدَّر:

فإذا لم يصدر ترك العمل، وبخل بالمشورة المفيدة، بل ربما ترك غيره يفشل؛ ليتصدر هو ويصبح مكانه.

### ٤- ذكر الناس بالعيوب والطعن فيهم:

ما أحب أحد الرياسة إلا أحب ذكر الناس بالنقائص والعيوب لتمييز هو بالكمال، ويكره أن يذُكر الناس أحداً عنده بخير، ومن عشق الرياسة فقد تُودِع من صلاحه.

(١) مجموع الفتاوى (١٤ / ٣٢٣).

### ٥- ألا يدل على من هو أفضل منه في الدين أو العلم:

فيحجب فضائل الآخرين، ويكتفم أخبارهم حتى لا يستدل الناس عليهم فيتركوه ويذهبوا إلى الأفضل، أو يخشى أن يقارن الناس بينه وبين الأفضل فتنزل مرتبته عندهم.

### ٦- الحسرة إذا زالت أو أخذت منه:

فمن كان ذلك همه وهجيره تقطعت نفسه كمدماً وحسرة عندما تزول رئاسته، وتنتقل لغيره.

### ٧- التكبر على الخلق وسوء معاملتهم:

فعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: استعملني رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمل، فلما رجعت قال: «كَيْفَ وَجَدْتَ الْإِمَارَةَ؟» قلت: يا رسول الله، ما ظننت إلا أن الناس كلهم حَوْلُ لي، والله لا ألي على عمل ما دمت حياً<sup>(١)</sup>.

قال ابن حبان: (الواجب على من يغشى السلطان وأمتحن

(١) رواه الحاكم (٣/ ٣٤٩)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

بصحبه أن لا يعد شتمه شتماً، ولا إغلاظه إغلاظاً، ولا التقصير في حقه ذنباً، لأن ريح العزة بسطة لسانه ويده بالغلظة<sup>(١)</sup>.

وقال ابن القيم: (كثير من الناس يطلب من صاحبه بعد نيله درجة الرئاسة الأخلاق التي كان يعامله بها قبل الرئاسة، فلا يصادفها فينتقض ما بينها من المودة، وهذا من جهل الصاحب الطالب للعادة وهو بمنزلة من يطلب من صاحبه إذا سكر أخلاق الصاحي، وذلك غلط فإن الرياسة سكرة كسكرة الخمر أو أشد، ولو لم يكن للرياسة سكرة لما اختارها صاحبها على الآخرة الدائمة الباقية، فسكرتها فوق سكرة القهوة بكثير، ومحال أن يرى من السكران أخلاق الصاحي وطبعه، ولهذا أمر الله تعالى أكرم خلقه عليه بمخاطبة رئيس القبط بالخطاب اللين، فمخاطبة الرؤساء بالقول اللين أمر مطلوب شرعاً وعقلاً وعرفاً، ولذلك تجدد الناس كالمفطورين عليه)<sup>(٢)</sup>.

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (٢٧٦).

(٢) بدائع الفوائد (٣/٦٥٢).

## ٨- عدم التوفيق في الولاية التي يتولاها:

قال ابن رجب: (وَقَلَّ مَنْ يَحْرُصُ عَلَى رِيَاةِ الدُّنْيَا يَطْلُبُ الْوِلَايَاتِ فَيُوفَّقُ، بَلْ يُوَكَّلُ إِلَى نَفْسِهِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ أُوتِيَتْهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِّلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُوتِيَتْهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا»<sup>(١)</sup>).

وكان يزيد بن عبد الله بن موهب من قضاة العدل والصالحين، وكان يقول: من أحب المال والشرف وخاف الدوائر لم يعدل فيها.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ، وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَنِعْمَتِ الْمَرْضِعَةُ، وَبِئْسَتِ الْفَاطِمَةُ»<sup>(٢)</sup> (٣).

(١) رواه البخاري (٧١٤٧)، ومسلم (١٦٥٢).

(٢) رواه البخاري (٧١٤٨).

(٣) شرح حديث ما ذُبحان جائعان (٢٩).



## ٩- موالاة الكفار والمشركين:

وهذا أمر معلوم في التاريخ، فقد كان يفعل ملوك الطوائف في الأندلس، وكذلك تجد في هذه الأزمان بعض الناس يوالي الكفار؛ لينال منصباً في منظمة من منظماتهم، أو يحصل على شهادة من إحدى جامعاتهم، أو جائزة من جوائزهم العالمية.

## ١٠- عدم قبول الحق والرجوع إليه مما يوقع في البدعة والضلال:

قال أبو العتاهية:

أُخِيَّ مَنْ عَشَقَ الرِّيَاسَةَ خَفْتُ أَنْ

يَطْغَى وَيُحَدِّثَ بَدْعَةً وَضَلَالاً

قال ابن القيم: (الرئاسة والمأكلة من جملة الأسباب المانعة لهم من الدخول في الدين، وقد ناظرنا نحن وغيرنا جماعة منهم فلما تبين لبعضهم فساد ما هم عليه قالوا: لو دخلنا في الإسلام لكننا من أقل المسلمين لا يؤبه لنا، ونحن متحكمون في أهل ملتنا في أموالهم ومناصبهم، ولنا بينهم أعظم الجاه. وهل منع فرعون وقومه من اتباع موسى إلا ذلك؟! <sup>(١)</sup>).

(١) هداية الحيارى (١٥).

وقال أيضاً: (ولم يزل في الناس من يختار الباطل، ومنهم من يختاره جهلاً وتقليداً لمن يحسن الظن به، ومنهم من يختاره مع علمه ببطلانه كبراً وعلواً، ومنهم من يختاره طمعاً ورغبة في مآكل أو جاه أو رياسة، ومنهم من يختاره حسداً وبغياً، ومنهم من يختاره محبة في صورة وعشقا، ومنهم من يختاره خشية، ومنهم من يختاره راحة ودعة، فلم تنحصر أسباب اختيار الكفر في حب الرئاسة والمأكلة)<sup>(١)</sup>.

### ١١- التقرب إلى السلاطين ومجالستهم:

قال ابن رجب: (ومن أعظم ما يخشى على من دخل على الملوك الظلمة أن يُصدَّقَهُم بكذبهم، ويعينهم على ظلمهم، ولو بالسكوت عن الإنكار عليهم، فإن من يريد بدخوله عليهم الشرف والرياسة وهو حريص عليهما لا يُقدِّم على الإنكار عليهم، بل ربما حَسَّنَ لهم بعض أفعالهم القبيحة تقرباً إليهم؛ ليحسن موقفه عندهم، ويساعده على غرضه.

(١) هداية الحيارى (٢٣).

عن كعب بن عجرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَيَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ، فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَلَيْسَ مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُ، وَلَيْسَ بِوَارِدٍ عَلَى الْحَوْضِ، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُعْنَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ فَهُوَ مِنِّي، وَأَنَا مِنْهُ، وَهُوَ وَارِدٌ عَلَى الْحَوْضِ»<sup>(١)</sup>.

وكان كثير من السلف ينهون عن الدخول على الملوك لمن أراد أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر أيضاً.

وممن نهى عن ذلك عمر بن عبد العزيز وابن المبارك والثوري وغيرهم من الأئمة.

وقال ابن المبارك: ليس الأمر الناهي عندنا من دخل عليهم فأمرهم ونهاهم، إنما الأمر الناهي من اعتزلهم.

وسبب هذا ما يُخشى من فتنة الدخول عليهم، فإن النفس قد تخيل للإنسان إذا كان بعيداً أنه يأمرهم وينهاهم ويغلظ عليهم، فإذا شاهدتهم قريباً مالت النفس إليهم، لأن محبة

(١) رواه الترمذي (٢٢٥٩) وقال: هذا حديث صحيح غريب.

الشرف كامنة في النفس، ولذلك يداهنهم ويلاطفهم، وربما مال إليهم وأحبهم، ولا سيما إن لطفوه وأكرموه وقبل ذلك منهم، وقد جرى ذلك لعبد الله بن طاووس مع بعض الأمراء بحضرة أبيه طاووس فَوَبَّخَهُ طاووس على فعله ذلك.

وكتب سفيان الثوري إلى عَبَّاد بن عَبَّاد، وكان في كتابه: إياك والأمراء أن تدنو منهم أو تخالطهم في شيء من الأشياء، وإياك أن تخدع ويقال لك لتشفع وتدرأ عن مظلوم أو ترد مظلمة، فإن ذلك خديعة إبليس، وإنَّما اتخذها فُجَّارُ القراء سلماً، وما كفيت عن المسألة والفتيا فاغتنم ذلك ولا تنافسهم، وإياك أن تكون ممن يجب أن يُعْمَلَ بقوله أو يُنَشَرَ قوله أو يُسْمَعَ قوله فإذا تُرِكَ ذلك منه عُرِفَ فيه، وإياك وحبَّ الرئاسة، فإنَّ الرجل يكون حب الرئاسة أحب إليه من الذهب والفضة وهو باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء السماسرة، فَتَقَدَّدَ بقلب واعمل بنية، واعلم أنه قد دنا من الناس أمرٌ يشتهي الرجل أن يموت، والسلام)<sup>(١)</sup>.

(١) شرح حديث ما ذُئبان جائعان (٦٤-٦٨).

وقال وهب بن منبه: إن جمع المال وغشيان السلطان لا يبقيان من حسنات المرء إلا كما يُبقي ذئبان جائعان ضاريان سقطا في حظار فيه غنم، فباتا يجوسان حتى أصبحا<sup>(١)</sup>.

وقال أبو حازم: العلماء كانوا يفرون من السلطان ويطلبهم، وإنهم اليوم يأتون أبواب السلطان، والسلطان يفر منهم<sup>(٢)</sup>.

## ١٢- حب الشهرة:

قال ابن رجب: (ومن هذا الباب [يعني: من يطلب الرئاسة بالعلم والعمل] أيضاً كراهة أن يُشهرَ الإنسان نفسه بالعلم والزهد والدين، أو بإظهار الأعمال والأقوال والكرامات؛ ليزار وتلتمس بركته ودعاؤه وتقبل يده، وهو محب لذلك ويقيم عليه ويفرح به ويسعى في أسبابه.

ومن هنا كان السلف الصالح يكرهون الشهرة غاية الكراهة، منهم أيوب والنخعي وسفيان وأحمد وغيرهم من

(١) جامع بيان العلم (٢٠٢).

(٢) جامع بيان العلم (١٩٩).

العلماء الربانيين، وكذلك الفضيل وداود الطائي وغيرهما من الزهاد والعارفين، وكانوا يذُمُونَ أنفسهم غاية الذم ويسترون أعمالهم غاية الستر<sup>(١)</sup>.

### ١٣- محبة مدح الناس وتناوهم:

قال ابن رجب: (ومن هذا الباب أيضاً أن يحب ذو الشرف والولاية أن يحمد على أفعاله ويشنى عليه بها، ويطلب من الناس ذلك، ويتسبب في أذى من لا يجيبه إليه، وربما كان ذلك الفعل إلى الذم أقرب منه إلى المدح، وربما أظهر أمراً حسناً في الظاهر وأحب المدح عليه وقصد به في الباطن شراً وفرح بتمويه ذلك وترويجه على الخلق، وهذا يدخل في قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨].

فإنَّ هذه الآية إنما أنزلت فيمن هذه صفاته، وهذا

(١) شرح حديث ما ذُبان جائعان (٦٨).

الوصف أعني طلب المدح من الخلق ومحبته والعقوبة على تركه لا يصلح إلا لله وحده لا شريك له، ومن هنا كان أئمة الهدى ينهون عن حمدهم على أعمالهم وما يصدر منهم من الإحسان إلى الخلق، ويأمرون بإضافة الحمد على ذلك لله وحده لا شريك له، فإنَّ النعم كلها منه.

وكان عمر بن عبد العزيز شديد العناية بذلك، وكتب مرة إلى أهل الموسم كتاباً يُقرأ عليهم، وفيه الأمر بالإحسان إليهم وإزالة المظالم التي كانت عليهم، وفي الكتاب: (ولا تحمدوا على ذلك كله إلا الله، فإنه لو وكلني إلى نفسي كنت كغيري).

وحكايته مع المرأة التي طلبت منه أن يفرض لبناتها اليتامى مشهورة، فإنَّها كانت لها أربع بنات ففرض لاثنتين منهن وهي تحمد الله، ثم فرض للثالثة فشكرته، فقال: (إنما كنا نفرض لهن حيث كنت تولين الحمد أهله، فمري هؤلاء الثلاث يواسين الرابعة)، أراد أن يُعرَف أن ذا الولاية إنما هو مُتَّصِبٌ لتنفيذ أمر الله، وأمْرُ العباد بطاعته تعالى وناهٍ لهم عن

محارم الله، ناصح لعباد الله بدعائهم إلى الله، فهو يقصد أن يكون الدين كله لله، وأن تكون العزة لله، وهو مع ذلك خائف من التقصير في حقوق الله تعالى أيضاً<sup>(١)</sup>.

### ١٤. الكذب والقول على الله بغير علم:

قال ابن القيم: (كل من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبها فلا بد أن يقول على الله غير الحق في فتواه وحكمه، وفي خبره وإلزامه، لأن أحكام الرب سبحانه كثيرا ما تأتي على خلاف أغراض الناس، ولا سيما أهل الرئاسة والذين يتبعون الشهوات، فإنهم لا تتم لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحق ودفعه كثيرا، فإذا كان العالم والحاكم مُحِبِّينَ للرئاسة مُتَّبِعِينَ للشهوات لم يتم لهما ذلك إلا بدفع ما يضاده من الحق، ولا سيما إذا قامت له شبهة فتتفق الشبهة والشهوة، ويثور الهوى، فيخفى الصواب، وينطمس وجه الحق، وإن كان الحق ظاهرا لا خفاء به ولا شبهة فيه أقدم على مخالفته، وقال: لي مخرج بالتوبة! وفي هؤلاء

(١) شرح حديث ما ذنبان جائعان (٤١-٤٣).



وأشباههم قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ [مريم: ٥٩]، وقال تعالى فيهم أيضاً: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

فأخبر سبحانه أنهم أخذوا العرض الأدنى مع علمهم بتحريمه عليهم، وقالوا: سيغفر لنا، وإن عرض لهم عرض آخر أخذوه، فهم مصرون على ذلك، وذلك هو الحامل لهم على أن يقولوا على الله غير الحق، فيقولون: هذا حكمه وشرعه ودينه، وهم يعلمون أن دينه وشرعه وحكمه خلاف ذلك، أو لا يعلمون أن ذلك دينه وشرعه وحكمه، فتارة يقولون على الله ما لا يعلمون، وتارة يقولون عليه ما يعلمون بطلانه، وأما الذين يتقون فيعلمون أن الدار الآخرة خير من الدنيا فلا يحملهم حب الرئاسة والشهوة على أن يؤثروا الدنيا على

الآخرة، وطريق ذلك أن يتمسكوا بالكتاب والسنة، ويستعينوا بالصبر والصلاة، ويتفكروا في الدنيا وزوالها وخستها، والآخرة وإقبالها ودوامها، وهؤلاء لا بد أن يتدعوا في الدين مع الفجور في العمل، فيجتمع لهم الأمران، فإن اتباع الهوى يعمى عين القلب فلا يميز بين السنة والبدعة، أو ينكسه فيرى البدعة سنة والسنة بدعة، فهذه آفة العلماء إذا آثروا الدنيا واتبعوا الرياضات والشهوات، وهذه الآيات فيهم إلى قوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦] فهذا مثل عالم السوء الذي يعمل بخلاف علمه<sup>(١)</sup>.

وقال ابن تيمية: (وتعمد الكذب له أسباب:..... وذكر منها: حب الرئاسة)<sup>(٢)</sup>.

(١) الفوائد (١٠٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٤٦/١٨).

**١٥. قسوة القلب وتعلقه بغير الله، والانشغال عن ذكره:**

قال ابن القيم: (وأقل ما في حبها أنه يلهي عن حب الله وذكره، ومن ألهاه ماله عن ذكر الله فهو من الخاسرين، وإذا لها القلب عن ذكر الله سكنه الشيطان وصرفه حيث أراد)<sup>(١)</sup>.

**١٦. الشحناء وتفرق الصف:**

حيث إن كل راغب في الرئاسة يتهم الآخر بأنه عاجز وقاصر، ويسعى لإقصائه وإبعاده، فيقع التنازع، فيحصل الفشل. ﴿وَلَا تَنَزَعُوا أَنْفُسَكُمْ فَيُكْفَرُوا بِكُمْ تَكْفُورًا﴾ [الأنفال: ٤٦].

(١) عدة الصابرين (١٨٦).

## أسباب حب الرئاسة

من حكمة الله تعالى وتدييره أنه ربط المسببات بأسبابها فما من سلوك إلا وله سبب، علمه من علمه، وجهله من جهله، ومن ذلك مرض حب الرئاسة، ومن أبرز مسبباته ما يلي:

### ١- التحرر من سلطة الآخرين:

فالساعي للرئاسة لا يريد أن يكون فوقه أحد، بل يرغب أن يكون وحده الأمر والنهي للجميع، ولذا تراه يوجه الصغير والكبير، والشريف والوضيع، والذكر والأنثى، ويتدخل في كل صغيرة وكبيرة، مما لا شأن له به.

### ٢- موافقتها لرغبة النفس وشهوتها التي جبلت عليها:

فالإنسان يجب أن يكون أمراً ناهياً، لا مأموراً منهيماً، ويجب أن يعلو على الناس، وأن يُثَنَّى عليه، وغير ذلك من الأمور التي تلتصق بالرئاسة.

قال سفيان الثوري: (ما رأيت الزهد في شيء أقل منه في

الرئاسة، ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال والثياب،  
فإن نوزع الرئاسة حامى عليها وعادى<sup>(١)</sup>.

وقال يوسف بن أسباط: (الزهد في الرياسة أشد من  
الزهد في الدنيا)<sup>(٢)</sup>.

قال ابن تيمية: (النفس مشحونة بحب العلو والرئاسة  
بحسب إمكانها)<sup>(٣)</sup>.

قال ابن حبان: (وأشدني المتصر بن بلال:

بلاء الناس مُذْ كانوا

إلى أن تأتي الساعةُ

بِحُبِّ الأمرِ والنهي

وحبِّ السمع والطاعة)<sup>(٤)</sup>

(١) حلية الأولياء (٣٩ / ٧).

(٢) حلية الأولياء (٢٣٨ / ٨).

(٣) مجموع الفتاوى (٢١٨ / ٨).

(٤) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (٢٧٣).

## ٣- ضعف الإيمان:

فراغ القلب من الإيمان أو ضعفه سبب للتطلع لشهوات الدنيا والتي من أعظمها الرياسة، وأما من امتلأ قلبه بالإيمان أو قارب فإنه معرض عن عرض الدنيا الفاني، وليس له هم ولا شغل إلا في الدار الآخرة، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣].

قال السعدي: (أي: ليس لهم إرادة، فكيف العمل للعلو في الأرض على عباد الله، والتكبر عليهم، وعلى الحق)<sup>(١)</sup>.

## ٤- عدم استشعار خطورة حمل الأمانة:

قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَلِي

(١) تفسير السعدي (٦٢٤).

أَمْرَ عَشْرَةٍ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلَّا أَتَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَغْلُوبًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَدُّهُ إِلَى عُنُقِهِ فَكَهُ بِرُءُ، أَوْ أَوْبَقَهُ إِيْمُهُ، أَوْ هَا مَلَامَةٌ، وَأَوْسَطُهَا نَدَامَةٌ، وَآخِرُهَا خِزْيٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>.

### ٥- الشعور باللذة الوهمية:

قال ابن تيمية: (ومن السكر أيضاً ما يكون بحب الرئاسة والمال، أو شفاء الغيظ، فإنه إذا قوى ذلك أوجب سكراً، وإنما كانت هذه الأشياء قد توجب سكراً لأن السكر شبيه ما يوجب اللذة القاهرة التي تغمر العقل وسبب اللذة إدراك المحبوب، فإذا كانت المحبة قوية وإدراك المحب قويا والعقل والتميز ضعيفا، كان ذلك سببا للسكر، لكن ضعف العقل تارة يكون من ضعف نفس الإنسان المحب، وتارة يكون من قوة السبب الوارد، ولهذا يحصل من السكر للمبتدئين في إدراك الرئاسة والمال والعشق والخمر ما لا يحصل لمن اعتاد ذلك وتمكن فيه)<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه أحمد (٢١٧٩٧)، وقال الألباني: إسناده جيد كما في السلسلة الصحيحة (٣٤٩).

(٢) الاستقامة (٢/١٤٦).

## ٦- حب الدنيا:

قال عبد الله بن أبي صالح: قال عيسى: (يا معشر القراء والعلماء كيف تضلون بعد علمكم، أو تعمون بعد بصركم من أجل دنيا دنية وشهوة ردية، فلکم الويل منها، ولها الويل منكم)<sup>(١)</sup>.

وقال ابن رجب: (وأصل محبة المال والشرف حب الدنيا وأصل حب الدنيا اتباع الهوى).

قال وهب بن منبه: من اتباع الهوى الرغبة في الدنيا، ومن الرغبة فيها حب المال والشرف، ومن حب المال والشرف استحلال المحارم.

..... وإنما تحصل الرغبة في الدنيا من اتباع المال والهوى، لأن الهوى داع إلى الرغبة في الدنيا وحب المال والشرف فيها، والتقوى تمنع من اتباع الهوى وتردع عن حب الدنيا.

قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ

(١) جامع بيان العلم (١/٢٣٣).



الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣١﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿ [النازعات: ٣٧ - ٤١].

وقد وصف الله تعالى أهل النار بالمال والسلطان في مواضع من كتابه فقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوِّقِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيِّنَنِي لِمَ أُوتِيَ كِتَابِي ﴾ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِي ﴿٢٦﴾ يَلَيِّنَهَا كَأَنَّ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿ [الحاقة: ٢٥ - ٢٩] ﴿١﴾ .

وقال إسحاق بن خلف: (الورع في المنطق أشد منه في الذهب والفضة، والزهد في الرئاسة أشد منه في الذهب والفضة، لأنها يبذلان في طلب الرئاسة) ﴿٢﴾ .

## ٧- العجب بالنفس:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ، وَثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ، وَثَلَاثٌ كَفَّارَاتٌ، وَثَلَاثٌ دَرَجَاتٌ، فَأَمَّا

(١) شرح حديث ما ذُئبان جائعان (٧١).

(٢) مدارج السالكين (٢/٢٢).

وَالْمُهْلِكَاتُ: فَشَحُّ مُطَاعٌ، وَهَوَى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ.  
وَأَمَّا الْمُنْجِيَاتُ: فَالْعَدْلُ فِي الْعُضْبِ وَالرِّضَا، وَالْقَصْدُ فِي الْفَقْرِ  
وَالْغِنَى، وَخَشْيَةُ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ»<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم: (وللقلب أمراض أخر من الرياء والكبر  
والعجب والحسد والفخر والخيلاء وحب الرئاسة والعلو في  
الأرض، وهذا المرض مركب من مرض الشبهة والشهوة، فإنه  
لا بد فيه من تخيل فاسد وإرادة باطلة كالعجب والفخر  
والخيلاء والكبر المركب من تخيل عظمتة وفضله، وإرادة تعظيم  
الخلق له ومحمدتهم، فلا يخرج مرضه عن شهوة أو شبهة أو  
مركب منها، وهذه الأمراض كلها متولدة عن الجهل ودواؤها  
العلم)<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه الطبراني (٥٧٥٤)، وحسنه الألباني.

(٢) مفتاح دار السعادة (١/١١١).

## علاج حب الرئاسة

من عظيم رحمة الله تعالى بعباده أنه ما أنزل من داء إلا وأنزل له شفاء، ومن ذلك مرض حب الرئاسة، ومن أعظم أدويته ما يأتي:

### ١- العناية بتحقيق الإخلاص:

قال ابن رجب: (كتب وهب بن منبه إلى مكحول: أما بعد، فإنك أصبت بظاهر علمك عند الناس شرفاً ومنزلةً، فاطلب بباطن علمك عند الله منزلةً وزلفى، واعلم أن إحدى المتزلتين تمنع من الأخرى.

ومعنى هذا أن العلم الظاهر من تَعَلُّمِ الشرائع والأحكام والفتاوى والقصص والوعظ ونحو ذلك مما يظهر للناس يحصل به لصاحبه عندهم منزلةً وشرفاً، والعلم الباطن المودع في القلوب من معرفة الله وخشيته ومحبته ومراقبته والأنس به والشوق إلى لقائه والتوكل عليه والرضا بقضائه والإعراض عن عرض الدنيا الفاني والإقبال على جوهر الآخرة الباقي،

كل هذا يوجب لصاحبه عند الله منزلةً وزلفى، وإحدى المنزلتين تمنع من الأخرى، فمن وقف مع منزلته عند الخلق واشتغل بما حصل له عندهم بالعلم الظاهر من شرف الدنيا، وكان همه حفظ هذه المنزلة عند الخلق وملازمتها وتربيتها والخوف من زوالها كان ذلك حظه من الله تعالى، وانقطع به عنه، فهو كما قال بعضهم: ويل لمن كان حظه من الله الدنيا<sup>(١)</sup>.

## ٢- أن يُمنع منها إذا طلبها:

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم أنا ورجلان من بني عمي، فقال أحد الرجلين: يا رسول الله، أمّرنا على بعض ما ولاك الله صلى الله عليه وسلم. وقال الآخر مثل ذلك. فقال: «إِنَّا وَاللَّهِ لَا نُؤَيِّ عَلَى هَذَا الْعَمَلِ أَحَدًا سَأَلَهُ، وَلَا أَحَدًا حَرَصَ عَلَيْهِ»<sup>(٢)</sup>.

وعنه رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «اتَّقُوا اللَّهَ، فَإِنَّ أَخْوَنَكُمْ

(١) شرح حديث ما ذُئبان جائعان (٨٠).

(٢) رواه البخاري (٧١٤٩).

عِنْدَنَا مَنْ طَلَبَ الْعَمَلَ»<sup>(١)</sup> أي الولاية والإمارة.

### ٣- الاستشارة:

وتنفع الاستشارة هاهنا في موضعين:

**الموضع الأول:** عند عرض الولاية على العبد أو تكليفه بها، فيستشير أهل النصح والصدق هل هو أهل لها أم لا؟ وقد جاء عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله، ألا تستعملني؟ فضرب بيده على منكبي ثم قال: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أَحِبُّ لَكَ مَا أَحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأْمَرَنَّ عَلَيَّ اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه الطبراني، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٠٣).

(٢) رواه مسلم (١٨٢٥).

(٣) رواه مسلم (١٨٢٦).

قال ابن تيمية: (نمى أبا ذر عن الإمارة والولاية لأنه رآه ضعيفا، مع أنه قد روي: «ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء، أصدق لهجة من أبي ذر»<sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup>).

**الموضع الثاني:** الاستشارة بعد تولي الولاية؛ لئلا يستبد بالأمر؛ وليصقل رأيه، قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

#### ٤- تذكر الآثار السيئة التي تترتب على الرئاسة:

قال ابن حبان: (رؤساء القوم أعظمهم هموما، وأدومهم غموما، وأشغلهم قلوبا، وأشهرهم عيوبا، وأكثرهم عدوا، وأشدهم أحزانا، وأنكاهم أشجانا، وأكثرهم في القيامة حسابا، وأشدهم - إن لم يعف الله عنهم - عذابا)<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن رجب: (وأما العلو الفاني المنقطع الذي يعقب

(١) رواه الترمذي (٣٨٠١)، وصححه الألباني.

(٢) السياسة الشرعية (١٦).

(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (٢٧٥).

صاحبه غداً حسرةً وندامةً وذلةً وهواناً وصغاراً، فهو الذي يُشرع الزهد فيه والإعراض عنه.

وللزهد فيه أسباب عديدة، فمنها نظرُ العبد إلى سوء عاقبة الشرف في الدنيا بالولاية والإمارة لمن لا يؤدي حقها في الآخرة، ومنها نظر العبد إلى عقوبة الظالمين والمتكبرين ومن ينازع الله رداء الكبرياء.

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرَّجَالِ، يَنْغَسَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيَسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ، يُسْقُونَ مِنْ عَصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ، طِينَةَ الْخَبَالِ »<sup>(١)</sup>.

واستأذن رجل عمر رضي الله عنه في القصص على الناس فقال له: إنني أخاف أن تقص عليهم فتترفع عليهم في نفسك حتى يضعك الله تحت أرجلهم يوم القيامة<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه الترمذي (٢٤٩٢) وقال: حسن صحيح.

(٢) شرح حديث ما ذئبان جائعان (٧٣-٧٥).

وقال ابن تيمية: (وكذلك طالب الرئاسة والعلو في الأرض قلبه رقيق لمن يعينه عليها، ولو كان في الظاهر مقدمهم والمطاع فيهم، فهو في الحقيقة يرجوهم ويخافهم فيبذل لهم الأموال والولايات، ويعفو عنهم ليطيعوه ويعينوه، فهو في الظاهر رئيس مطاع، وفي الحقيقة عبد مطيع لهم.

والتحقيق أن كلاهما فيه عبودية للآخر، وكلاهما تارك لحقيقة عبادة الله، وإذا كان تعاونهما على العلو في الأرض بغير الحق كانا بمنزلة المتعاونين على الفاحشة أو قطع الطريق، فكل واحد من الشخصين لهواه الذي استعبده واسترقه يستعبده الآخر<sup>(١)</sup>.

### ٥ - المداومة على محاسبة النفس والتوبة والاستغفار:

قال ابن حبان: (الواجب على من ملك أمور المسلمين الرجوع إلى الله **عجل** في كل لحظة وطرفة؛ لئلا يطغيه ما هو فيه من تسلطه، بل يذكر عظمة الله وقدرته وسلطانه، وأنه هو

(١) الفتاوى (١٠/١٨٩).



المتقّم ممن ظلم، والمجازي لمن أحسن، فيلزم في إمرته السلوك الذي يؤديه إلى اكتساب الخير في الدارين، وليعتبر بمن كان قبله من أشكّاله، فإنه لا محالة مسئول عن شكر ما هو فيه، كما هو لا محالة مسئول عن حسابه<sup>(١)</sup>.

### ٦- الاشتغال بالعلم وعدم الانقطاع عنه:

عن عمر رضي الله عنه أنه قال: تفقهوا قبل أن تُسوّدوا. قال أبو عبد الله البخاري: وبعد أن تسودوا، وقد تعلم أصحاب النبي صلّى الله عليه وآله في كبر سنهم<sup>(٢)</sup>.

قال حسن بن منصور الجصاص: قلت لأحمد بن حنبل: إلى متى يكتب الرجل؟ قال: حتى يموت<sup>(٣)</sup>.

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (٢٧٧).

(٢) رواه البخاري تعليقا (٣٩/١).

(٣) طبقات الحنابلة (١/١٤٠).

## ٧- الزهد في الدنيا والتعلق بالأخرة والمنافسة فيها:

قال ابن رجب: (واعلم أن النفس تحب الرفعة والعلو على أبناء جنسها، ومن هنا نشأ الكبر والحسد، ولكن العاقل ينافس في العلو الدائم الباقي الذي فيه رضوان الله وقربه وجواره، ويرغب عن العلو الفاني الزائل الذي يعقبه غضب الله وسخطه وانحطاط العبد وسفوله، وبُعْدِهِ عن الله وطرده عنه، فهذا هو العلو الثاني الذي يُذَمُّ، وهو العتو والتكبر في الأرض بغير حق.

وأما العلو الأول والحرص عليه فهو محمود، قال الله تعالى:

﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦] <sup>(١)</sup>.

وقال ابن تيمية: (وأما الدنيا فأمرها حقير، وكبيرها صغير، وغاية أمرها يعود إلى الرئاسة والمال، وغاية ذي الرئاسة أن يكون كفرعون الذي أغرقه الله في اليم انتقاماً منه، وغاية ذي

(١) شرح حديث ما ذُبان جائعان (٧٢).

المال أن يكون كقارون الذي خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة<sup>(١)</sup>.

### ٨ - التفكير فيما يعوض الله ﷻ به العبد في الدنيا من اللذة والنعيم إذا أعرض عنها:

قال ابن رجب: (ومنها - وليس هو في قدرة العبد ولكنه من فضل الله ورحمته - ما يُعوَّضُ الله عباده العارفين به الزاهدين فيما يفني من المال والشرف مما يعجله الله لهم في الدنيا من شرف التقوى وهيبة الخلق لهم في الظاهر، ومن حلاوة المعرفة والإيمان والطاعة في الباطن، وهي الحياة الطيبة التي وعدّها الله لمن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن، وهذه الحياة الطيبة لم يذقها الملوك في الدنيا ولا أهل الرئاسات والحرص على الشرف، كما قال إبراهيم بن أدهم: لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف)<sup>(٢)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٦١٥).

(٢) شرح حديث ما ذئبان جائعان (٧٦).

## ٩- أن يكون هم الإنسان خدمة الدين و نفع الخلق من أي موقع يكون فيه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعَسَّ وَأَنْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا أَنْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشَعَتْ رَأْسُهُ مُغْبِرَةً قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ»<sup>(١)</sup>.

قال ابن حجر: «إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ» التقدير إن كان المهم في الحراسة كان فيها... وقال ابن الجوزي: المعنى أنه حامل الذكر لا يقصد السمو فإن اتفق له السير سار؛ فكأنه قال: إن كان في الحراسة استمر فيها وإن كان في الساقاة استمر فيها. قوله: «إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ» فيه ترك حب الرئاسة والشهرة وفضل الخمول والتواضع<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه البخاري (٢٨٨٧).

(٢) فتح الباري (٦/٨٣).

## ١٠- استشعار قدر مسئولية الولاية، فهي تكليف لا تشریف:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلی الله علیه و آله قال: «لَا يَسْتَرْعِي اللهُ عَبْدًا رَعِيَّةً قَلَّتْ أَوْ كَثُرَتْ، إِلَّا سَأَلَهُ اللهُ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَقَامَ فِيهِمْ أَمْرَ اللهِ أَمْ أَضَاعَهُ، حَتَّى يَسْأَلَهُ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ خَاصَّةً»<sup>(١)</sup>.

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلی الله علیه و آله قال: «إِنْ شِئْتُمْ أَنْبَأْتُكُمْ عَنِ الْإِمَارَةِ وَمَا هِيَ؟، أَوْ لَهَا مَلَامَةٌ، وَثَانِيهَا نَدَامَةٌ، وَثَالِثُهَا عَذَابٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ عَدَلَ»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلی الله علیه و آله: «لِيَتَمَنَّيَنَّ أَقْوَامٌ وُلُّوا هَذَا الْأَمْرَ أَنَّهُمْ خَرُّوا مِنَ الثَّرِيَّا وَأَنَّهَمْ لَمْ يَلُوا شَيْئًا»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه أحمد (٤٦٢٣)، وصححه شعيب الأرنؤوط.

(٢) رواه الطبراني (٦٧٤٧)، وصححه الألباني.

(٣) رواه أحمد (١٠٣٥٩)، وحسنه الألباني.

## ١١- أن يعرف المرء قدر نفسه:

فيعرف هل يستطيع القيام بهذا العمل، وتلك المسئولية  
أم لا؟

فإذا عرف من نفسه أنه لا يقدر عليها فلا يُقَدِّم.

عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أَرَاكَ  
ضَعِيفًا، وَإِنِّي أَحِبُّ لَكَ مَا أَحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأْمُرَنَّ عَلَيَّ اثْنَيْنِ،  
وَلَا تَوَلِّينَنَّ مَالَ يَتِيمٍ»<sup>(١)</sup>.

قال القرطبي: (أي ضعيفا عن القيام بما يتعين على الأمير  
من مراعاة مصالح رعيته الدنيوية والدينية؛ ووجه ضعفه عن  
ذلك أن الغالب عليه كان الزهد واحتقار الدنيا، ومن هذا  
حاله لا يعتني بمصالح الدنيا ولا أموالها اللذين بمراعاتهما  
تتنظم مصالح الدين ويتم أمره... فلما علم النبي صلى الله عليه وسلم منه هذه  
الحالة نصحه ونهاه عن الإمارة، وعن ولاية مال الأيتام)<sup>(١)</sup>.

(١) رواه مسلم (١٨٢٦).

(٢) حاشية السيوطي على سنن النسائي (٦/٢٥٥).

١٢- أن يكثر من حمد الله ﷻ والثناء عليه ويأمر غيره بذلك:

قال ابن رجب: (كان خلفاء الرسل وأتباعهم من أمراء العدل وأتباعهم وقضاتهم لا يدعون إلى تعظيم نفوسهم ألبتة، بل إلى تعظيم الله وحده، وإفراده بالعبودية والإلهية، ومنهم من كان لا يريد الولاية إلا للاستعانة بها على الدعوة إلى الله وحده.

وكان بعض الصالحين يتولى القضاء ويقول: ألا أتولاه لأستعين به على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟!

ولهذا كانت الرسل وأتباعهم يصبرون على الأذى في الدعوة إلى الله، ويتحملون في تنفيذ أوامر الله من الخلق غاية المشقة وهم صابرون، بل راضون بذلك، فإنَّ المحب ربما يتلذذ بما يصيبه من الأذى في رضى محبوبه، كما كان عبد الملك ابن عمر بن عبد العزيز يقول لأبيه في خلافته إذا حرص على تنفيذ الحق وإقامة العدل: يا أبت ! لوددت أني غلت بي وبك القدور في الله ﷻ<sup>(١)</sup>.

(١) شرح حديث ما ذُبان جائعان (٤٥-٤٦).

**١٣- أن يبذل جاهه للناس:**

وذلك بالشفاعة للمحتاجين، والسعي في قضاء حوائجهم، قال ابن أبي يعلى: (وقال أبو مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان: حدثني أبي عن أبيه قال: حضرت الحسن بن سهل، وجاءه رجل يستشفع به في حاجة، فقضاها، فأقبل الرجل يشكره، فقال له الحسن بن سهل: علام تشكرنا؟ نحن نرى أن للجاه زكاة كما أن للمال زكاة، ثم أنشأ يقول:

فرضت علي زكاة ما ملكت يدي  
وزكاة جاهي أن أعين وأشفعا  
فإذا ملكت فجد، فإن لم تستطع  
فاجهد بوسعك كله أن تنفعا)<sup>(١)</sup>

**١٤- أن يصرف العبد ما جعله الله في قلبه من حب الجاه في  
المصرف الصحيح:**

قال ابن القيم: (ولقوة حب الجاه مصرف، وهو استعماله في تنفيذ أوامره، وإقامة دينه، ونصر المظلوم، وإغاثة الضعيف،

(١) وفيات الأعيان (٢/١٢٠).



وقمع أعداء الله، فمحنة الرياسة والجاه على هذا الوجه عبادة<sup>(١)</sup>.

### ١٥. القراءة والتأمل في سير السلف الصالح:

فعن عامر بن سعد قال: كان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في إبله فجاءه ابنه عمر، فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب. فنزل فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم؟! فضرب سعد في صدره فقال: اسكت، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ»<sup>(٢)</sup>.

قال النووي: (المراد بالغنى غنى النفس، هذا هو الغنى المحبوب لقوله صلى الله عليه وسلم: «وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ»... وأما «الْخَفِيُّ» فمعناه الخامل المنقطع إلى العبادة والاشتغال بأمور نفسه)<sup>(٣)</sup>.

(١) التبيان في أقسام القرآن (٢٥٩).

(٢) رواه مسلم (٢٩٦٥).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٨/١٠٠).

## وقد يعزل أحدهم نفسه ويتنازل لغيره لمصلحة أعظم:

ومن هذا ما فعله الحسن بن علي رضي الله عنه من تنازله عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه، ومدحه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك. عن أبي بكر رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن بن علي رضي الله عنه إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصَلِّحَ بِهِ بَيْنَ فِئْتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»<sup>(١)</sup>.

قال المباركفوري: (وهذه معجزة عظيمة من النبي صلى الله عليه وسلم حيث أخبر بهذا فوق مثل ما أخبر)<sup>(٢)</sup>.

**وكان أحدهم يمتنع غاية الامتناع عن الولاية إذا كان هناك من هو أحق منه بها:**

كما في قصة تولية أبي بكر رضي الله عنه ومبايعة الصحابة له أعظم شاهد على ذلك، فعن عمر رضي الله عنه قال: خطب أبو بكر رضي الله عنه فقال:

(١) رواه البخاري (٢٧٠٤).

(٢) تحفة الأحوذى (١٠/١٨٩).

وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيهما شئتم، فأخذ بيدي ويدي أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا فلم أكره مما قال غيرها، كان والله أن أُقَدَمَ فتضرب عنقي لا يقربني ذلك من إثم، أحب إليّ من أن أتأمّر على قوم فيهم أبو بكر<sup>(١)</sup>.

### ومن ذلك أيضاً:

لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة جاءه صاحب الشرطة ليسير بين يديه بالحربة على عادته مع الخلفاء قبله، فقال له عمر: مالي ولك؟ تنح عني، إنما أنا رجل من المسلمين! ثم سار وساروا معه حتى دخل المسجد فصعد المنبر واجتمع الناس إليه، فقال: أيها الناس، إني قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأي كان مني فيه، ولا طلبة له، ولا مشورة من المسلمين، وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي فاخترتوا لأنفسكم ولأمركم من تريدون، فصاح المسلمون صيحةً واحدة: قد اخترناك لأنفسنا وأمرنا، ورضينا كلنا بك، فقام وخطبهم<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه البخاري (٦٨٣٠).

(٢) البداية والنهاية (٩/٢٣٨).

عن فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز أنها دخلت عليه فإذا هو في مصلاه يده على خده سائلة دموعه فقالت: يا أمير المؤمنين أليس حدث؟ قال: يا فاطمة، إني تقلدت أمر أمة محمد ﷺ، فتفكرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعمري المجهود، والمظلوم المقهور، والغريب المأسور، والكبير وذو العيال في أقطار الأرض، فعلمت أن ربي سيسألني عنهم، وأن خصمهم دونهم محمد ﷺ، فخشيت ألا تثبت لي حجة عند خصومته فرحمت نفسي فبكيت<sup>(١)</sup>.

## ١٦- الدعاء:

عن معقل بن يسار قال: انطلقت مع أبي بكر الصديق ﷺ إلى النبي ﷺ فقال: «يَا أَبَا بَكْرٍ، لَلشَّرْكِ فِيكُمْ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ». فقال أبو بكر ﷺ: وهل الشرك إلا مَنْ جعل مع الله لهاً آخر. فقال النبي ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَلشَّرْكِ فِيكُمْ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، أَلَا أَذْلكَ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتَهُ»

(١) سير أعلام النبلاء (٥/١٣١).

ذَهَبَ عَنْكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ؟» قال: «قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ»<sup>(١)</sup>.

هذا والله نسأل أن يوفقنا لأرشد أمرنا، وأن يجعلنا ممن يعمل بطاعته؛ ابتغاء مرضاته، والحمد لله رب العالمين.

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٧١٦)، وصححه الألباني.

## الخاتمة

من المؤسف حقاً أن نرى كثيراً من الناس يتناحرون فيما بينهم للوصول للرئاسة ونيل المناصب الرفيعة والجاه العريض، حتى أصبح الهُمُّ المسيطر على المرء أن يكون هو القائد، أو الإمام، أو الرئيس بطرق تؤدي غالباً إلى الشقاق بين صفوف المسلمين، وإثارة الفتن والقتال بينهم.

وانتشار مرض حب الرئاسة يؤدي بلا شك إلى إهدار الطاقات، وتوسيع دائرة الخلافات، والسعي للمصالح الشخصية، والمنافع الذاتية، وعدم القيام بالدين، وكفى بهذا شراً عظيماً، وفساداً كبيراً، للفرد والمجتمع والأمة.

والعصمة من الزلل في الرجوع الصادق إلى كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ، والسير على نهج السابقين الأولين.

هذا ونسأل الله تعالى الهدى والسداد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

محمد صالح المنجد

## اختبر فهمك

بين يديك مستويين من الأسئلة، أسئلة مباشرة وأخرى تحتاج منك إلى تأمل وإمعان نظر.

### أسئلة المستوى الأول المباشرة:

- ١- ما هي فوائد الولاية والإمارة؟.
- ٢- حب الرئاسة داء عَضَال، فما هي أبرز مظاهره؟.
- ٣- ما هي أسباب حب الرئاسة؟.
- ٤- لكل داء دواء، فما دواء مرض حب الرئاسة؟.

### أسئلة المستوى الثاني الاستنباطية:

- ١- لماذا سُمي حب الرئاسة بالشهوة الخفية؟.
- ٢- عن كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا ذُئِبَانَ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ»، ما المقصود بهذا الحديث؟.
- ٣- كيف يكون حب الرئاسة والدنيا مفسداً للدين؟.

- ٤- ماذا تفهم من قول يوسف عليه السلام لعزيز مصر، كما ذكر الله ذلك عنه في القرآن: ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ ﴾ [يوسف: ٥٥].
- ٥- متى يُعان الإنسان على الولاية والإمارة؟ مع ذكر الدليل.
- ٦- متى يكون طلب الرئاسة عبادة، يثاب المرء عليها؟.



## المحتويات

٥	.....	مقدمة
٧	.....	تسمية حب الرئاسة بالشهوة الخفية
٩	.....	حاجة الناس إلى الولاية
١٥	.....	صور وأحوال حب الرئاسة
١٩	.....	مظاهر حب الرئاسة
٣٥	.....	أسباب حب الرئاسة
٤٢	.....	علاج حب الرئاسة
٦١	.....	الخاتمة
٦٢	.....	اختبر فهمك
٦٤	.....	المحتويات

سلسلة أعمال القلوب (٣)

الغفلة

ح) مجموعة زاد للنشر ١٤٣٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المنجد ، محمد صالح

الغفلة ، محمد صالح المنجد - الخبر - ١٤٣٠ هـ

٦٢ ص ، ١٧×١٢ سم

ردمك : ٢-١٣-٨٠٤٧-٦٠٣-٩٧٨

١- الوعظ والإرشاد أ. العنوان

ديوي : ٢١٣ ١٤٣٠/٤٠٤٨

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



للنشر

المملكة العربية السعودية

الخبر - هـ: ٨٦٥٥٣٥٥

جدة - هـ: ٦٩٢٩٢٤٢

ص.ب: ١٢٦٢٧١ جدة: ٢١٣٥٢

[www.zadgroup.net](http://www.zadgroup.net)

مخارص أم المنجد

سلسلة أعمال القلوب (٣)

# الغفلة



١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فإن الغفلة داء عظيم، إذا سيطر على أحد بآء بخسارة الدارين يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩].

فما الغفلة؟ وما الموقف الشرعي منها؟ وما أنواعها وأقسامها؟ وما أسبابها؟ وما علاجها؟.

ذلك ما ستراه مسطوراً في ثنايا هذا الكتاب، وأشكر كل من ساهم في إعداد هذه المادة وإخراجها بالصورة المرضية.

نسأل الله أن يوقظنا من غفلتنا، وأن يغفر ذنوبنا.

محاضرَاتُ الْمَجْلَدِ



## تعريف الغفلة

**الغفلة لغة:** مصدر غفل يغفل غفلة وغفولاً، يقول ابن فارس: (الغين والفاء واللام أصل صحيح يدل على ترك الشيء سهواً، وربما كان عن عمد)<sup>(١)</sup>.

وقال الفيومي: (الغفلة غيبة الشيء عن بال الإنسان وعدم تذكره له، وقد استعمل فيمن تركه إهمالاً وإعراضاً كما في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ﴾ [الأنبياء: ١]<sup>(٢)</sup>.

**الغفلة اصطلاحاً:** فقد الشعور بما حقه أن يشعر به<sup>(٣)</sup>.

وعرفها الراغب الأصفهاني بأنها: (سهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ والתיقظ)<sup>(٤)</sup>.

وعرفها الجرجاني بأنها: (متابعة النفس على ما تشتهي)<sup>(٥)</sup>.

(١) معجم مقاييس اللغة (٤/ ٣١١)، مادة: غفل.

(٢) المصباح المنير (٢/ ٤٤٩).

(٣) فيض القدير (١/ ٢٦٢).

(٤) مفردات غريب القرآن (٢/ ١٥٦).

(٥) التعريفات (٢٠٩).



## الموقف الشرعي من الغفلة

ذم الله تعالى الغفلة، وحذر من الغافلين، وحذر نبيه أن يكون معهم ومنهم، فقال: ﴿وَأذْكُرَّ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وقد نهى الله ﷻ عن مصاحبة الغافلين، فقال: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وذم الله أقواماً لغفلتهم، فقال الله ﷻ: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

والغافلون منهم كافرون، كما قال الله ﷻ في كتابه: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٠٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٧)

أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ  
وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿ [النحل: ١٠٦-١٠٨].

والويل كل الويل لمن غفل حتى قُضِيَ الأمر وخسر، قال  
تعالى: ﴿ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا  
يُؤْمِنُونَ ﴾ [مريم: ٣٩].

وقد قرأ النبي ﷺ هذه الآية حينما ذكر لأصحابه ذبح الموت،  
عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ  
الْجَنَّةِ، هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَسْرَبُونَ، وَيَنْظُرُونَ، وَيَقُولُونَ: نَعَمْ،  
هَذَا الْمَوْتُ. وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ، هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ:  
فَيَسْرَبُونَ، وَيَنْظُرُونَ، وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ. قَالَ: فَيُؤْمَرُ  
بِهِ فَيَذْبَحُ. قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ  
النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ». قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ وَأَنْذَرَهُمْ  
يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [مريم: ٣٩]،  
وأشار بيده إلى الدنيا<sup>(١)</sup>.

(١) رواه البخاري (٤٧٣٠) ومسلم (٢٨٤٩) واللفظ لمسلم.

## أنواع الغفلة

### الغفلة على نوعين:

غفلة محمودة، وغفلة مذمومة.

#### الغفلة المحمودة:

هي الغفلة عن المعاصي والمنكرات، وعن كل ما لا يرضاه الله سبحانه وتعالى، وهذه هي التي وَصَفَ بِهَا سبحانه العفيفات من النساء، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣].

والمراد بالغافلات: هن اللاتي غفلن عن الفاحشة، فلا تخطر ببالهن، ولا يَفْطَنَنَّ إِلَيْهَا.

#### الغفلة المذمومة:

هي الغفلة عن الله وطاعته وذكره، وعن الدار الآخرة والحساب والجزاء، وهي الغفلة التي نريد أن نتحدث عنها.

## أقسام الغفلة المذمومة

لقد صدق الله ﷻ عندما وصف أكثر الخلق بأنهم غافلون، فقال سبحانه: ﴿ أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء: ١].

### وللغفلة المذمومة ثلاثة أقسام:

#### القسم الأول: الغفلة العارضة:

فقد تعرض الغفلة للصالحين من الناس في بعض الأوقات، وهؤلاء الصالحون غفلتهم يسيرة سريعة، سرعان ما يتنبهون لها، ويتذكرون الجزاء والحساب، فيتوبون منها، ويتراجعون عنها، قال تعالى: ﴿ إِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

#### القسم الثاني: الغفلة المتكررة:

وهي الغفلة التي يعيشها العصاة والفاسقون من المسلمين حال عصيانهم، قلت معصيتهم أم كثرت.

فتراهم يغفلون أحياناً، ويستيقظون أحياناً.  
 يكونون في حالة ينسون فيها أنفسهم.. ثم يتذكرون في  
 حالةٍ أخرى.

وهؤلاء لأبدٍ من تذكيرهم في كل حينٍ.. حتى يلتزموا  
 الطريق المستقيم والصراف السوي.

### القسم الثالث: الغفلة التامة:

وهي الغفلة التي يعيشها الكفار، فإنهم في غفلة تامة عن  
 الله والدار الآخرة، حتى كأنهم بهائم لا يدرون لماذا خلقوا؟  
 ولا لأجل أي شيء يعيشوا؟، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ  
 وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد: ١٢].

بل إنهم في غفلتهم كأنهم سكارى لا يعون ما حولهم،  
 ولا يفقهون ما يقال لهم، قال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتٍ  
 يَغْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

وهؤلاء الكفار إخراجهم من غفلتهم يكون بدعوتهم إلى  
 دين الإسلام، ومحاولة إدخالهم في هذه الملة.

## أسباب الغفلة

### ١- السعي خلف راحة الجسم:

كثيرٌ من الناس يسعى لإراحة جسمه في غالب نهاره وليله، ولم يعلم أن الراحة التي يبحث عنها هي سبب التعب والحسران، والراحة الحقيقية إنما تكون في إتياب النفس بالفضائل الإيمانية، والأخلاق الإسلامية.

يَا مُتَعَبَ الْجِسْمِ كَمْ تَسْعَى لِرَاحَتِهِ  
أَتَعَبْتَ جِسْمَكَ فِيمَا فِيهِ خُسْرَانُ  
أَقْبِلْ عَلَى الرُّوحِ وَاسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا  
فَأَنْتَ بِالرُّوحِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانُ

### ٢- الحرص على لذات الحياة الدنيا:

إن الحرص على المتعة واللذة من أسباب الغفلة عن الله وعن الدار الآخرة، فبسببها تضيع الواجبات، وتُرْتَكَبُ المحرمات.

مَهَارُكَ يَا مَغْرُورٌ سَهْوٌ وَعَقْلَةٌ  
وَلَيْلُكَ نَوْمٌ وَالرَّدَى لَكَ لَا زِمٌ

وَتَتَعَبُ فِيهَا سَوْفَ تَكْرَهُ غِيْبَهُ

كَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا تَعِيْشُ الْبَهَائِمُ<sup>(١)</sup>

يحرص هؤلاء على لذات الحياة الدنيا بأنواعها وأشكالها،  
ويُعَبُّ منها ما استطاع حتى يموت قلبه، ويغفل عن ذكر الله  
ولقائه.

### ٣- موت الشعور بالذنب:

مات الشعور بالذنب عند الكثير من الغافلين، وذهب  
الإحساس بالتقصير، حتى لربما يظن بعضهم أنه على خير عظيم،  
ثم بعد ذلك يفاجأ عند كشف الحساب وجرده.

أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ عَلِمَ الْأَنَامُ لِمَا

خُلِقُوا لِمَا غَفَلُوا وَنَامُوا

لَقَدْ خُلِقُوا لِمَا لَوْ أَبْصَرْتَهُ

عُيُونُ قُلُوبِهِمْ تَأْهَوُّوْنَ وَهَامُوا

(١) حلية الأولياء (٧/ ٢٢٠).

مَمَاتٌ ثُمَّ قَبْرٌ ثُمَّ حَشْرٌ  
وَتَوْيِخٌ وَأَهْوَالٌ عِظَامٌ<sup>(١)</sup>

#### ٤- اتباع الهوى:

إن اتباع الهوى يؤدي إلى الغفلة عن الله والدار الآخرة، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

وقد جعل سبحانه وتعالى اتباع الهوى مضاداً للحق، وعده قسيماً له، كما في قوله تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

ومن هنا نعلم بأن الذين يتبعون هواهم إنما يسIRON في طريق الغفلة عن الله والدار الآخرة، فالإنسان مطالب باجتنب هواه حتى لا يكون من أهل الغفلة.

(١) المدهش لابن الجوزي (١٢٢).



## ٥- العمل وطلب الرزق:

لا شك أن الرجل مأمور بالعمل والتجارة؛ لإعالة نفسه وأهله ومن أمره الله بإعالتهم.

ولكن الخطأ كل الخطأ أن يتحول هذا العمل وهذه التجارة إلى سبب من أسباب الغفلة عن الله والدار الآخرة، فيصبح العمل هو همه الشاغل، وهدفه الأوحد.

والمؤمنون من صفاتهم أنهم لا يغفلون عن الله بسبب تجارة أو عمل، يقول تعالى: ﴿ فِي مَيُوتٍ أذنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِمُهُمْ بَيْعٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿ [النور: ٣٧].

## ٦- الألعاب والرياضات:

وهي سبب كبير من أسباب الغفلة، ولذا حذر النبي ﷺ من الانغماس في بعض الألعاب التي كانت موجودة في عصره، وبين أنها سبب للغفلة، عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ

قال: «مَنْ سَكَنَ الْبَادِيَةَ جَفَا، وَمَنْ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ، وَمَنْ أَتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتُنَّ»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر: (هو محمول على من واطب على ذلك، حتى يشغله عن غيره من المصالح الدينية وغيرها)<sup>(٢)</sup>.

فمن اشتغل بهذه الرياضة، وأصبحت همه الشاغل؛ فإن قلبه سيغفل، وسيُنسى الصلاة، وذكر الله، والطاعة، ولزوم الجماعة، ونحو ذلك.

فإذا كان اتباع الصيد يؤدي إلى الغفلة، مع أن الصيد فيه ما فيه من الفوائد البدنية التي تبني الجسم وتقويه وتعينه على جهاد الأعداء؛ فما القول في الألعاب الإلكترونية؟!.

إن الألعاب الإلكترونية في عصرنا من أكبر أسباب الغفلة؛ لأنها من أكبر الملهيات، وما تم اختراعه من أنواع الألعاب كفيلاً بأن يجعل القلب يعيش في غفلة أبداً ودهوراً.

(١) رواه أبو داود (٢٨٥٩) وصححه الألباني.

(٢) فتح الباري (٩/٦٦٢).

بسبب هذه الألعاب الإلكترونية تضيع الأوقات بالساعات، ويهدر العمر إهداراً عظيماً.

والشركات المنتجة لها تتنافس فيما بينها لتحتل ألعابها رفوف الأسواق، فما هي طبيعة هذه الألعاب؟! وما هي الأوقات التي تستغرقها من عمر أبنائنا وشبابنا?!.

إن الألعاب الإلكترونية الجديدة لم تعد تنتهي في ساعة أو ساعتين، بل ولا في يوم أو يومين، فبعضها يستغرق أكثر من أسبوع، وبعضها يستغرق أكثر من شهر.

والوصول إلى نهاية اللعبة لا يتحقق من ممارسة اللعبة مرة أو مرتين، بل لا بد للاعب من المواظبة الدائمة والمستمرة على اللعبة حتى يصل إلى نهايتها.

وبوصول اللاعب إلى نهاية اللعبة، يعرض صانعوها الجزء الثاني منها في الأسواق، ثم الثالث وهكذا.. كلما انتهى من جزءٍ لحقه الجزء الآخر، وكلما انتهى من لعبةٍ وجد لعبةً أخرى.

وبسبب انهماك الناس في هذه الألعاب استغلت بعض القنوات الفضائية هذا الأمر، فأصبحت هناك قنوات خاصة

بالألعاب الإلكترونية، تعرض آخر الألعاب، وكيفية اللعب بها.

### والسؤال المطروح: ما الذي استفاده أبناؤنا من هذه الألعاب؟.

إن أبناءنا لم يستفيدوا شيئاً من هذه الألعاب سوى حرق أعصابهم، وإتلاف أصابعهم، وإضعاف أبصارهم، وشلل تفكيرهم، بالإضافة إلى الغفلة الناتجة عن الجلوس أمام الشاشة لأوقات طويلة جداً.

ويا ليت الأمر اقتصر على هذا، بل إن هذه الألعاب تزرع محبة الشرك وأهله في قلوب أبنائنا.

أرادت إحدى الأمهات أن تمنع ولدها الصغير من اللعب بلعبة من هذه الألعاب الإلكترونية، فإذا بالولد يصيح ويقول: (اتركيني أَلعب ولن أدخل إلى الكنيسة مرة أخرى).

ففوجئت الأم بهذا الكلام! ما علاقة الكنيسة باللعبة؟!.

وكانت رمية من غير رام؛ فلقد اكتشفت أن اللاعب في اللعبة إذا حصل له ضعفٌ أو نزل مستوى من المستويات فإنه

يدخل في الكنيسة ليقوي نفسه، وترجع له عافيته، فيستطيع مواصلة اللعب.

فهل سنستهين بعد هذا كله بما فعلته هذه الألعاب بأبنائنا!!  
 كم أضاعت هذه الألعاب من الصلوات المتتالية عليهم؟!  
 وكم أذهبت من الأعمار والأوقات بغير ذكر لله أو انشغال بطاعته?!.

ألم تشغل هذه الألعاب أبنائنا عن حفظ القرآن?!.

ألم تشغلهم عن بر الوالدين?!.

بل إنها قد شغلتهم عن تناول الوجبات اليومية اللازمة  
 لنموهم وسلامة صحتهم!!.

## ٧- الترفيه والتنعم:

لقد أصبح الترفيه والرفاهية في عصرنا هذا صناعة من الصناعات، وبسببه عاش الناس في غفلة عظيمة.

ذلك الترفيه المشتمل على السفر السياحي، والمطاعم الكبيرة،

والبوفيهات المفتوحة، وتنوع الأطعمة، التي أصبح الناس يستهلكون أوقاتهم في تحضيرها وأكلها.

وانظر إلى الأسواق لترى مدى انشغال الناس في التحضير لوجباتهم اليومية، وذلك بشراء مستلزمات تلك الوجبات.

### ٨- الركون إلى الدنيا:

لاشك أن من أسباب الغفلة حب الدنيا، والركون إليها؛ لأنها تؤدي إلى ترك محاسبة النفس، وتطيل أمل الإنسان، وتمنيه بالأمانى الزائفة، وتجعله مُسَوِّفًا في التوبة.

ولو أنه أخرج حب الدنيا من قلبه لما غفل عن الله والدار الآخرة، وَلَعَلِمَ أن الدنيا دار ممر لا دار مقر، ولما استرسل في شهواته وملذاته.

### ٩- مخالطة أهل الغفلة:

مخالطة البطالين من أعظم أسباب الغفلة، قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشَىٰ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [الحشر: ١٩].

قال السعدي: (والحرمان كل الحرمان، أن يغفل العبد عن هذا الأمر، ويشابه قوما نسوا الله وغفلوا عن ذكره والقيام بحقه، وأقبلوا على حظوظ أنفسهم وشهواتها، فلم ينجحوا، ولم يحصلوا على طائل، بل أنساهم الله مصالح أنفسهم، وأغفلهم عن منافعها وفوائدها، فصار أمرهم فرطاً، فرجعوا بخسارة الدارين، وغبنوا غبناً، لا يمكنهم تداركه، ولا يجبر كسره، لأنهم هم الفاسقون، الذين خرجوا عن طاعة ربهم وأوضعوا في معاصيه، فهل يستوي من حافظ على تقوى الله ونظر لما قدم لعدده، فاستحق جنات النعيم، والعيش السليم - مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين - ومن غفل عن ذكر الله، ونسي حقوقه، فشقي في الدنيا، واستحق العذاب في الآخرة، فالأولون هم الفائزون، والآخرون هم الخاسرون)<sup>(١)</sup>.

(١) تيسير الكريم الرحمن (٨٥٣).

## ١٠. كثرة المباحات:

وتحصل الغفلة بكثرة الانشغال بالمباحات، لأنها تقسي القلب.

وتأمل في حال الناس اليوم، ترى أن انهماكهم في المباحات جعلهم يغفلون عن الله والدار الآخرة.

فما الذي سيحدث للشخص عندما يغيب في عمله طول النهار، ثم يخرج إلى وجبة الغذاء، ثم يتبع ذلك بالنوم، فإذا استيقظ خرج إلى استراحته، أو إلى النزهة مع أصدقائه أو أهله، حتى ينتهي يومه وهو متنقل بين هذه الأمور المباحة.

فأي عيشة هذه؟!، وماذا يرجى لمن كان هذا برنامجه اليومي؟!.



## نماذج مما يغفل عنه الناس

كُثُرُ الغافلون من الناس في عصورنا المتأخرة، وكثُرَت الأمور التي يغفل عنها الناس، وحق على المؤمن أن يُذَكَّرَ أخاه المؤمن بهذه الأمور، لعله يتذكر، ويستفيد من هذه الموعظة.

**ومن الأمور التي يغفل عنها الناس:**

### ١- الغفلة عن تعلم دين الله سبحانه وتعالى:

الجهل بدين الله سبحانه وتعالى سبب لارتكاب الذنوب، والذنوب تقسي القلوب، ومن ثمَّ يصاب العبد بالغفلة عن الله والدار الآخرة.

فكيف يخاف الحساب من يجهل وجود الصراط والميزان!!.

وكيف يخاف سوء الخاتمة من لا يعلم بأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء!!.

وهذا الجهل هو الذي يؤدي إلى التفرق بين أهل الإسلام،

ويسبب العيش في عمى وضلال، وربما أدى إلى ارتكاب الذنوب في حق الأبرياء.

روى القاضي أبو بكر ابن العربي المالكي حكاية تدل على ما يمكن أن يصل إليه الجهل بأصحابه فقال: زار الشيخ الطروشى أحد فقهاء عصره من أهل المشرق (الأندلس)، ودخل يصلي في مسجد أحد الثغور، وكان ابن العربي في ذلك المسجد.

فصلى الشيخ الطروشى النافلة، وكان يرفع يديه مع تكبيرة الركوع، وعند الرفع منه، وهذا الرفع ثابت عن النبي ﷺ، ولكن هناك رواية مشهورة عند المالكية شاعت في أهل الأندلس: أنه لا رفع في هاتين الحالتين، فلما فعل الشيخ الطروشى - وهو ممن يتبع السنة - هذا الأمر وهو مخالفٌ للمشهور من المذهب، استنكر هذا الرفع رئيس البحر، وكان بجانب ابن العربي ينتظر الصلاة، فأمر بعض جنوده أن يقوم إلى الشيخ الطروشى فيقتله ويرميه في البحر!!.

قال ابن العربي: فطار قلبي من بين جوارحي، وقلت: سبحان الله! هذا الطروشى فقيه الوقت.

فقالوا لي: ولم يرفع يديه؟!.

فأخبرهم أن تلك سنة عن النبي ﷺ، وهي رواية عند المالكية، لكن ليست هي الرواية المشهورة في المذهب، وما زال بهم حتى سكنوا<sup>(١)</sup>.

فتأمل! كيف يمكن أن يصل الجهل بأهل الغفلة إلى أن يستيحيوا دم مسلم!! مع أنه على حق وسنة، كل هذا بسبب الجهل بدين الله تعالى.

## ٢- الغفلة عن كتاب الله تعالى:

فيغفلون عن تعلمه، وتعليمه، وحفظه، مع أن النبي ﷺ رغب في ذلك كله.

فالماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة.  
وحافظ القرآن ترفع درجاته يوم القيامة بحسب حفظه.  
والقرآن يأتي يوم القيامة شفيحاً لأصحابه، كما أن قارئ  
القرآن يشفع لأهله.

(١) تفسير القرطبي (١٩/ ٢٨١)، الاعتصام للشاطبي (١/ ٢٧٤) بتصرف.

وغير ذلك من الكرامات التي تنال حافظ القرآن، ومعلمه،  
ولكن الناس عنها غافلون.

### ٣- الغفلة عن ذكر الله تعالى:

وهو الزاد الذي يتزود به المتقون، ويتوجه إليه  
الصالحون.

هو قوت القلوب، وعمار الديار، به تستدفع الآفات،  
وتستكشف الكربات، وأهله يتقبلون في رياض الجنات.

الذكر عبودية القلب واللسان، وزينة العابدين، وباب  
الله الأعظم المفتوح بينه وبين عباده.

وكم من الناس يغفل عن الأذكار المطلقة والمقيدة!!

فيأتي الصباح ولا يذكر أحدنا أذكاره، وينتهي المساء ولا  
يذكر أذكاره.

يدخل المسجد ويخرج منه ولا يقول شيئاً.

ويدخل بيته ويخرج منه ولا تتحرك شفتاه بشيء من ذكر  
الله تعالى.

يسمع نهيق الحمير، وصياح الديكة، ولا يذكر شيئاً من الأذكار المخصصة عند سماع هذه الأصوات ألبتة.

فمن كانت هذه حاله، كيف سيذكر الله إذا حضرت الشهوات المباحة كشهوة الطعام وشهوة النكاح!!

ومن غفل عن الذكر في مواضع العبادة، فأحرى به أن يغفل عنه في مواضع شهواته.

#### ٤- الغفلة عن الأذكار التي تحمي الإنسان:

ينبه الله ﷻ هؤلاء الغافلين عن الأذكار أحياناً بما يصيبهم من المصائب، فيتذكرون هذه الأذكار، حتى يقول بعضهم: يا ليتني ذكرت هذه الأذكار!

عن خولة بنت حكيم السُّلَمِيَّةِ رضي الله عنها: أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا نَزَلَ أَحَدُكُمْ مَنزِلاً فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَجِلَ مِنْهُ»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه مسلم (٢٧٠٨).

قال أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي: (هذا خبر صحيح، وقول صادق، علمنا صدقه دليلاً وتجربةً، فإني منذ سمعت هذا الخبر عملت به، فلم يضرني شيء إلى أن تركته، فلدغتني عقرب بالمهدية ليلاً، فتفكرت في نفسي فإذا بي قد نسيت أن أتعوذ بتلك الكلمات)<sup>(١)</sup>.

وقد سمعت قصة من بعض الناس من أهل المدينة النبوية، مفادها أنه قال هذا الذكر في مكان قبل ذهابه إلى بلده بنحو من ٧٠ كيلاً، فلما وصل إلى بلده وأنزل الغطاء عن رأسه، قال له ولده: ما هذا الشيء الأسود على رأسك يا أبتِ؟ فنفض رأسه، فإذا هو عقرب قد حمّله من مسافة ٧٠ كيلاً، قال: فرجوت أن الله حفظني بهذا الذكر، الذي قلته عندما حلّ المساء، في ذلك المكان الذي كنت فيه.

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧/ ٣٦)، ونقلها عنه المناوي في فيض القدير (١/ ٥٧٢).

## ٥- الغفلة عن إعمال النية:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مِمَّا نَوَى»<sup>(١)</sup>.

فالناس قد ينسون نية القيام بالواجب، ولربما أبطل ذلك العمل؛ لأن بعض الأعمال تفتقر في صحتها إلى النية.

وربما غفل الناس عن نية احتساب الأجر، فضيقت هذه الغفلة عليهم أجوراً كثيرة، فإن النية إذا استحضرها العبد في المباحات صارت من محاسن القربات.

فلو احتسب الإنسان الأجر عند شراء أغراض المنزل لنال الأجر العظيم.

وكذلك حينما ينفق على أهله النفقة الواجبة أو غير الواجبة.

عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا أَنْفَقَ الْمُسْلِمُ نَفَقَةً عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه البخاري (١).

(٢) رواه البخاري (٥٥) ومسلم (٥٣٥١).

وربما داعب الإنسان أخاه أو صاحبه مداعبة مباحة، فهي إما أن تكون له إذا نوى بها إدخال السرور على أخيه المسلم، وإما أن تكون لاله ولا عليه إذا لم ينو بها شيئاً.

بل إن ملاعبة الرجل امرأته يتحصل بها على الأجر إذا نوى النية الصالحة، وما أكثر ما نغفل عن هذه النية!، عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ». قالوا: يا رسول الله، يأتي أحدنا شهوته، ويكون له فيها أجر؟ قال: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وَزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ»<sup>(١)</sup>.

قال النووي: (وفي هذا دليل على أن المباحات تصير طاعات بالنيات الصادقات، فالجماع يكون عبادة إذا نوى به قضاء حق الزوجة، ومعاشرتها بالمعروف الذي أمر الله تعالى به، أو طلب ولد صالح، أو إعفاف نفسه، أو إعفاف الزوجة، ومنعها جميعاً من النظر إلى حرام، أو الفكر فيه، أو الهم به، أو غير ذلك من المقاصد الصالحة)<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه مسلم (١٠٠٦).

(٢) شرح النووي (٧/٩٢).



فربّ عمل صغير تعظمه النية، وربّ عمل كبير تصغره النية، كما قال ابن المبارك<sup>(١)</sup>.

عن أبي بردة رضي الله عنه قال: بعث النبي صلّى الله عليه وآله أبا موسى ومُعَاذًا حيثما عنهما إلى اليمن، فانطلقا، فقال معاذ لأبي موسى: كيف نقرأ القرآن؟ قال: قائماً، وقاعداً، وعلى راحلتي، وَأَتَقَوُّهُ تَقَوُّقًا<sup>(٢)</sup>. قال: أما أنا فأنام وأقوم، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي<sup>(٣)</sup>.

وقوله: (فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي) قال ابن حجر: (أنه يطلب الثواب في الراحة كما يطلبه في التعب؛ لأن الراحة إذا قصد بها الإعانة على العبادة حصّلت الثواب)<sup>(٤)</sup>.

وقال النووي: (معناه: أني أنام بنية القوة، وإجماع النفس للعبادة، وتنشيطها للطاعة، فأرجو في ذلك الأجر، كما أرجو في قومتي، أي: صلواتي)<sup>(٥)</sup>.

(١) الإخلاص والنية (٧٠)، جامع العلوم والحكم (١٩/٣).

(٢) أي: الأزم قراءته في جميع الأحوال، عون المعبود (٧/١٢).

(٣) رواه البخاري (٤٣٤٥).

(٤) فتح الباري (٦٢/٨).

(٥) شرح النووي على مسلم (٢٠٩/١٢).

قال ابن القيم حاكياً حال من كان همه الله والدار الآخرة فلا يتقلب إلا في شيء يظهر له فيه مرضاة ربه: (وإن كان من الأفعال العادية الطبيعية قلبه عبادة بالنية، وقصد الاستعانة به على مرضاة الرب، وبالجملة: فإنه يقف عند أول الداعي إلى فعله، فيفتشه، ويستخرج منه منفذاً ومسلكاً يسلك به إلى ربه، فينقلب في حقه عبادة وقربة)<sup>(١)</sup>.

وخلاصة القول: إن الإنسان يقوم بأعمال كثيرة في اليوم الواحد، يذهب إلى وظيفته، يأكل، يشرب، ينام، يمزح، يتحدث، يبيع، يشتري، يستأجر، كل هذه الأمور لا يخطر على بال أهل الغفلة أن ينووا بها النية الصالحة عند قيامهم بها، أما أهل العبادة فإنهم يقفون عند كل عمل، ويفتشون في قلوبهم عن النية الصالحة التي تُصحِّح لهم عملهم، وتقلب العمل العادي إلى عبادة.

(١) طريق المجرتين (٣٣٢).

## ٦- ومن الغفلة ما يكون عن ترتيب الأعمال، وتنزيلها منازلها:

إن العبادات الشرعية متفاوتة الأجر والثواب بعدة اعتبارات، فمنها ما هو أفضل مطلقاً، ومنها ما هو أفضل بحسب الزمان، ومنها ما هو أفضل بحسب المكان وهكذا.

فقراءة القرآن من الأعمال الفاضلة مطلقاً، ولكن عند دخول المسجد يقدم دعاء دخول المسجد على قراءة القرآن، وكذلك عند الخروج من المسجد، وكذلك تقدم أذكار الصباح والمساء على القرآن وهكذا.

كان ابن مسعود رضي الله عنه لا يكاد أن يصوم، ويقول: (إني إذا صمت ضعفت عن الصلاة، والصلاة أحب إلي من الصيام) فإن صام صام ثلاثاً من الشهر<sup>(١)</sup>.

والأعمال متعددة النفع أفضل من الأعمال قاصرة النفع على وجه العموم.

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٨٨٦٩)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٠٤ / ٢): رجاله رجال الصحيح.

فتعليم العلم النافع خير من التنفل بالصلاة أو الصيام إن كانا يشغلانه عن التعليم والتدريس.

وقلّ من يتنبه لهذا التفاضل فيستغل إبليس هذا الأمر، ويتنصر على ابن آدم من جهة إشغاله بالعمل المفضول عن العمل الفاضل، فإن الشيطان ربما أمر بسبعين باباً من أبواب الخير ليتوصل بها إلى باب واحد من الشر، أو ليفوت خيراً عظيماً أعظم من تلك السبعين وأجل؛ كما قال ابن القيم<sup>(١)</sup>.

وقال ابن الجوزي: (وإن من تفضيل بعض العلماء: إيثاره للتنفل بالصلاة والصوم عن تصنيف كتاب، أو تعليم علم ينفع؛ لأن ذلك بذر يكثر ريعه، ويمتد زمان نفعه)<sup>(٢)</sup>.

توقف ابن عثيمين عن درسه فجأة ذات ليلة، وهو يلقيه كعادته بعد صلاة المغرب، فأطرق الطلاب برؤوسهم، ثم قال: وجدت بقعة من الطلاء (الدهان) على يدي، وقد توضأت ولم أتنبه لها، ثم صليت، ثم جلست للدرس، فاكتشفتها الآن.

(١) بدائع الفوائد (٢/٤٨٥) بتصرف يسير.

(٢) صيد الخاطر (٤٢).

فاستأذن الطلبة، وقام، وأزال الطلاء، ثم توضأ وأعاد صلاة المغرب فقط، ولم يتنفل بعدها، ورجع للدرس وأكمله، فسأله أحد الطلاب عن سبب عدم إعادته النافلة أيضاً، فقال: العلم أولى بالمراعاة (لأن نفعه متعدٍ)، والطلاب قد اجتمعوا، والوقت يمضي، وهذا وقت الدرس، أما النافلة فنفعها قاصر على صاحبها.

ولو أمكن الجمع بينهما لجمع، ولكنه رأى أن الدرس أولى من التنفل.

### وغفلة الناس ليست مقتصرة على هذه الأمور فقط.

بل هناك الغفلة عن تصحيح النية، وعن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعن دعوة الناس وتربيتهم، وعن النوافل المختلفة كصلاة الضحى والسنن الرواتب والوتر، وعن الجلوس في المسجد بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس، وعن حضور الدروس العلمية والوعظية.

إلى غير ذلك من العبادات التي غفل عنها أكثر الناس.

## عقوبات الغفلة

عقوبات الغفلة كثيرة جداً، منها:

### ١. استحقاق العذاب في الدنيا:

قال الله سبحانه تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا  
يَمْؤَسَىٰ أَدْعُ لَنَا رَبُّكَ بِمَا عٰهَدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ  
لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا  
كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلِّغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٣٥﴾  
فَأَنقَمْنَا مِنْهُم فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا  
عَنْهَا غٰفِلِينَ ﴿﴾ [الأعراف: ١٣٤-١٣٦] فأغرقهم الله  
بغفلتهم عن آياته.

### ٢. الصرف عن تدبر آيات الله، وفهمها، والانتفاع بها:

وهذه عقوبة خطيرة جداً، قال تعالى: ﴿سَاصِرْفٌ عَن آيَاتِي  
الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا

يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا  
 سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِعَايُنِنَا وَكَانُوا  
 عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿ [الأعراف: ١٤٦] أي: لا أتركهم يتدبرونها،  
 ولا يعتبرون بها، وتمر عليهم مروراً دون أن يستفيدوا منها.

قال البيضاوي: (أي: ذلك الصرف بسبب تكذيبهم،  
 وعدم تدبرهم للآيات) <sup>(١)</sup>.

وهذه عقوبة بليغة، لكن أهل الغفلة لا يشعرون بها.

والله يجازي أهل الغفلة بغفلة أعظم، جزاء وفاقاً، ﴿ فَلَمَّا  
 زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف: ٥]، استحجوا العمى  
 فأعماهم الله عن الحق.

### ٣- حرمان رحمة الله ﷻ:

عن يُسَيْرَةَ رضي الله عنها وكانت من المهاجرات، قالت: قال  
 لنا رسول الله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالتَّسْبِيحِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّقْدِيسِ،

(١) تفسير البيضاوي (١/ ٣٦٠).

وَأَعْقُدَنَّ بِالْأَنَامِلِ<sup>(١)</sup>؛ فَإِنَّهُنَّ مَسْؤُولَاتٍ مُسْتَنْطَقَاتٍ<sup>(٢)</sup>، وَلَا تَغْفُلْنَ فَتَنْسِينَ الرَّحْمَةَ<sup>(٣)</sup>.

قال القاري: (أي: لا تترك الذكر؛ فإنك لو تركت الذكر لحرمتن ثوابه، فكأنك تركت الرحمة)<sup>(٤)</sup>.

#### ٤ - رد الدعاء وعدم استجابته:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله: «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٌ غَافِلٌ لَاهٍ»<sup>(٥)</sup>.

(١) الأَنْمَلَةُ بثلاث الميم والهمزة تسع لغات: التي فيها الظُّفْرُ جمع: أناملٌ وأنمَلاتٌ. القاموس المحيط - فصل النون - (١/١٣٧٦).

أي: اعقدن التسييح بالأنامل، فعند كل تسيحة أطبق الأصبع على الكف، واجعل الأنملة في باطن الكف، فتصبح عقدة.

(٢) مستنطقات: "بفتح الطاء أي متكلمات بخلق النطق فيها فيشهدن لصاحبهن أو عليه بما اكتسبه". عون المعبود (٤/٢٥٨).

(٣) رواه الترمذي (٣٥٨٣)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٢/٢٢).

(٤) تحفة الأحوذى (١٠/٣١).

(٥) رواه الترمذي (٣٤٧٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٥).



ليكن يقينك بالله كبيراً حال دعائك، ولا تكن كأصحاب القلوب الغافلة، الذين يرفعون أيديهم بالدعاء ثواني معدودات، لا يدرون ماذا قالوا، وبماذا دَعَوْا!.

أو كمن يُؤمّن مع الإمام وهو لا يفقه شيئاً من دعائه!  
فكيف يُقبل دعاء من هذا حاله؟!.

### ٥ - تسليط الشياطين على الغافل:

إذا دخل الرجل بيته، وغفل عن ذكر الله، فإن الشيطان يُسلط عليه، ويدخل بيته معه، ويبيت معه.

وإذا أكل طعامه وغفل عن ذكر الله أكل معه الشيطان.

عن جابر رضي عنه: أنه سمع النبي صلّى الله عليه وآله يقول: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: أَذْرَكُكُمْ الْمَبِيتَ. وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ: أَذْرَكُكُمْ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ»<sup>(١)</sup>.

**٦- تتابع الغفلات:**

فإن الغفلة تجر أختها، والثانية تجر الثالثة، وهكذا، حتى يقع الإنسان في مستنقع الشهوات، ولا يستطيع الخروج منه، ما لم يتداركه الله برحمته منه وفضل.

وكم من صاحب معاصٍ وفسوق كانت بدايته بغفلة لم يقاومها، ولم يتب منها!.

**٧- سوء الخاتمة:**

إن الغفلة تؤدي إلى الموت على ما يكرهه الله سبحانه وتعالى، وهذا له أمثلة كثيرة، وقصص متنوعة واقعية، لأناس غفلوا عن ذكر الله، فكانت نهاياتهم شقية، وخاتمتهم سيئة في هذه الدنيا، وهذا من أعظم آفات الغفلة.

**٨- الحسرة في الآخرة:**

من أساء يوم القيامة: يوم الحسرة؛ وذلك لتحسر أهل الغفلة فيه، وندمهم على ترك الصالحات، ولكن هيهات هيهات أن ينفع الندم في ذلك الوقت.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلوات الله عليه أنه قال: «مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةً، وَمَنْ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةً»<sup>(١)</sup>.  
والترّة: الحسرة والندامة.

### ٩- وأشد العقوبات التي تقع على أهل الغفلة دخول النار:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٨-٧].

وقال جلّ شأنه: ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْوِلُنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٧].

وقال عجلت: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ

(١) رواه أبو داود (٤٨٥٦)، وصححه الألباني.

ءَاذَانُ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ  
الْغَافِلُونَ ﴿ [الأعراف: ١٧٩].

فهؤلاء الغافلون قست قلوبهم عن الاعتبار والاتعاظ والتدبر والتفكير، وعميت بصائرهم عن إدراك الحق، وصُمَّتْ آذانهم عن سماع الحق، ولذلك كانوا كالأنعام بل هم أضل، أولئك هم الغافلون.

وسيقال لكل غافل في موقف الحساب يوم القيامة: ﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق: ٢٢]، أي: لقد كنت في غشاوة، لا ترى ما بعد الموت، ولا تحسب له حساباً، ولا تنتهياً له، ولا تفكر فيه، فكشفنا عنك الغطاء بقبض روحك، ورأيت الأهوال وعابنتها، فمن شدة الخوف بصرك لا يزيغ يمناً ولا يسرة، بل هو مثبت مكانه من الهول.

إن عاقبة الغفلة ليست هيئة أبداً، بل إنها قد تعود على صاحبها بخسارة الدارين، نسأل الله السلامة والعافية.

## علاج الغفلة

إن قال قائل: ما علاج الغفلة، وكيف ننجو منها؟.

علاج الغفلة يكون بأمور عدة:

### ١- بالذكر:

قال الله تعالى: ﴿ وَأذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً  
وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾  
[الأعراف: ٢٠٥].

إن الذكر له مفعول قوي في مواجهة الغفلة، وهو من أكبر الأسباب المخرجة للمسلم عن حيز الغفلة، وعلى قدر غفلة العبد عن الذكر يكون بعده عن الله، وعلى قدر إقباله على الذكر وانشغاله به تكون حياة قلبه وزوال غفلته.

### ٢- بالدعاء:

فالدعاء بزوال الغفلة يعين على التغلب عليها، خاصة إذا

استعاذ الإنسان بالأدعية الصحيحة الواردة عن النبي ﷺ في هذا الشأن.

عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يدعو يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَالْقَسْوَةِ، وَالْغَفْلَةِ، وَالذَّلَّةِ، وَالْمَسْكَنَةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ، وَالْكَفْرِ، وَالشَّرْكِ، وَالنَّفَاقِ، وَالسُّمْعَةِ، وَالرِّبَاءِ...»<sup>(١)</sup>.

### ٣- بقیام اللیل:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقْنَطِرِينَ»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه ابن حبان (١٠٢٣) والحاكم (١٩٤٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٨٥).

(٢) رواه أبو داود (١٣٩٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٣٩).

**٤- بزيارة القبور:**

فزيارة القبور مما يزيل الغفلة، ويذهب الغشاوة عن الغافلين.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: نهى رسول الله صلوات الله عليه عن زيارة القبور، ثم قال رسول الله صلوات الله عليه بعد ذلك: «أَلَا إِنِّي قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ ثَلَاثٍ، ثُمَّ بَدَأَ لِي فِيهِنَّ: نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، ثُمَّ بَدَأَ لِي أَنَّهَا تُرِقُّ الْقَلْبَ، وَتُدْمِعُ الْعَيْنَ، وَتُذَكِّرُ الْآخِرَةَ، فَزُورُوهَا»<sup>(١)</sup>.

وكان من وصية الشيخ عبد العزيز بن باز لبعض من سأله عن الغافلين: أن يصطحبهم لزيارة القبور، وعدَّ ذلك من التعاون على البر والتقوى.

**٥- بتدبر حال الدنيا:**

لأن من تدبر حال الدنيا وجد أن مسراتها يشوبها الكدر، ولذاتها منغصة.

(١) رواه أحمد (١٣٠٧٥) وصححه الألباني.

بينما الإنسان في عز ودعة وهناء إذا بالبؤس يهجم عليه،  
وإذا بالشقاء يحل بساحته، فيصبح فقيراً بعد غنى، ذليلاً بعد  
عز.

وقد يأتيه الموت، فيخرج من الدنيا محمولاً على الأعناق،  
ثم يوسد التراب، ويترك لمصيره.

فما عيب الدنيا بأكثر من فنائها، و تقلب أحوالها، وهو أدل  
دليل على انقضائها وزوالها، فتتبدل صحتها بالسقم، ووجودها  
بالعدم، وشبيبته بالهرم، ونعيمها بالبؤس، وحياتها بالموت،  
وعمارتها بالخراب، واجتماعها بافتراق.

قالت هند بنت النعمان: (لقد رأيتنا ونحن من أعز الناس،  
وأشدهم ملكاً، ثم لم تغب الشمس حتى رأيتنا ونحن أقل  
الناس.... وسألها رجل أن تحده عن أمرها فقالت: أصبحنا  
ذا صباح وما في العرب أحد إلا يرجونا، ثم أمسينا وما في  
العرب أحد إلا يرحمنا)<sup>(١)</sup>.

(١) زاد المعاد (٤/١٧٣).



فانظر كيف كان حالهم في الصباح!! وإلى ماذا صار في المساء!! إنها عبرة وعظة فهل من معتبر؟.

ودخلت عبادة أم جعفر البرمكي على أناس في يوم عيد أضحى، تستمنحهم جلد كبش تستدفئ به، فسألوها عما كانت فيه من النعمة، فقالت: (لقد أصبحت في مثل هذا اليوم وإن على رأسي أربعمائة وصيفة، وأقول: إن ابني جعفر عاق لي)<sup>(١)</sup>.

كان هذا حالها في أحد الأعياد! وفي العيد الذي يليه أصبحت تطلب الناس جلدًا تستدفئ به.

وقال بعض الصالحين: مررت بدار من دور الكوفة غداة، فسمعت جارية تنادي من داخل الدار:

أَلَا يَا دَارُ لَا يَدْخُلُكَ حُزْنٌ  
وَلَا يَذْهَبُ بِسَاكِنِكَ الزَّمَانُ

ثم مررت بعد ذلك بالدار، فإذا الباب وقد علتة كآبة

(١) البداية والنهاية (١٠/٢١٣).

ووحشة، فقلت: ما شأنهم؟ قالوا: مات سيدهم، مات رب  
الدار.

فوقفت على باب الدار، فقرعته، وقلت: إني سمعت من  
ههنا صوت جارية تقول:

أَلَا يَا دَارُ لَا يَدْخُلِكَ حُزْنٌ  
وَلَا يَذْهَبُ بِسَاكِنِكَ الزَّمَانُ

فبكت امرأة من الدار وقالت: يا عبد الله، إن الله تعالى  
يُغَيِّرُ وَلَا يُغَيَّرُ، والموت غاية كل مخلوق.  
فرجعتُ والله من عندهم باكياً<sup>(١)</sup>.

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: وفدني أبو بكر الصديق  
رضي الله عنه في عشرة من العرب إلى اليمن، فبينما نحن ذات يوم نسير  
إذ مررنا إلى جانب قرية أعجبنا عمارتها، فقال بعض أصحابنا:  
لو ملنا إليها.

(١) الاعتبار لابن أبي الدنيا (٣٥).

فدخلنا، فإذا هي قرية من أحسن ما رأيت، وإذا قصر أبيض  
بفنايه شيب وشبان، وإذا جارية بيدها دف تضربه وتقول:

مَعَشَرَ الْحُسَّادِ مُوتُوا كَمَدًا  
كَذَا نَكُونُ مَا بَقِينَا أَبَدًا

وإذا غدير من ماء، وإذا سرج ممدود كثير المواشي والإبل  
والبقر والخيل والأفلاء، وإذا قصور مستديرة، فقلت لأصحابنا:  
لو وضعنا رحالنا، فتأخذ العيون مما ترى حظاً، وتقضي النفوس  
منه وطراً. فبينما نضع رحالنا إذ أقبل قوم من قبل القصر  
الأبيض، على أعناقهم البسط، فبسطوا لنا، ثم مالوا علينا  
بأطيب الطعام وألوان الأشربة، فاسترحنا وأرحنا، ثم نهضنا  
للرحلة، فأقبل القوم وقالوا: إن سيد هذه القرية يقرؤكم  
السلام، ويقول: اعذروني على تقصير إن كان مني، فإني مشغول  
بعرس لنا. فدعونا لهم، فعمدوا إلى ما بقي من ذلك الطعام،  
فملؤوا منه سفرنا، فقضيت سفري ورجعت.

فغبرت برهة من الدهر، ثم وفدني معاوية رضي الله عنه في عشرة  
من العرب ليس معي أحد ممن كان في الوفد، فبينما أحدثهم

بحديث القرية وأهلها إذ قال رجل منهم: أليس هذا الطريق الآخذ إليها. فانتهينا إليها؟ فإذا هي دكادك وتلول، وأما القصور فخراب ما يبين منها إلا الرسوم، وأما الغدير فليس فيه قطرة من الماء، وأما السرج فقد عفا ودثر أمره.

فبينما نحن وقوف متعجبون إذ لاح لنا شخص من ناحية القصر الأبيض، فقلت لبعض الغلمان: انطلق حتى نستبريء ذلك الشخص. فعاد مرعوباً، فقلت له: ما وراءك؟ فقال: أتيت ذلك الشخص، فإذا عجوز عمياء، فراعتني.

فلما سمعتُ حسي قالت: أسألك بالذي بَلَغَكَ سالماً إلا أخذت على عينك، ورحت حتى دخلت في التل. ثم قالت: سل عما بدا لك.

قلت: ما فعل أبوك وقومك؟ قالت: ماتوا، وبقيت بعدهم.

قلت: هل تذكرين زماناً كان لكم فيه عرس، وإذا جارية بيدها دف تضرب به وتقول:

معشر الحساد موتوا كمداً كذا نكون ما بقينا

فشهقت، واستعبرت، وقالت: والله إني لأذكر ذلك العام والشهر واليوم والعرس، كانت أختي، وأنا صاحبة الدف.

فلم تنزل تحدثنا حتى مالت، فنزعت نزعاً يسيراً وماتت<sup>(١)</sup>.

إن حب الدنيا هو الذي عمّر النار بأهلها، والزهد فيها هو الذي عمّر الجنة بأهلها.

الدنيا خمر الشيطان، من سكر منها لا يفيق إلا في عسكر الموتى نادماً بين الخاسرين.

ما أصبح أحد في الدنيا إلا ضيف، وماله عارية، فالضيف مرتحل والعارية مؤداة.

حب الدنيا رأس الخطايا؛ لأن حبها يقتضي تعظيمها وهي حقيرة عند الله، والله لعنها ومقتها، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه يقول: «أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذَكَرَ اللهُ وَمَا وَالَاهُ، أَوْ عَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا»<sup>(٢)</sup>، ومحبتها تضر بالآخرة.

(١) الاعتبار لابن أبي الدنيا (٤٧).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٢٢) وابن ماجه (٤١١٢)، وحسنه الألباني.

الدنيا والآخرة ضرّتان، إذا أرضيت إحداهما أسخّطت الأخرى ولا بُدّ.

محبة الدنيا تعترض بين العبد وبين فعل ما يعود بالنفع في الآخرة، ولذلك من الغفلة الشديدة أن يتعب الإنسان في تحصيل الدنيا، ويبني للخراب، وهو يعرف أن المصير سيكون الفناء والزوال، ما شبّهت الدنيا - كما يقول يونس بن عبد الأعلى - (إلا كرجل نام فرأى في منامه ما يجب وما يكره، فبينما هو كذلك إذ انتبه)<sup>(١)</sup>، وهذا الانتباه هو الموت.

فليحذر العبد هذه الدنيا الغرارة الخداعة، سرورها مشوب بالحزن، وصفوها مشوب بالكدر، فلو كان الخالق لم يجبر عنها خيراً ولم يضرب لها مثلاً؛ لكانت قد أيقظت النائم ونبهت الغافل، فكيف وقد بيّن لنا بأنها لاتزن عنده جناح بعوضة، أفيظن المغرور أن هذه الدنيا للبقاء؟!.

(١) عدة الصابرين (١٩٠).

## ٦- بذكر الجنة والنار:

فالجنة دار لا يموت سكانها، ولا يخرب بناؤها، ولا يهرم شبابها، ولا يتغير حسنها وإحسانها.

هواؤها النسيم، وشرابها مزاجه من تسنيم.

يتقلب أهلها في رحمة أرحم الراحمين، ويتمتعون بالنظر إلى وجهه في كل حين، دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

في نعيم الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

هذه الجنة أعدها الله تعالى لأهل طاعته، متكئين على سرر مصفوفة، ويسقون من رحيم مختوم، تعرف في وجوههم نضرة النعيم.

ماذا يشربون؟

يشربون من ماء وخرم ولبن وعسل.

خرمهم لا كخمر الدنيا، بيضاء لذة للشاربين.

بأي شيء محفوظون؟

بالغلمان والولدان المخلدون.

من أزواجهم؟.

الخور العين، كأنهن الياقوت والمرجان، ولم يطمثن إنس  
قبلهم ولا جان، آمنات من الهرم، مقصورات في الخيام.

من الذي يدخل عليهم؟.

الملائكة، يدخلون عليهم طيبين من كل باب، فيسلمون  
عليهم.

وكيف يُقَدَّرُ قدر دار خلقها الله بيده، وجعلها مقراً  
لأحبابه، وملاًها من رحمته وكرامته، ووصف نعيمها بالفوز  
العظيم، وملكها بالملك الكبير، وطهرها من كل عيب؟!.

إن سألت عن أرضها فهو المسك والزعفران، وإن سألت  
عن سقفها فهو عرش الرحمن، وإن سألت عن حصبتها فهو  
اللؤلؤ والجواهر، وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة  
من ذهب، وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها  
من ذهب، وإن سألت عن ثمارها فهي ألين من الزبد وأحلى  
من العسل، وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق  
الحلل، وهكذا أنهارها لم تتغير، ونساؤها مطهرات.



جمع الله تعالى لأهلها بين نعيم البدن ونعيم النفس، فنفوسهم  
منعمة، وأبدانهم منعمة، وهم في هذا النعيم المقيم لا يشيبون  
ولا يهرمون.

فالتأمل في نعيم الجنة يطرد الغفلة.

وكذلك تأمل ما أعدّ الله من العذاب والنكال لأهل النار  
يطرد الغفلة.

فالصخرة العظيمة تلقى من شفير جهنم تهوي فيها سبعين  
خريفاً!

وليتأمل العبد حال أهل النار الذين شدت أقدامهم إلى  
النواصي، واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي، ينادون من  
أكنافها، ويصيحون في نواحيها: يا مالك قد حق علينا الوعيد،  
يا مالك قد نضجت منا الجلود، يا مالك أخرجنا منها فإننا لا  
نعود.

فيقال لهم: هيهات هيهات، لا خروج لكم من دار الهوان،  
فاخسروا فيها ولا تكلمون.

فعند ذلك يقنطون، وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون،  
لا ينجيهم الندم، ولا يغنيهم الأسف، بل يكبهم في النار،

فيهتفون بالويل والعويل، ومهما دعوا بالثبور يصب من فوق رؤوسهم الحميم، يصهر به ما في بطونهم والجلود، ولهم مقامع من حديد.

تنقطع من العطش أكبادهم، وتسيل على الحدود أحداقهم، وتسقط من الوجنات لحومها، وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون.

ترمي النار بشرر كالقصر، حجم الشرار منها كالقصر الكبير، فكيف بطرف اللهب؟! فكيف باللهب نفسه?!.

هذه النار سبعون ضعفاً من نار الدنيا، يتجرع الكافر ما فيها ولا يكاد يسيغه، يتمنى الموت ويأتيه من كل مكان وما هو بميت، سراييلهم من قطران وتغشى وجوههم النار.

لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل.

وغير هذا العذاب الجسدي فهناك عذاب معنوي، فكلما دخلت أمة لعنت أختها.

وتلومهم الملائكة على تقصيرهم وتفريطهم في الحياة الدنيا.

## الخاتمة

قال ابن القيم: (إن مجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين، فليتحير العبد أعجبهما إليه، وأولاهما به، فهو مع أهله في الدنيا والآخرة)<sup>(١)</sup>.

إن زماننا هذا هو زمن الغفلة، وإذا أردت أن تتأكد من هذا فسر في أرض الله وتأمل فيها وفي ساكنيها ماذا عساك أن ترى؟.

سترى أمامك محلات للألعاب، وملاهي، ودكاكين متخصصة في القنوات الفضائية والترفيه.. إلخ.

ثم بعد ذلك قارن بينها وبين أماكن العبادة، وحلقات العلم. وسترى أن ما يلهمي عن الله والدار الآخرة أكثر بكثير.

والذي يضحي ويترك أماكن اللهو والغفلة ويجالس الصالحين في بيوت الله وحلقات العلم سيكرمه ربه بالجزاء

(١) الوابل الصيب (٦٥).

العظيم بسبب هذه التضحية؛ لأنه كلما كثرت الجواذب والمغريات وقاومها الإنسان كان أجره أكبر، ولذلك كان أجر الصالحين في آخر الزمان أكثر بسبب أنهم يقاومون المغريات والفتن المتنوعة.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيذنا من الغفلة وأسبابها وسبلها، وأن يعيذنا من خاتمة السوء، وأن يرزقنا ذكره وشكره، وأن يعيننا على حسن عبادته، إنه سميع مجيب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

محمد صالح المنجد

## اختبر فهمك

بين يديك مستويين من الأسئلة، أسئلة مباشرة وأخرى تحتاج منك إلى تأمل وإمعان نظر.

### أسئلة المستوى الأول المباشرة:

- ١ - اذكر تعريف الغفلة لغة واصطلاحاً.
- ٢ - ما هي أنواع الغفلة؟.
- ٣ - للغفلة المذمومة ثلاثة أقسام، فما هي؟.
- ٤ - ما هي أسباب الغفلة؟.

### أسئلة المستوى الثاني الاستنباطية:

- ١ - مما يغفل عنه الناس (إعمال النية)، وضح ذلك .
- ٢ - جاء في ثنايا الكتاب مقولة طفل لأمه (اتركيني أَلعب ولن أدخل الكنيسة مرة أخرى)، فما مناسبة هذا القول؟.
- ٣ - بماذا يعاقب الغافل في الدنيا؟.

٤- بماذا يعاقب الغافل في الآخرة؟.

٥- ما هو أقوى علاج للغفلة؟.

## المحتويات

٥	.....	مقدمة
٧	.....	تعريف الغفلة
٨	.....	الموقف الشرعي من الغفلة
١٠	.....	أنواع الغفلة
١١	.....	أقسام الغفلة المذمومة
١٣	.....	أسباب الغفلة
٢٤	.....	نماذج مما يغفل عنه الناس
٣٧	.....	عقوبات الغفلة
٤٤	.....	علاج الغفلة
٥٨	.....	الخاتمة
٦٠	.....	اختبر فهمك
٦٢	.....	المحتويات

سلسلة أعمال القلوب (٤)

الشهوة



ح) مجموعة زاد للنشر ١٤٣٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المنجد ، محمد صالح

الشهوة، محمد صالح المنجد - الخبر - ١٤٣٠ هـ

٦٤ ص ، ١٧×١٢ سم

ردمك : ٣-٢٨١٥-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- الأخلاق الإسلامية ٢- الإسلام والعقيدة أ. العنوان

ديوي : ٢١٣ ١٤٣٠/٤٠٣٥

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



للنشر

المملكة العربية السعودية

الخبر - هـ: ٨٦٥٥٣٥٥

جدة - هـ: ٦٩٢٩٢٤٢

ص.ب: ١٢٦٢٧١ جدة: ٢١٣٥٢

[www.zadgroup.net](http://www.zadgroup.net)

مخارص المنيح

سلسلة أعمال القلوب (٤)

الشهوة



١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد،  
وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فالحديث عن الشهوة وما يعترئها من أحوال مطلب ملح  
لكل مسلم ومسلمة، لاسيما في هذا العصر الذي كثرت فيه  
مثيراتها، وغلب تأثيرها.

فما الشهوة؟

ولماذا خلقت؟

وما أسباب الوقوع في الشهوة المحرمة؟

وما علاج الشهوة المحرمة؟

هذا ما ستطرق إليه في ثنايا هذا الكتاب، مع الشكر والدعاء  
بالتوفيق لكل من ساهم في إعداد هذه المادة وإخراجها.

اللهم اغننا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك،  
وبفضلك عن سواك.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

محمد صالح المنجد



## تعريف الشهوة

### الشهوة لغة:

قال ابن فارس: (الشين والهاء والحرف المعتل كلمة واحدة، وهي الشهوة، يقال رجل شهوان، وشيءٌ شهوي) <sup>(١)</sup>.  
وقال الفيروز أبادي: (شهوي الشيء وشهاه يشهاه شهوةً واشتهاه وتشهاه أحبه ورغب فيه) <sup>(٢)</sup>.

### الشهوة اصطلاحاً:

للشهوة عدة معانٍ أبرزها ما يلي:  
هي فطرة غريزية جسدية جبل الله عليها عباده؛ لتحقيق غايات نبيلة وأهداف سامية.  
هي شعور الرجل والمرأة بالرغبة في المعاشرة.  
هي اشتياق النفس إلى الشيء.

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/ ١٧١).

(٢) لسان العرب (١٤/ ٤٤٥).

## لماذا خلقت الشهوة؟

قال ابن تيمية: (إن الله خلق فينا الشهوات واللذات لنستعين بها على كمال مصالحنا، فخلق فينا شهوة الأكل واللذة به، فإن ذلك في نفسه نعمة، وبه يحصل بقاء جسمنا في الدنيا، وكذلك شهوة النكاح واللذة به هو في نفسه نعمة، وبه يحصل بقاء النسل، فإذا استعين بهذه القوى على ما أمرنا كان ذلك سعادة لنا في الدنيا والآخرة، وكنا من الذين أنعم الله عليهم نعمةً مطلقة، وإن استعملنا الشهوات فيما حظره علينا بأكل الخبائث في نفسها، أو كسبها كالمظالم، أو بالإسراف فيها، أو تعدينا أزواجنا، أو ما ملكت أيماننا، كنا ظالمين معتدين غير شاكرين لنعمته)<sup>(١)</sup>.

فالشهوة إذن ليست مذمومة في حد ذاتها، ولكنها بحسب ما تستعمل فيه، فإن استعملت فيما ينفع وما أبيض فهي خيرٌ لصاحبها، وإلا فلا.

وفي هذا حكمة عظيمة، فبدونها لن تتحرك النفس لكسب

(١) الاستقامة (١/ ٣٤١-٣٤٢).

الولد، ولن تتحقق كثير من مقاصد الشارع جلّ وعلا، فاقتضت  
حكمة اللطيف الخبير أن جعل فينا بواعث ومستحثات تثيرها  
لما فيه قوامنا وبقاؤنا ومصالحتنا، وإلا لكان في استدعاء الشهوة  
قسراً كلفة عظيمة، قد تكون سبباً في الهلاك والشقاء.

ومن سنن الله في خلقه ابتلاؤهم بما شاء لحكم وغايات  
نييلة، ومن ذلك ابتلاؤهم بالشهوة؛ ليميز الله المطيع من العاصي،  
والخبيث من الطيب.

قال مالك بن دينار: (من غَلَبَ شهوة الحياة الدنيا فذلك  
الذي يَفَرِّقُ الشيطان من ظله) <sup>(١)</sup>.

وقال الحسن البصري:

رُبَّ مَسْتُوْرٍ سَبَّهْهُ شَهْوَةٌ

فَتَعَرَّى سِتْرَهُ فَأَنْهَكَ

صَاحِبُ الشَّهْوَةِ عَبْدٌ فَإِذَا

غَلَبَ الشَّهْوَةَ أَضْحَى مَلِكًا <sup>(٢)</sup>

(١) حلية الأولياء (٢/ ٣٦٥)، ذم الهوى (٢٢).

(٢) روضة المحبين (٤٨٤)، ذم الهوى (٣٤).



وشهوة النساء من أعظم شهوات الدنيا، ولذا قدمها الله تعالى على غيرها من الشهوات؛ لعظم فتنتها، وقوة تأثيرها على الفرد والمجتمع، قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴾ [آل عمران: ١٤].

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه عن النبي صلَّى الله عليه وآله قال: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلَّى الله عليه وآله قال: «اتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه البخاري (٥٠٩٦) ومسلم (٢٧٤٠).

(٢) رواه مسلم (٢٧٤٢).

## أسباب الوقوع في الشهوة المحرمة

### أولاً: ضعف الإيمان:

الإيمان سلاح المؤمن، وهو الحصن الحصين الذي يقي من الوقوع في مهاوي الرذيلة، وحينما يتعد الإنسان عن الطاعات يضعف إيمانه ويتجرأ على الوقوع في المعصية، ولذلك قال بعضهم: (ثلاثة من أعلام التقوى: ترك الشهوة المذمومة مع الاستمكان منها، والوفاء بالصالحات مع نفور النفس منها، وردّ الأمانات إلى أهلها مع الحاجة إليها)<sup>(١)</sup>، فهذه الأشياء الثلاثة فعلها يدل على أن في قلب فاعلها إيماناً ودينياً عظيماً؛ لأنه يجد الحرام أمامه لكنه يتركه لله، ويرغم نفسه على العبادة والطاعة مع نفور النفس منها، ويرد الأمانات إلى أهلها مع الحاجة إليها.

(١) حلية الأولياء (٩/٣٩٣).

## ثانياً: الرفقة السيئة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»<sup>(١)</sup>.

كثير من المعاصي التي يقع فيها الإنسان يكون الدافع لها هو صديق السوء.

يقول شاب عمره سبعة عشر عاماً عن بداية وقوعه في المعصية: (أول مرة شاهدت فيها فيلماً محرماً كان عند زيارتي لأحد أصدقائي، وعندما كنا في غرفته، أخرج فيلماً وقام بتشغيله، فشاهدته معه، وكانت هذه البداية).

فالله تعالى حرم البذاءة ومنع من الفحش فقال: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾  
[النساء: ١٤٨].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَدِيِّ»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه أبو داود (٤٨٣٣) والترمذي (٢٣٧٨)، وحسنه الألباني.

(٢) رواه الترمذي (١٩٧٧)، وصححه الألباني.

**ثالثاً: إطلاق النظر:**

النظر سهم مسموم من سهام إبليس، وقد حذر الله عباده المؤمنين منه فقال: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

**رابعاً: الفراغ القاتل:**

إن فراغ الشباب يقودهم إلى التفكير في الحرام، ويطلق عنان خيالهم للتخطيط له، حتى يصبح هماً من همومهم، ويبدأون بممارسة العادة السيئة ونحوها من المهلكات. والنفس إن لم تُشغَل بالطاعة شُغِلت بالمعصية.

وقد بين النبي ﷺ ذلك، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُورٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ، وَالْفَرَاعُ»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه البخاري (٦٤١٢).

فالفراغ مصيبة عظيمة، ومفسدة للنفس إن لم يستغل بالمفيد والنافع.

### خامساً: التساهل في الحرام:

التساهل في النظر إلى النساء ومخالطتهن كثيراً ما يؤدي إلى وقوع المرء في الفاحشة، مع أنه لم يكن يقصدها في البداية، ولكن التساهل في الحرام الأقل حرمة يؤدي إلى الحرام الأكثر حرمة.

فكم من أهل بيت تساهلوا في ترك الخادمة مع الشاب حتى عضوا أصابع الندم بعد ذلك!.

وكم من فتاة تركها أهلها منفردة مع السائق حتى أدى الأمر إلى ما لا تحمد عقباه!.

ونحو ذلك من التساهلات التي تجر إلى كثير من البلايا والموبقات.

### سادساً: القرب من مثيرات الشهوة:

إن من أسباب الوقوع في الحرام القرب من مثيرات الشهوة،

ولأجل ذلك فإن الشارع حذر من الجلوس في الطرقات؛ لأنها مظنة أن يرى الإنسان فيها ما يثير شهوته.

عن أبي سعيد الخدري رضي عنه عن النبي صلّى الله عليه وآله قال: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطَّرِيقَاتِ». فقالوا يا رسول الله: ما لنا بُدٌّ، من مجالسنا نتحدث فيها. قال: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ». قالوا: وما حقه؟ قال: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ»<sup>(١)</sup>.

وحتى في أماكن العبادة والذكر فإن الشارع جعل صفوف النساء منفصلة عن صفوف الرجال، وأمر بتخصيص باب للنساء، وكان يتأخر صلّى الله عليه وآله عن الانفتال للناس حتى ينصرف النساء؛ كل هذا ابتعاداً عن مثيرات الشهوة.

ومن المثيرات أيضاً: الموسيقى والأغاني، والأماكن المختلطة بالمطاعم والملاهي، والقنوات الفضائية الهابطة، ومواقع الشبكة العنكبوتية التي تنشر الرذيلة، والمجلات التي تحتوي على الصور الماجنة.

(١) رواه البخاري (٢٤٦٥) ومسلم (٢١٢١) واللفظ لمسلم.

## كيف تتعامل مع الشهوة؟

إذا عرضت الشهوة للمسلم، وتزين له الحرام بأنواع الزينة، وسهلت عليه الأمور، وتهيات له الظروف، فكيف يتعامل مع هذه الحالة؟!.

هناك ثلاث قواعد تعين المسلم على تجاوز هذه المحنة، وتساعده على التخلص من هذا المأزق، وهي:

### أولاً: قل معاذ الله:

الإيمان بالله والخوف منه صمام الأمان، وهو العاصم للعبد من مواجهة الحرام، والانسحاق وراء الشهوات.

(معاذ الله) قالها يوسف عليه السلام فأعاده الله، وصرف عنه كيد النسوة، ويقولها بعض من يستظل بظل العرش يوم لا ظل إلا ظل عرش الرحمن، عن أبي هريرة رضي عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، وَمِنْهُمْ... وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١).

قال ابن حجر: (والظاهر أنه يقول ذلك بلسانه ليزجرها عن الفاحشة، ويحتمل أن يقولها بقلبه)<sup>(١)</sup>، ومواطة القلب واللسان في هذه الحال شيء عظيم، وأثره كبير، ولا تصدر مثل هذه الكلمة (معاذ الله، إني أخاف الله) في مثل ذلك الموطن إلا من عبد راقب الله، وجعل سره وعلايته سواء، فخاف الله في السر كما يخافه في العلن.

والمؤمن إذا تربى على مراقبة الله ومطالعة آثار أسمائه في الواقع فإنه سيثبت أمام الشهوات، وسينجو من مزالقتها، ومن ثمَّ يفوز بالجنة التي أزلفت لمن خشي الرحمن بالغيب: ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِّلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۚ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۚ ﴿٣٢﴾ مَن خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۚ ﴿٣٣﴾ [ق: ٣١-٣٣]. أي: يخشى الرحمن إذا غاب عن أعين الناظرين.

وَإِذَا خَلُوتَ بِرَبِيَّةٍ فِي ظُلْمَةٍ وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إِلَى الطُّغْيَانِ فَاسْتَحِ مِنْ نَظَرِ الْإِلَهِ وَقُلْ لَهَا إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظَّلَامَ يَرَانِي<sup>(٢)</sup>

(١) فتح الباري (٢/ ١٤٥-١٤٦).

(٢) نونية القحطاني (٢٥).



وقال الشافعي:

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ  
خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبٌ  
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهُ يَغْفَلُ سَاعَةً  
وَلَا أَنْ مَا تُخْفِي عَلَيْهِ يَغِيبُ<sup>(١)</sup>

المؤمن إذا تربى على مثل هذه المعاني وعمل بمقتضاها فإنه يصبح ذا خلق سوي، وينشأ تقياً لا تستهويه مادة، ولا تستعبده شهوة، ولا يتسلط عليه شيطان، ولا تعمل النفس الأمارة بالسوء عملها في نفسه، بل إنه يصبح إذا دعت الشهوة المحرمة قائلاً: إني أخاف الله معاذ الله، وإذا وسوس إليه الشيطان قال له: ليس لك علي سلطان.

وإذا زين له قرناء السوء طريق الفاحشة والمنكر أسكتهم بقوله: لا أبتغي الجاهلين، العبد الذي يتربى على هذا حقيق بأن تؤثر فيه كلمة (اتق الله) إن قارب الحرام يوماً.

وتأمل في حال ذلك الرجل، وهو أحد الثلاثة الذين نجاهم

(١) شعب الإيمان (٥/٤٦١).

الله من الغار عندما انطبقت عليهم الصخرة؛ بسبب أعمال  
صالحة كانت لهم، يقول: «اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمِّ كَانَتْ أَحَبَّ  
النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَأَمْتَنَعَتْ مِنِّي، حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا  
سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي، فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى  
أَنْ تُحَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ، حَتَّى إِذَا قَدِرْتُ عَلَيْهَا  
قَالَتْ: لَا أَحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْحَاتِمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، -وفي رواية:  
اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفُضَّ الْحَاتِمَ إِلَّا بِحَقِّهِ- فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ  
عَلَيْهَا، فَانصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ  
الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجِهَكَ  
فَأَفْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ. فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ»<sup>(١)</sup>.

فتأمل حال هذا العبد كيف قارب الحرام هذه المقاربة، وقعد  
من حبيته مقعد الرجل من امرأته، وقدر عليها، فزال عن ذلك  
الموقع بكلمة (اتق الله)، وقام عنها وهي أحب الناس إليه!  
إنه الإيمان الصادق بالله تعالى، الذي يثمر لصاحبه خشية  
الله ومراقبته في الغيب والشهادة.

(١) رواه البخاري (٢٢٧٢).

### القاعدة الثانية: احذر خائنة الأعين:

قال الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]، قال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى خائنة الأعين: (هو الرجل يدخل على أهل البيت بيتهم وفيهم المرأة الحسنة، أو تمر به وبهم المرأة الحسنة، فإذا غفلوا لحظ إليها، فإذا فطنوا غض بصره عنها، فإذا غفلوا لحظ، فإذا فطنوا غض) <sup>(١)</sup>.

وقال سفيان: (الرجل يكون في المجلس يسترق النظر إلى المرأة تمر بهم، فإن رآوه ينظر إليها اتقاهم فلم ينظر، وإن غفلوا نظر، هذه خائنة الأعين، ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ ما يجد في نفسه من الشهوة) <sup>(٢)</sup>.

وليعلم العبد أنه موقوف بين يدي الله، وسيسأله عن عمله. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] فهو مسئول عن هذه النظرة، والتي هي سهم مسموم من سهام إبليس، وهي رائد الشهوة.

(١) تفسير ابن كثير (٧/١٣٧).

(٢) حلية الأولياء (٧/٧٨).

ولذلك كان الربط بين أول خطوات الحرام وآخرها في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

فأمر الله المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم، ولا ينظروا إلا لما أباح لهم، فإذا اتفق أن وقع البصر على محرم من غير قصد فليصرف بصره عنه سريعاً.

### لماذا قدم غض البصر على حفظ الفرج؟

السر في تقديم غض البصر على حفظ الفرج: (لأن النظر بريد الزنا، ورائد الفجور)<sup>(١)</sup>.

يقول ابن القيم: (والنظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان؛ فإن النظرة تولد الخطرة، ثم تولد الخطرة فكرة، ثم تولد الفكرة شهوة، ثم تولد الشهوة إرادة، ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة، فيقع الفعل ولا بد، ما لم يمنع منه مانع، وفي هذا قيل: الصبر على غض البصر أيسر من الصبر على ألم ما بعده.

(١) روح المعاني للألوسي (١٨/١٣٩)، تفسير النسفي (٣/١٤٣).

ولهذا قال الشاعر:

كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنَ النَّظَرِ  
 وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرْرِ  
 كَمْ نَظْرَةٌ بَلَغَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا  
 كَمَا بَلَغَ السَّهْمُ بَيْنَ الْقَوْسِ وَالْوَتْرِ  
 وَالْعَبْدُ مَا دَامَ ذَا طَرْفٍ يُقَلِّبُهُ  
 فِي أَعْيُنِ الْغَيْدِ مَوْقُوفٌ عَلَى الْخَطْرِ  
 يَسُرُّ مُقَلَّتَهُ مَا ضَرَّ مُهْجَتَهُ  
 لَا مَرَحَبًا بِسُرُورٍ عَادَ بِالضَّرِّ

ومن آفاته: أنه يورث الحسرات والزفريات، فيرى العبد ما ليس قادراً عليه ولا صابراً عنه<sup>(١)</sup>.

فهؤلاء الذين يذهبون إلى الأسواق ويرون النساء وهنّ متبرجات؛ تتقطع قلوبهم حسرة وألماً وكمداً.

وقد يقول قائل: إنّ أكثر هذه النظرات لا تنتهي بالزنا، ولا يذهب معها للحرام!.

(١) الجواب الكافي (١٠٦).

ولكننا نقول: إن هذه النظرات تنتهي بحسرة وألم؛ لأنه يرى أمامه فتناً لا يمكنه الوصول إليها، فيبقى متحسراً متألماً، وربما حاول ففشل، فيبقى متحيراً متأوهاً.

ثم قال ابن القيم: (وهذا من أعظم العذاب، أن ترى ما لا صبر لك عنه ولا عن بعضه، ولا قدرة لك عليه، قال الشاعر:

وَكُنْتُ مَتَى أُرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِدًا  
لِقَلْبِكَ يَوْمًا أَتَعَبْتَكَ الْمَنَاطِرُ  
رَأَيْتَ الَّذِي لَا كُلَّهُ أَنْتَ قَادِرٌ  
عَلَيْهِ وَلَا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرٌ

وكم من مرسل لحظاته فما أقلعت إلا وهو يتشحط بينهن فتيلاً، كما قيل:

يَا نَاظِرًا مَا أَقْلَعْتَ حَظَاتُهُ  
حَتَّى تَشْحَطَ بَيْنَهُنَّ قَتِيلًا

وأعجب من ذلك أن النظرة تجرح القلب جرحاً، فيتبعها بجرح على جرح، ثم لا يمنعه ألم الجراح من استدعاء تكرارها.

مَا زِلْتُ تُتْبَعُ نَظْرَةً فِي نَظْرَةٍ  
فِي إِثْرِ كُلِّ مَلِيحَةٍ وَمَلِيحٍ

وَتَظُنُّ ذَاكَ دَوَاءَ جُرْحِكَ وَهُوَ فِي التَّحْقِيقِ مَجْرِيحٌ عَلَى مَجْرِيحٍ  
فَدَبَّحَتْ طَرْفَكَ بِاللِّحَاطِ وَالْبُكَا  
فَالْقَلْبُ مِنْكَ ذَبِيحٌ أَيُّ ذَبِيحٍ

وقد قيل: إن حبس اللحظات أيسر من دوام الحسرات<sup>(١)</sup>.  
إنَّ حال من ينظر للحرام كحال الذي يشرب من ماء البحر،  
أتراه يرتوي؟ كلا، بل لا يزداد بالشرب إلا عطشاً، ولا تزيد  
بالنظر شهوته إلا تهيجاً.

وتأمل في هذا الحديث الذي ربط بين خيانة العين والوقوع  
في الفواحش: عن أبي هريرة رضي عنه عن النبي صلَّى الله عليه وآله قال: «إِنَّ اللَّهَ  
كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزَّانَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَرِزْنَا الْعَيْنَ  
النَّظْرَ، وَزَيْنَا اللِّسَانَ الْمَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ  
يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ أَوْ يُكَذِّبُهُ»<sup>(٢)</sup>.

وتأمل مدى قبح هذه النظرة الحرام حتى وصفت بالزنا،  
فلا شك أن نفس المؤمن تنفر من ذلك.

(١) الجواب الكافي (١٠٦-١٠٧).

(٢) رواه البخاري (٦٢٤٣) ومسلم (٢٦٥٧).

يقول ابن الجوزي: (فاحذر يا أخي - وفقك الله - من شر النظر، فكم قد أهلك من عابد!، وفسخ عزم زاهد! فاحذر من النظر فإنه سبب الآفات، غير أن علاجه في بدايته قريب، فإذا كُرِّرَ تمكن الشر فصعب علاجه)<sup>(١)</sup>.

إن النظرة كأس مسكر، وسكره العشق، وسكر العشق أعظم من سكر الخمر؛ لأن سكران الخمر يفيق، وسكران العشق أتى يُففيق.

والنظر والشهوة يقودان إلى العشق، وهذا مرض آخر خطير جداً من مفسدات القلوب، فاحذر هذا السهم لأنه إن لم يقتلك جرحك، وإذا تكاثرت الجروح تحقق الهلاك.

### نظر الفجأة:

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجأة؟ فأمرني أن أصرف بصري<sup>(٢)</sup>.

والفجأة: أن يقع بصره على الأجنبية بغتة من غير قصد<sup>(٣)</sup>.

(١) ذم الهوى (٩٤).

(٢) رواه مسلم (٢١٥٩).

(٣) تحفة الأحوذى (٤٩/٨).



وحكم هذا النظر أنه لا إثم عليه في أول الأمر، ولكن يجب أن يصرف بصره في الحال، وإلا ركبه الإثم حال إدامته للنظر<sup>(١)</sup>، عن ابن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه لعلي رضي الله عنه: «يَا عَلِيُّ، لَا تُتَّبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ؛ فَإِنَّ لَكَ الْأُولَىٰ وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ»<sup>(٢)</sup>.

أي: لا تعقبا إياها، ولا تجعلها أخرى بعد الأولى، فإن لك النظرة الأولى إذا كانت من غير قصد، وليست لك الآخرة لأنها تمت باختيارك.

وبهذا يظهر لك فساد قول بعض المازلين الذين يقولون بجواز استدامة النظرة الأولى ما لم تغمض العين.

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَنَّمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْأَلْيَدِ تَثْمَ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ٤٦] فالبصر نعمة من الرب، ينبغي على العبد أن يخشى عليه أن يذهب الله بسبب معاصيه.

(١) تحفة الأحوذى (٨/ ٤٩).

(٢) رواه أبو داود (٢١٤٩) والترمذي (٢٧٧٧) وحسنه.

## ولغض البصر عن الحرام فوائد كثيرة، منها:

- ١- امتثال أوامر الرب وفي ذلك سعادة وأجر.
- ٢- سلامة القلب من أثر السهم المسموم.
- ٣- يورث القلب أنساً بالله واجتماعاً عليه، ولا يجد ذلك من أطلقه في الحرام؛ لأن قلبه يتشتت، فلا يمكن أن يجتمع على الله ومحبته.
- ٤- يقوي القلب ويفرحه، كما أن إطلاق البصر يضعفه ويجزئه.
- ٥- يُكسب القلب نوراً، كما أن إطلاق البصر يكسبه ظلمةً.
- ٦- يورث العبد بصيرة وفراصة صادقة يميز بها بين الحق والباطل، والصدق والكذب، وهذا يفيد في سائر تعاملاته مع الناس، ويعينه على اتخاذ القرارات السديدة، والمواقف الرائدة.
- ٧- يورث القلب شجاعة وثباتاً، فيجمع الله له بين سلطان البصيرة والحجة، وسلطان القدرة والقوة.
- ٨- يسد على الشيطان مدخلاً؛ لأن النظر بوابة القلب الكبرى.
- ٩- يفرغ القلب للفكرة الصالحة والاشتغال بها؛ لأن الواحد إذا صار قلبه مشغولاً بصور النساء والمردان والعشق فكيف

يتدبر في آية؟ وكيف يفهم استنباطاً من حديث؟ وكيف يفقه قولاً من أقوال الفقهاء؟ وكيف يتفكر في السماوات والأرض؟.

١٠- صلاح القلب لأن العين والقلب بينهما منفذ وطريق متصل يوجب انفعال أحدهما بالآخر، وتأثر هذا بهذا، فيصلح بصلاحه ويفسد بفساده، فإذا صلحت منظورات العبد صلح قلبه، وإن فسدت فسد قلبه؛ لذلك قال صلى الله عليه وسلم: «اضْمَنْوْا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا أَوْثَمْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكَفُّوا أَيْدِيَكُمْ»<sup>(١)</sup>.

### القاعدة الثالثة: دافع الخطرة:

إن الخواطر السيئة تمرض القلب، ومتى انساق العبد معها ولم يدافعها تطورت وصارت فكرة، فهمم، فإرادة، فعزيمة، فإقدام، ففعل وارتكاب للحرام... فحذار من الاسترسال مع الخطرات. الخطرات شأنها صعب، فمبدأ الخير والشر خاطرة، فإذا

(١) رواه الإمام أحمد (٢٢٢٥١)، وحسنه الألباني.

دافعت الخاطرة من أول الطريق ملكت زمام نفسك وقهرت هواك، وإذا غلبتك خواطر الحرام فإنك ستنتزلق في الهاوية.

ولا تزال الخواطر تتردد على القلب حتى يشربها، فإذا تشربها صارت مُنَى باطلة ﴿كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُوفِّئَهُ حِسَابَهُ﴾ [النور: ٣٩].

وأردأُ الناس هَمَّةً من رضي بالأمانى الكاذبة وتحلى بها؛ لأنها رؤوس أموال المفاليس، وهي رأس مال البطالين، وأضر شيء على الإنسان لأنها تنبت العجز والكسل والتفريط.

ومتى ما استرسل العبد مع الخواطر وقع في الحرام، وليس هناك علاج بعد ذلك إلا استفراغ الخبث من النفس بالتوبة النصوح.

ولو تأمل العبد بين لذة الذنب ولذة العفة، وبين لذة الذنب ولذة القوة وقهر العدو، وبين لذة الذنب ولذة إرغام الشيطان ورده خاسئاً؛ لاختار ما يكون سبباً لصلاح ظاهره وباطنه.

واعلم أن النفس لها خواطر رحمانية من الرحمن، وخواطر شيطانية من الشيطان، وخواطر نفسانية من النفس.

والنفس أمانة بالسوء، ليس من شيء عملي إلا ويسبقه شيء نظري، فلا تصدق أن شيئاً عملياً حصل في الواقع فجأة دون مقدمات نظرية في النفس وفي العقل وفي الذهن وفي القلب، لا بد أن يكون هناك تصورات مسبقة.

وكلما كان الإصلاح في مرحلة مبكرة كانت القضية أهون وأسهل، وكلما بادر الإنسان كان الإصلاح أسرع.

والإنسان لا يمكن أن يميت خواطره؛ لأن الخواطر تهجم هجوماً على الإنسان ولا يمكنه أن يتحكم فيها.

والشيطان كان يوقع في نفوس بعض الصحابة أشياء سيئة جداً عن الله تعالى، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء ناس من أصحاب النبي صلوات الله وسلامته عليه فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به. قال: «وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟». قالوا: نعم. قال: «ذَٰكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ»<sup>(١)</sup>.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي صلوات الله وسلامته عليه

(١) رواه مسلم (١٣٢).

فقال: يا رسول الله، إن أحدنا يجد في نفسه يُعَرِّضُ بالشيء لأن يكون حممة أحب إليه من أن يتكلم به. فقال: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الحمد لله الذي ردَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسةِ»<sup>(١)</sup>.

أي: الحمد لله أنه ما استطاع الشيطان أن يأخذ منكم وينال إلا هذه الخاطرة والوسوسة التي أنتم تكرهونها، فكراهيتكم لها تدل على إيمانكم الصريح.

وهذه الخواطر لا بد أن تعالج، فكيف يفعل المسلم إذا هجمت عليه؟.

- ١ - يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم.
- ٢ - يحاول أن يستبدل الخواطر الشيطانية بخواطر إيمانية؛ لأن النفس مثل الرحى لأبَدَّ لها من شيء تطحنه، فمن جعل في رحاه حباً خرج الطحن دقيقاً، ومن جعل في رحاه رملاً وتبناً خرج الناتج كذلك.

(١) رواه أبو داود (٥١١٢)، وصححه شعيب الأرنؤوط.

ومن الخواطر الطيبة التي تفيد في طرد الخواطر الشيطانية:

- التفكير في عظمة الله **عَجَلِكُ**، وفي خلق السماوات والأرض.
- العلم الشرعي، وهو من أعظم ما يشغل الإنسان به نفسه، وهناك من العلماء من لا يجد وقتاً للحرام لأن باله كله مشغول بالعلم الشرعي، ومشغول في حل مشكلات المسلمين.
- التفكير في الآخرة وأهوالها، كالموت، والقبر، والحوض، والشفاعة، والميزان، والصراط، والجنة، والنار.
- التفكير في الكسب الحلال، كالتجارة، والوظيفة، واستثمار أوقات الفراغ في شيء يعود عليه بالنفع الدنيوي الحلال.

قال ابن القيم:

(وجماع إصلاح ذلك أن تشغل فكرك في باب العلوم والتصورات بمعرفة ما يلزمك: التوحيد وحقوقه، وفي الموت وما بعده إلى الدخول إلى الجنة أو النار، وفي آفات الأعمال وطرق التحرز منها، وفي باب الإيرادات والعزوم أن تشغل نفسك بإرادة ما ينفعك إرادته، وطرح إرادة ما يضرك إرادته،

وعند العارفين: أن تمنى الخيانة وإشغال الفكر والقلب بها أضرم على القلب من نفس الخيانة<sup>(١)</sup>.

فما دامت القضية تبدأ بالخواطر، والخاصة تتحول إلى إرادة فعزيمة فَهَمُّ، فلا بد من إشغال النفس في كل مرحلة من هذه المراحل، وليس فقط في مرحلة الخواطر، فعلينا معالجة الخواطر وما بعدها.

قال ابن القيم:

(دافع الخطرة، فإن لم تفعل صارت فكرة فدافع الفكرة، فإن لم تفعل صارت شهوة فحاربها، فإن لم تفعل صارت عزيمة وهمة، فإن لم تدافعها صارت فعلاً، فإن لم تتداركه بضده صار عادة، فيصعب عليك الانتقال عنها)<sup>(٢)</sup>.

ومن المعلوم أن إصلاح الخواطر أسهل من إصلاح الأفكار، وإصلاح الأفكار أسهل من إصلاح الإرادات، وإصلاح الإرادات أسهل من تدارك فساد العمل، وتداركه أسهل من قطع العوائد.

(١) الفوائد (١٧٦).

(٢) الفوائد (٣١).



فإن قلت: ما الذي يُعينني على طرد هذه الوسوس وعدم الاسترسال معها؟

نقول: يعين على ذلك أمور، يترتب بعضها على بعض:

١- الإيثار والعلم الجازم أن الرب مطلع على ما في الخواطر

﴿يَعْلَمُ خَائِبَةً الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]

﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧] فإذا استحي العبد من أن

ينظر ربه إلى ما في نفسه فيرى هذه الخواطر المشينة حاول

العبد أن يتعد عنها، وهذه قضية جديرة بالاهتمام.

٢- التأمل: إذا هجمت على قلبك الوسوس السيئة والأفكار

المشينة فتأمل في عظمة الخالق سبحانه، واستحضر أسماء

وصفاته وأنه: عظيم، جبار، قهار، شديد العقاب، كبير،

متعال.

٣- الاستحياء: إذا علمت قدرة الله وإطلاعه على ما في الخواطر

فاستحي منه، وحاول الابتعاد عن هذه الخواطر والأفكار.

وتأمل حالك إذا دخل عليك أحد معارفك أو أصدقائك

وأنت تفعل فعلاً مشيناً، ماذا تراك صانع؟! فالله أولى أن

يُستحي منه.

- ٤- إجلال الله سبحانه وتعالى.
- ٥- الخوف من أن تسقط بتلك الخواطر من نظر الرب سبحانه،  
وتصبح لا قيمة لك عنده.
- ٦- الغيرة على القلب، فتحاول أن لا يسكنه غير محبة الله  
سبحانه.
- ٧- أن تحشى من تلك الخواطر أن تستعزّ فتأكل الإيمان الباقي  
في القلب.
- ٨- أن تعلم أن تلك الخواطر بمنزلة الحب للطائر، يُلقيه الشيطان  
ليصيد به الإنسان، فكل خاطرة منها هي فخ منصوب.
- ٩- أن تعلم أن تلك الخواطر الرديئة لا تجتمع هي وخواطر  
الإيمان.
- ١٠- أن تعلم أن الخواطر بحور خيال لا ساحل لها ولا آخر،  
من دخل فيها غرق.

## كيف نعالج الشهوة؟

من رحمة الله بعباده أنه لم يتركهم هملاً، ولم يخلقهم سدى، بل أنزل لهم ديناً قيماً فيه علاج وإصلاح لكل ما اعوج من شئون حياتهم، ومن ذلك الشهوة المحرمة، فقد جعل الله لها علاجات عدة تسكن ثوراتها، وتكبح جماحها، ومنها:

### ١- الزواج:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغْضُّ لِلْبَصْرِ، وَأَخْصَنُ لِلْفَرْجِ»<sup>(١)</sup>.

الباءة: هي القدرة على الجماع ومؤنة النكاح، فإذا استطاع الإنسان النكاح وتاقت نفسه إليه، فعليه به.

إن الزواج من السبل التي يقضي بها الإنسان على شهوات نفسه بالمصرف الحلال الذي شرعه الله له، وهي سنة الأنبياء

(١) رواه مسلم (١٤٠٠).

والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، قال صلى الله عليه وسلم لمن حرم على نفسه الحلال: «لَكِنِّي أَصَلِّي وَأَنَامُ وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»<sup>(١)</sup>.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «النِّكَاحُ مِنْ سُنَّتِي، فَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِسُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي، وَتَزَوَّجُوا فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ، وَمَنْ كَانَ ذَا طَوْلٍ فَلْيَنْكِحْ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَعَلَيْهِ بِالصِّيَامِ؛ فَإِنَّ الصَّوْمَ لَهُ وَجَاءٌ»<sup>(٢)</sup>.

وبالزواج يحفظ الإنسان دينه وإيمانه، وبالزنا يُنزع عنه النور الذي كان يتحلى به.

كان ابن عباس رضي الله عنهما له غلمان اصطفاهم يعلمهم، وكان يقول لهم: (إن أردتم النكاح أنكحتكم؛ فإن العبد إذا زنا نزع الإيمان من قلبه)<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه مسلم (١٤٠١).

(٢) رواه ابن ماجة (١٨٤٦)، وصححه الألباني.

(٣) إحياء علوم الدين (٢٣/٢).

وقال لهم أيضاً: (تزوجوا؛ فإن العبد إذا زنا نزع منه نور الإيمان)<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج)<sup>(٢)</sup>، أي: لا يكتمل دين الرجل العابد إلا بالزواج، فلا يزال الأعزب في دينه نقص من جهة احتمال ما يطرأ عليه من الوقوع في هذه المحرمات.

والزواج لمن خاف على نفسه الوقوع في الحرام أو جب من الحج المفروض، والذي هو ركن من أركان الإسلام، فمن لم يستطع الجمع بين الحج والزواج فعليه أن يقدم الزواج على الحج.

### والمرأة الصالحة معينة على شطر الدين:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ رَزَقَهُ اللهُ امْرَأَةً صَالِحَةً فَقَدْ أَعَانَهُ عَلَى شَطْرِ دِينِهِ، فَلَيْتَنِي اللهُ فِي الشَّطْرِ الثَّانِي»<sup>(٣)</sup>.

قال المناوي: (لأن أعظم البلاء الفادح في الدين: شهوة

(١) تاريخ دمشق (٥٠/١٢٣) وذم الهوى (١٩٣).

(٢) إحياء علوم الدين (٢/٢٣).

(٣) رواه الحاكم في المستدرک (٢٦٨١) وصححه ووافقه الذهبي.

البطن، وشهوة الفرج. وبالمراة الصالحة تحصل العفة عن الزنا وهو الشطر الأول، فيبقى الشطر الثاني وهو شهوة البطن، فأوصاه بالتقوى فيه؛ لتكامل ديانته وتحصل استقامته، وقيد المرأة بالصالحة لأن غيرها وإن كان تعفه عن الزنا؛ لكن ربما تحمله على التورط في المهالك، وكسب الحطام من الحرام<sup>(١)</sup>.

قال القرطبي: (على الإنسان إذا لم يصبر في هذه الأزمان أن يبحث عن ذات الدين؛ ليسلم له الدين)<sup>(٢)</sup>.

### أجر في النكاح ووزر في السفاح:

ومن المصالح الخاصة في النكاح الحصول على الأجر من هذه الشهوة، ففي الحديث: «وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ»، قالوا: يا رسول الله، يأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟! قال: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي الْحَرَامِ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وَزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ»<sup>(٣)</sup>.

(١) فيض القدير (٦/١٧٧).

(٢) تفسير القرطبي (٤/٢٩).

(٣) رواه مسلم (١٠٠٦).

قال النووي: (وفي هذا دليل على أن المباحات تصير طاعات بالنيات الصادقات، فالجماع يكون عبادة إذا نوى به قضاء حق الزوجة ومعاشرتها بالمعروف، أو طلب ولد صالح، أو إعفاف نفسه، أو إعفاف الزوجة، أو منعها جميعاً من النظر إلى الحرام، أو الفكر فيه، أو اهم به، وغير ذلك من المقاصد الصالحة)<sup>(١)</sup>.

فالزواج من أهم الأمور التي تنقذ الشباب من تفكيرهم في هذه الشهوة؛ لأنه يحمي من الهمة في الحرام والتفكير فيه.

### معونة الله للناكح طالب العفاف:

قد وعد الله على لسان رسوله ﷺ بالمعونة للناكح الذي يريد العفاف؛ لأن الله يريد من العبد أن يهذب غريزته، وأن يوجه شهوته للأمر المباحة التي أحلها، وليس الانفلات في الحرام.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمُ: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْمُكَاتِبُ<sup>(٢)</sup> الَّذِي يُرِيدُ

(١) شرح النووي على مسلم (٧/٩٢).

(٢) المُكَاتِبُ: بضم الميم وفتح التاء اسم مفعول من كاتب، وهو الرقيق الذي تم عقد بينه وبين سيده على أن يدفع له مبلغاً من المال نجوماً ليصير حراً. معجم لغة الفقهاء (١/٤٥٥).

الأداء، والتأخُّح الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَافَ»<sup>(١)</sup>. والمقصود بالعفاف: العفة عن الزنا.

وإذا لم تندفع الشهوة بزوجة واحدة، وخاف المسلم على نفسه الوقوع في الحرام؛ وجب عليه التعدد، وإذا كانت تندفع شهوته بالواحدة، ولكن يجد المشقة بالاكْتِفَاءَ بها فيستحب له التعدد.

## ٢- الصوم:

إن الصيام يحفظ الشباب ويحميهم من الوقوع في فاحشة الزنا، ولذلك أرشدهم النبي ﷺ لهذا العلاج.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَعْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم: (فأرشدهم إلى الدواء الشافي الذي وضع لهذا الأمر - وهو الزواج -، ثم نقلهم عنه عند العجز إلى البدل،

(١) رواه الترمذي (١٦٥٥) وحسنه.

(٢) رواه البخاري (١٩٠٥) ومسلم (١٤٠٠).



وهو الصوم؛ فإنه يكسر شهوة النفس، ويضيق عليها مجاري الشهوة، فإن هذه الشهوة تقوى بكثرة الغذاء وكيفيته، فكمية الغذاء وكيفيته يزيدان في توليدها، والصوم يضيق عليها ذلك، فيصير بمنزلة وجاء الفحل، وقلّ من أدمن الصوم إلا ومات شهوته أو ضعفت<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله عز وجل:  
 «... وَالصَّوْمُ جَنَّةٌ»<sup>(٢)</sup>.

جَنَّةٌ: أي وقاية وستر. فالصيام يقي النفس من انبعاث الشهوة وثورانها، ووقوعها في المحرمات؛ لأن الأكل يقوي الشهوة.

قال القرطبي: (كلما قلّ الأكل ضعفت الشهوة، وكلما ضعفت الشهوة قلت المعاصي)<sup>(٣)</sup>.

(١) روضة المحبين (٢١٩).

(٢) رواه البخاري (٧٤٩٢).

(٣) تفسير القرطبي (٢/٢٧٥).

### ٣- استهلاك طاقة الجسم فيما ينفج:

على الشباب أن يستغلوا طاقات أجسامهم، ويستهلكوا أوقاتهم، في الأعمال الصالحة المتنوعة، وخاصة الأعمال الاجتماعية والدعوية التي يكون فيها خلطة مع الآخرين؛ كالدعوة إلى الله، وإعانة المحتاجين، والمشي في حوائج المسلمين، وتنظيم المشروعات الخيرية، وغير ذلك مما فيه مجهود وعمل دؤوب.

### ٤- عدم إثارها عند الآخرين:

إن العصر الذي نعيش فيه اليوم هو عصر شهوات، وتبرج، وسفور، وانحلال، وتصوير، وتجميل الصور، ومكياج، وزينة، ودور أزياء، وملابس مغرية: شفافة وقصيرة وضيقة، والإنسان يرى في هذا العصر ما لم يره أجدادنا في العصور السابقة.

لقد وجدت في هذا العصر الدراسات النفسية في تصميم الأزياء، وكيف تصبح الملابس مثيرة للشهوات، وفرغت لها عقولٌ ذكية متخصصة في هذا المجال؛ لإيقاع الناس في غمرة هذه الشهوات.

وقد سمعنا كثيراً بعض من يقول عندما يرى بعض النساء في بعض الملابس: لو كانت عارية لما ظهرت بهذا الجمال؛ لأنّ اللباس أظهرها بشكل أجمل مما هي عليه.

ومن ذلك البرقع الذي يبرز جمالاً في المرأة غير حقيقي، بحيث لو كشفت عن وجهها لذهب هذا الجمال، ولكنها تضع هذا البرقع وتضع الكحل حتى تفتن الشباب بمنظرها. لقد أنشأ اليهود دوراً لعرض الأزياء وتصميمها، وأطلقوا قنوات شبه إباحية لعرض هذه الأزياء، وأصبح الناس يطلبون تلك الأزياء بمتابعتهم لهذه القنوات وما تنتجه تلك الدور، وأصبحت المصانع تصنع للناس وتصنع لهم هذه الموضات والأزياء الحديثة، فلا تكاد تجد في السوق لباساً محتشماً، بل أكثر الملابس مصممة بتصميم مغرٍ.

### ٥- إتيان أهله إذا رأى امرأة أعجبتة:

إن الشهوات في هذا العصر ليست خاصة بغير المتزوجين، بل هي متعددة إلى المتزوجين أيضاً، وقد يكون المتزوج أكثر فتنَةً بهذه الشهوات من غير المتزوج؛ لأنه قد جرب النساء وعاشرهن، ومن عرف طعم الشيء ليس كمن لم يعرفه.

لذلك على المتزوجين أن يراعوا هذا الأمر في أنفسهم، فإذا وقعت في نفسه الشهوة بسبب صورة محرمة، أو امرأة متبرجة، فعليه أن يسارع إلى إتيان امرأته لقضاء وطره، وتنفيس رغبته.

عن جابر رضي عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وآله رأى امرأة، فأتى امرأته زينب وهي تمعس منيئة لها، ففضى حاجته ثم خرج إلى أصحابه فقال: «إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبَلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدَكُمْ امْرَأَةً فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ»<sup>(١)</sup>. وفي رواية: «فَإِنَّ مَعَهَا مِثْلَ الَّذِي مَعَهَا»<sup>(٢)</sup>.

(رأى امرأة): هذا محمول على نظرة الفجأة، أو أنه كان قبل نزول آية الحجاب.

(تمعس منيئة): أصل المعس المعك والدلك للجلد بعد إدخاله في الدبّاغ، ومعسه معساً دلّكه دلّكاً شديداً.. والمنيئة المدبّغة<sup>(٣)</sup>. أي: أن زينب رحمها الله كانت تدلك الجلد تمهيداً لدبغه.

(١) رواه مسلم (١٤٠٣).

(٢) رواه الترمذي (١١٥٨)، وصححه الألباني.

(٣) لسان العرب، مادة: معس (٦/٢١٩).

وعن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في أصحابه، فدخل ثم خرج وقد اغتسل، فقلنا: يا رسول الله، قد كان شيء؟ قال: «أَجَلٌ، مَرَّتْ بِي فُلَانَةٌ فَوَقَعَ فِي قَلْبِي شَهْوَةُ النِّسَاءِ، فَاتَّيْتُ بَعْضَ أَزْوَاجِي فَأَصَبْتُهَا، فَكَذَلِكَ فَافْعَلُوا؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَمَائِلِ أَعْمَالِكُمْ إِنْ بَانَ الْحَلَالِ»<sup>(١)</sup>.

قال النووي: (يستحب لمن رأى امرأة فتحركت شهوته أن يأتي امرأته فليواقعها؛ ليدفع شهوته، وتسكن نفسه، ويجمع قلبه على ما هو بصدده، والشيطان يدعو للافتتان بالمرأة؛ لما جعله الله تعالى في نفوس الرجال من الميل إلى النساء، والالتذاذ بنظرهن، وما يتعلق بهن، فهي شبيهة الشيطان في دعائه إلى الشر بوسوسته وتزيينه له، ويستنبط من هذا أنه ينبغي لها أن لا تخرج بين الرجال إلا لضرورة، وأنه ينبغي للرجل الغض عن ثيابها، والإعراض عنها مطلقاً)<sup>(٢)</sup>.

وقد يستغرب البعض من هذه الصراحة الموجودة في

(١) رواه أحمد (١٧٥٦٧)، وصححه الألباني.

(٢) شرح النووي على مسلم (٩/١٧٨).

الحديثين، وإذا عرف السبب بطل العجب؛ فإن المسألة خطيرة، وقد صرح النبي ﷺ بصنيعه لأهميته، وليتعلم المسلمون منه.

### ٦- منع النساء من الخروج إلا للضرورة:

إن المرأة إذا خرجت استشرفها الشيطان، وزينها في أعين الناظرين، وجعل الناس يرونها أجمل مما هي عليه حقيقة؛ ليقوعهم في مصائد الشهوات والفواحش.

لذلك على أولياء الأمور أن يمنعوا مولاتهم من الخروج إلى الشوارع والأماكن العامة إلا للضرورة، حفاظاً على شرفها وعفتها، وكبحاً للشهوات المستعرة في هذا الزمان.

### ٧- الإكثار من العبادات المنزلية:

لا تجعل بيتك قبراً لا ذكر فيه ولا دعاء، ولا عبادة ولا طاعة، بل اعمره بطاعة الله تعالى، واجعل فيه موضعاً مخصصاً لأداء الصلاة، ومصحفاً للتلاوة، وآلة لسماع القرآن، ومكتبة عامرة بعلوم الكتاب والسنة وما فيه نفع للأسرة في دينها ودنياها. فذلك يجعل الإنسان مقبلاً على ربه، ويخفف نداء الشهوة لديه.

## ٨- الدعاء:

الدعاء هو السلاح الذي لا يخون في النوائب والملمات، السلاح الناجع الذي ينبغي على المؤمن أن يستعمله في كل وقت وحين، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: أن رسول الله صلوات الله عليه قال: «مَا عَلَى الْأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا، أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ الشُّوْءِ مِثْلَهَا؛ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمٍ». فقال رجل من القوم: إذا نكث. قال: «اللَّهُ أَكْثَرُ»<sup>(١)</sup>.

وتأمل في نبي الله يوسف عليه السلام ماذا دعا في حال الشهوة والدعوة إلى المحرم؟ ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣] فاستجاب له، ربُّه، فصرف عنه كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿

[يوسف: ٣٣-٣٤].

(١) رواه الترمذي (٣٥٧٣)، وقال الألباني: حسن صحيح.

وقد كان من هدي النبي ﷺ تعليم الصحابة أدعية لمواجهة الشهوات، فعن شكّل بن حميد رضي عنه قال: قلت: يا رسول الله، علمني دعاء. قال: «قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِّي»<sup>(١)</sup>.

فاستعاذ من شر المنى، والمقصود به شر الشهوة.

وكان صلواته يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى، وَالتَّقَى، وَالْعَفَافَ، وَالْغِنَى»<sup>(٢)</sup>، فكان يسأله العفاف المطلوب لعلاج الشهوة.

فإياك والاعتزاز بنفسك، فتبتعد عن الدعاء وتأمن المكر؛ فإن إبراهيم عليه السلام ما أمن على نفسه عبادة الأصنام، بل دعا ربه قائلاً: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

فلم يسأل الله الوقاية من الصغائر فحسب، بل سأله الوقاية من الشرك الأكبر!

فلا تقل: أنا شاب متدين، أنا إمام، أنا خطيب، أنا داعية،

(١) رواه أبو داود (١٥٥١) والترمذي (٣٤٩٢) والنسائي (٥٤٥٦)، وصححه الحاكم.

(٢) رواه مسلم (٢٧٢١).



أنا واعظ، أنا طالب علم.. فكل واحد يُحشى عليه من الفتنة، وما دمتنا نخشى على أنفسنا فلا بد أن نلجأ إلى ربنا بالدعاء.

﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾

[الإسراء: ٧٤].

إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللَّهِ لِلْفَتَى

فَأَوَّلُ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ<sup>(١)</sup>

### ٩- التأمل في خطورة الانسياق وراء الشهوات المحرمة:

قال يحيى بن معاذ: (من أرضى الجوارح في اللذات فقد غرس لنفسه شجر الندامات)<sup>(٢)</sup>.

وقال عبد الصمد الزاهد: (من لم يعلم أن الشهوات فخوخ فهو لعاب)<sup>(٣)</sup>.

فإذا تأمل الإنسان مفاصد الزنا والفاحشة في الدنيا والآخرة؛ أدرك خطورة الانسياق وراء الشهوات المحرمة.

(١) نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٦/ ١٧٧).

(٢) ذم الهوى (٢٧).

(٣) ذم الهوى (٣١).

## من قصص أهل العفاف

لقد حفل لنا التاريخ بأناس ماتوا، ولكنهم أحياء بسيرهم  
وقصصهم النافعة، إنهم أولئك الذين صبروا عن شهوتهم لله  
وَعَلَّ، فخلد الله ذكرهم، ونشر سيرهم.

### ومن هؤلاء:

#### يوسف عليه السلام:

نبي الله الكريم عليه السلام الذي وقع في فتنة تكاد تكون أعظم  
فتنة بين رجل وامرأة عرفها التاريخ، فيتعرض في بيت الملك  
لفعل الفاحشة، وتيسر له كل السبل كما ذكره الله في كتابه العزيز:  
﴿رَزَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ  
هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ  
الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

ولم ينته الأمر عند هذا الحد، بل تستمر المطاردة ويزيد  
الطلب، حتى استبقا الباب هارباً منها، وقطعت قميصه من

دبر، وعندما جاء زوجها عزيز مصر كذبت على يوسف عليه السلام، وفاوضته على عدم دخول السجن مقابل فعله الفاحشة.

فأبى، ودخل السجن، وتحمل ألمه وأذاه، هرباً من الشهوة المحرمة.

والناظر في هذه القصة يرى توفر جميع الدواعي التي تسهل لنبي الله يوسف عليه السلام هذه الفاحشة، فقد كان عزباً، والعزب ليس له مصرف يصرف فيه شهوته! وغريباً، والغريب لا يستحي مما يستحي منه ابن البلد، ولا يخشى الفضيحة لغربته.

وكانت المرأة ذات منصب وجمال. وكان خادمها، ولها عليه الأمر والنهي، ولم يكن دخوله إلى البيت مريباً، بل يستطيع دخوله متى شاء! وكان الرقيب (زوجها) غائباً! وكان الزوج قليل الغيرة، فعندما سمع بالخبر لم يتخذ الإجراءات المتوقعة، بل اكتفى بأمر يوسف بالإعراض، وأمر زوجته بالاستغفار! وكانت الدعوة منها مما أسقط الحواجز النفسية، وسهل الأمر عليه، مع مطاردتها له وتهديده بالسجن، واستعانتها بكيد النسوة، مع ذلك كله صبر وصابر واعتصم بربه ومولاه.

فانظر كيف قاوم نفسه، فأعقبه الله **وَعَجَّلَ** الدرجة العالية الرفيعة، واستخلصه واصطفاه، وجعله من المحسنين المخلصين.

**\* فما الأسباب والمقومات التي كانت عند يوسف  
السَّابِقِ حتى صبر؟:**

**أولاً:** خوفه من الله سبحانه.

**ثانياً:** إعانة الله وتوفيقه له، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ  
وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ  
وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

وقوله تعالى: ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ أبلغ من  
لنصرفه عن السوء والفحشاء؛ لأن الآية تدل على أن السوء  
والفحشاء قد صرفا عنه، بحيث لو أراد هو أن يقع فيهما لم  
يستطع؛ لأنه لا يجدهما.

**ثالثاً:** فراره من سبب المعصية، لم يقل: إني أخاف الله رب  
العالمين، وقعد في البيت. بل قالها وهرب منها، وحاول الخروج  
من باب البيت.

إن مغادرة مكان المعصية تعين على النجاة من الشهوة المحرمة، والبقاء بين أطرافها تشجع على الحرام، وتغري به، فاهرب بجلدك من أماكن الحرام.

**رابعاً:** استعانتته بالدعاء ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣٣].

**خامساً:** كونه صالحاً تقياً ﴿ إِنَّهُ مِّنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف: ٢٤].

**سادساً:** اختياره الأذى على فعل الفاحشة ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ [يوسف: ٣٣].

إن في هذه القصة من العبر والعظات ما يوجب على المسلم - خاصة الشباب - اتخاذ العبرة، والاستفادة من دروسها، وألا يمر عليها مرور المستعلم المستكشف فحسب، بل المتعلم المستفيد.

**قصة جريج العابد:**

فمن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «... كَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ: لَأَفْتِنَنَّ جُرَيْجًا. فَتَعَرَّضْتُ لَهُ فَكَلَّمْتُهُ، فَأَبَى، فَأَتَتْ رَاعِيًا فَأَمَكَّتَهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَلَدَتْ غُلَامًا، فَقَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ. فَأَتَوْهُ وَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ، فَأَنْزَلُوهُ وَسَبُّوهُ، فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى، ثُمَّ أَتَى الْغُلَامَ فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ يَا غُلَامُ؟ قَالَ: الرَّاعِي...»<sup>(١)</sup>.

فانظر كيف أنطق الله الغلام تكريماً ورفعة لشأن جريج حيث ترك هذه المرأة مع قدرته عليها قدرة تامة خشية من الله؟!

**قصة الربيع بن خثيم:**

فقد طلب رجال من قومه من امرأة ذات جمال بارع أن تتعرض للربيع بن خثيم فلعلها تفتنه، وجعلوا لها إن فعلت ذلك ألف درهم.

(١) رواه البخاري (٣٤٣٦) ومسلم (٢٥٥٠).

ونستفيد من هذا أن هناك من شياطين الإنس من لديه الاستعداد أن ينفق أمواله في سبيل إفساد أهل الإصلاح؛ كيداً للدعوة وحرماً للدين.

فلبست المرأة أحسن ما قدرت عليه من الثياب، وتطيبت بأطيب ما قدرت عليه، ثم تعرضت له حين خرج من مسجده، فنظر إليها، فراعها أمرها، فأقبلت عليه وهي سافرة.

فقال لها الربيع: كيف بك لو قد نزلت الحمى بجسمك فغيرت ما أرى من لونك وبهجتك؟!.

أم كيف بك لو قد نزل بك ملك الموت فقطع منك حبل الوتين؟!.

أم كيف بك لو قد ساءلك منكر ونكير؟!.

فصرخت صرخة، وسقطت مغشياً عليها.

ثم إنها بلغت من عبادة ربها أنها كانت يوم ماتت كأنها جذع محترق<sup>(١)</sup>.

(١) صفة الصفوة (٣/ ١٩١).

**قصة السري بن دينار:**

نزل السري بن دينار في درب بمصر، وكانت فيه امرأة جميلة فتنت الناس بجمالها، فعلمت به المرأة، فقالت: لأفتنته. فلما دخلت من باب الدار تكشفت وأظهرت نفسها، فقال: مالك؟ فقالت: هل لك في فراش وطيء وعيش رخي. فقال:

وَكَمْ ذِي مَعَاصِي نَالَ مِنْهُنَّ لَذَّةً  
وَمَاتَ فَخَلَّاهَا وَذَاقَ الدَّوَاهِيَا  
تَصَرَّمُ لَذَاتُ الْمَعَاصِي وَتَنْقِضِي  
وَتَبْقَى تِبَاعَاتُ الْمَعَاصِي كَمَا هِيََا  
فِيَا سَوَاتَا وَاللَّهِ رَاءٍ وَسَامِعٌ  
لِعَبْدٍ بَعَيْنِ اللَّهِ يَغْشَى الْمَعَاصِيَا<sup>(١)</sup>

**قصة أبو بكر المسكي:**

قال ابن الجوزي: (قيل لأبي بكر المسكي: إنا لنشم منك رائحة المسك مع الدوام، فما سببه؟ فقال: والله لي سنين

(١) ذم الهوى (٢٥٣) وروضة المحبين (٣٣٩).



عديدة لم أستعمل المسك، ولكن سبب ذلك أن امرأة احتالت علي حتى أدخلتني دارها، وأغلقت دوني الأبواب، وراودتني عن نفسي، فتحيرت في أمري، فضاقت بي الحيل، فقلت لها: لي حاجة إلى الطهارة. فأمرت جارية لها أن تمضي بي إلى بيت الراحة، ففعلت، فلما دخلت بيت الراحة أخذت العذرة، وألقيتها على جميع جسدي، ثم رجعت إليها وأنا على تلك الحالة، فلما رأني دهشت، ثم أمرت بإخراجي، فمضيت واغتسلت.

فلما كانت تلك الليلة رأيت في المنام مَنْ يقول لي: فعلت ما لم يفعله غيرك، لأطيين ربحك في الدنيا والآخرة. فأصبحت والمسك يفوح مني، واستمر ذلك إلى الآن<sup>(١)</sup>.

### ومن قصص النساء:

بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف ببيوت المسلمين يتفقد أحوالهم إذ سمع امرأة وهي تقول:

(١) المواعظ والمجالس (٢٢٤).

تطاول هذا الليل وأسودَّ جانبه  
وأرقتني إذ لا حبيب ألاعبه  
فلولا الذي فوق السموات عرشه  
لزعزع من هذا السرير جوانبه

فأصبح عمر رضي الله عنه، فأرسل إليها، فقال: أنت القائلة كذا وكذا؟ قالت: نعم، قال: ولم؟ قالت: أجهزت زوجي في هذه البعوث، قال: فسأل عمر رضي الله عنه حفصة رضي الله عنها: كم تصبر المرأة من زوجها؟ فقالت: ستة أشهر، فكان عمر بعد ذلك يقفل [يرجع] بعوثه لستة أشهر<sup>(١)</sup>.

(١) مصنف عبدالرزاق (٧/١٥٢)، سنن البيهقي (٩/٢٩).

## من قصص الساقطين في مستنقع الشهوات

على نقيض هؤلاء الصابرين حفل التاريخ بقصص أناس لعنوا، وقيل فيهم ما قيل ممن سقطوا في مستنقع الشهوات.

- ففي سنة ٢٧٨هـ توفي عبده بن عبد الرحيم -قبحه الله-، هذا الشقي كان من المجاهدين كثيراً في بلاد الروم، فلما كان في بعض الغزوات والمسلمون يحاصرون بلدة من بلاد الروم؛ إذ نظر إلى امرأة من نساء الروم في ذلك الحصن، فهوياً فراسلها: ما السبيل إلى الوصول إليك؟ فقالت: أن تنتصر وتصعد إلي.

فأجابها إلى ذلك، فما راع المسلمين إلا وهو عندها، فاغتم المسلمون بسبب ذلك غمّاً شديداً، وشق عليهم مشقة عظيمة، فلما كان بعد مدة مروا عليه وهو مع تلك المرأة في ذلك الحصن، فقالوا: يا فلان، ما فعل قرآنك؟! ما فعل علمك؟! ما فعل صيامك؟! ما فعل جهادك؟! ما فعلت صلاتك؟!.

فقال: اعلّموا أني أنسيت القرآن كله، إلا قوله: ﴿رُبَمَا

يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوِ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا  
وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمُونَ ﴿٣﴾ [الحجر: ٢-٣] (١).

- ويروى أنه كان بمصر رجل يلزم المسجد للأذان والصلاة فيه، وعليه بهاء الطاعة ونور العبادة، فرقى يوماً المنارة على عادته للأذان، وكان تحت المنارة داراً لنصراني، فاطلع فيها، فرأى ابنة صاحب الدار، فافتتن بها، فترك الأذان، ونزل إليها، ودخل الدار عليها، فقالت له: ما شأنك؟ وما تريد؟ قال: أريدك. قالت: لماذا؟ قال: قد سلبت لبي، وأخذت بمجامع قلبي. قالت: لا أجيبك إلى ريبة أبداً. قال: أتزوجك. قالت: أنت مسلم وأنا نصرانية، وأبي لا يزوجني منك. قال: أتنصر. قالت: إن فعلت أفعل.

فتنصر الرجل ليتزوجها، وأقام معهم في الدار، فلما كان في أثناء ذلك اليوم رقى إلى سطح كان في الدار فسقط منه فمات، فلم يظفر بها، وفاته دينه (٢).

نسأل الله الثبات!

(١) البداية والنهاية (١١ / ٧٤).

(٢) الجواب الكافي (١١٨).

## الخاتمة

إن الشهوة التي يعاني منها الشاب والفتاة لم تخلق لأهل الفساد وحدهم، فالصالحون والصالحات الذين يعيشون حالة التسامي والعفة، والذين يشتغلون بالدعوة وطلب العلم وتعليم الخلق ونشر الخير تدعوهم أنفسهم إلى مقارفة الشهوات، بل ربما كانت الشهوة لدى بعضهم أقوى مما لدى المعرضين، ولكنهم كبحوا جماح شهوتهم طاعة لربهم ورغبة في ثوابه.

فمن عاين بعين بصيرته هذه الدنيا نال خيرها ونجا من شرها، ومن لم ير العواقب غلب عليه الحس فعاد عليه بالألم. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل بيننا وبين الحرام برزخاً وحجراً محجوراً، وأن يجعلنا من الذين إذا أسأؤوا استغفروا، وإذا أحسنوا استبشروا، وأن يجعل هوانا فيما يحب ويرضى. وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

محرر صالح المنجد

## اختبر فهمك

بين يديك مستويين من الأسئلة، أسئلة مباشرة وأخرى تحتاج منك إلى تأمل وإمعان نظر.

### أسئلة المستوى الأول المباشرة:

- ١ - ما المقصود بالشهوة؟.
- ٢ - اذكر ثلاثة أسباب تؤدي للوقوع في الشهوة المحرمة .
- ٣ - لغض البصر فوائد كثيرة، اذكر أبرزها .
- ٤ - كيف نعالج الشهوة المحرمة؟.

### أسئلة المستوى الثاني الاستنباطية:

- ١ - لماذا خلقت الشهوة؟.
- ٢ - إذا تعرضت لك شهوة محرمة، فكيف تتعامل معها؟.
- ٣ - لماذا قُدِّمَ غض البصر على حفظ الفرج؟.
- ٤ - كيف تتعامل مع الخواطر السيئة؟.
- ٥ - ماذا نستفيد من قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز؟.

## المحتويات

٥	.....	مقدمة
٧	.....	تعريف الشهوة
٨	.....	لماذا خلقت الشهوة؟
١١	.....	أسباب الوقوع في الشهوة
١٦	.....	كيف تتعامل مع الشهوة؟
٣٦	.....	كيف نعالج الشهوة؟
٥١	.....	من قصص أهل العفاف
٦٠	.....	من قصص الساقطين في مستنقع الشهوات
٦٢	.....	الخاتمة
٦٣	.....	اختبر فهمك
٦٤	.....	المحتويات

سلسلة أعمال القلوب (١)

الترف



ح) مجموعة زاد للنشر ١٤٣٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المنجد ، محمد صالح

الترف، محمد صالح المنجد - الخبر - ١٤٣٠ هـ

٦١ ص ، ١٢×١٧ سم

ردمك : ٠-٢٨١٦-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- الرفاهية ٢- الوعظ والإرشاد أ. العنوان

ديوي : ٢١٣ ١٤٣٠/٤٠٣٦

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



للنشر

المملكة العربية السعودية

الخبر - هـ: ٨٦٥٥٣٥٥

جدة - هـ: ٦٩٢٩٢٤٢

ص.ب: ١٢٦٢٧١ جدة: ٢١٣٥٢

[www.zadgroup.net](http://www.zadgroup.net)

مجموعة المنجد

سلسلة أعمال القلوب (١)

التurf



١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فإن الترف داء عُضال، ومرض مهلك، إذا استشرى في أمة ذهب بعزمها وأورثها تباطؤاً وخمولاً وكسلاً ودعة، وعلقها بالحياة الدنيا وحببها إليها، والترف إن التصق بشخص حتى صار يوصف به كان ذلك إيذاناً بضعفه، وإعلاماً بوهنه، ودليلاً على تراخي شأنه وعدم ضبطه أمره، وأنه آثر لذائد الحياة على الجهد والاجتهاد.

ومع خطورة هذا المرض وكثرة أضراره كان لا بُدَّ لنا أن نضع أيدينا على هذا الجرح، ونحاول معالجته.

فما حقيقة الترف؟.

وما مساوئه؟.

وكيف نعالج مجتمعاتنا التي استشرى فيها هذا الداء؟.

وفي هذا الكتاب أحيينا أن نجيب على هذه التساؤلات.  
وأشكر كل من ساهم في إعداد هذه المادة وإخراجها  
بالصورة المرضية.  
اللهم سدّد خطانا، وأصلح نياتنا وأعمالنا، ووفقنا للخير  
والهدى.

مصحح المنجد

## تعريف الترف

### الترف في اللغة:

الترفه: التوسع في النعمة، يقال: أترف فلان فهو مترف.  
﴿وَأَتْرَفْنَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [المؤمنون: ٣٣]، ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ١١٦]، وقال:  
﴿وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ﴾ [الأنبياء: ١٣]، و﴿أَخَذْنَا مَثَرِهِمْ﴾ [المؤمنون: ٦٤]، وهم الموصوفون بقوله سبحانه: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾ [الفجر: ١٥]<sup>(١)</sup>.

ويطلق على معنى الترف ألفاظ أخرى منها: التنعم، الترفه، الرفاهية.

### الترف في الاصطلاح:

هو مجاوزة حد الاعتدال بنعمة، والإكثار من النعم الجالبة للرفاهية.

(١) مفردات ألفاظ القرآن (١/ ١٤٥).

فالمترفون إذن هم الذين أبطرتهم النعمة وسعة العيش،  
وحرصوا على الزيادة من الملذات والملهيات، وسعوا إلى بلوغ  
الغاية في أنواع الترف من المآكل والمشرب والمسكن والمراكب.

## ذم الترف في القرآن الكريم

ذم الله تعالى الترف في القرآن الكريم في عدة مواضع،  
منها:

### أولاً: الترف من صفات الظالمين والكافرين:

قال الله ﷻ في وصف الكفار: ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ١١٦].

قال ابن جرير رحمه الله: (إن الله تعالى أخبر أن الذين ظلموا أنفسهم من كل أمة سلفت فكفروا بالله؛ اتبعوا ما أنظروا فيه من لذات الدنيا، فاستكبروا عن أمر الله، وتجبروا وصدوا عن سبيله، وذلك أن المترف في كلام العرب هو المنعم الذي قد غدّي باللذات)<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير الطبري (٥٢٩/١٥).



### ثانياً: التترف سبب لعذاب الآخرة:

قال **عَلَيْكَ**: ﴿ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ [مريم: ٥٩].

قال كعب الأحبار: (والله إني لأجد صفة المنافقين في كتاب الله **عَلَيْكَ**: شرابين للقهوات<sup>(١)</sup>، تراكين للصلوات، لعابين بالكعبات<sup>(٢)</sup>، رقادين عن العتات<sup>(٣)</sup>، مفرطين في الغدوات، تراكين للجُمُعات). ثم تلا هذه الآية:

﴿ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾<sup>(٤)</sup>.

### ثالثاً: التترف سبب للهلاك في الدنيا:

قال **عَلَيْكَ**: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرِيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا

(١) أي: يشربون الخمر.

(٢) أي: يلعبون بحجر النرد (الزهر) المحرم.

(٣) أي: صلاة العشاء والفجر.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٥/٥٢٦).

بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَنَّا إِذَا هُمْ مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُشْتَلُونَ ﴿[الأنبياء: ١١-١٣].

قال ابن كثير رحمه الله: ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ هذا تهكم بهم، كأنه قيل لهم: لا تركضوا هارين من نزول العذاب، وارجعوا إلى ما كنتم فيه من النعمة والسرور والمعيشة والمساكن الطيبة<sup>(١)</sup>.

#### رابعاً: الترف سبب لهلاك الغير:

إن أذى المترفين قد يتعدى إلى غيرهم، فيهلكوا أقوامهم بسبب ترفهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

ولعلك تلاحظ في حياة الناس، أن فساد المترفين لا يقتصر عليهم، بل يتعداهم إلى غيرهم دائماً، ويجعلون الناس يتطلعون إلى ما في أيديهم، ويحاولون تقليدهم.

(١) تفسير ابن كثير (٥/٣٣٥).

### خامسا: التترف سبب للقعود عن الأعمال الصالحة:

قال الله ﷻ في المترفين الذين لم يطيقوا الجهاد لشدة الحر، واعتادوا الظلال والأماكن الباردة: ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة: ٨١].

فثقل النفير على المترفين بسبب المشقة والحر، فقدموا راحة قصيرة منقضية على الراحة الأبدية التامة، وحذروا من الحر الذي تقي منه الظلال، وتذهبه البكور والآصال، على الحر الشديد الذي لا يقدر قدره، وهي النار الحامية.

### سادسا: التترف سبب للاعتراض على أقدار الله:

قال ﷻ: ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴾ [الفجر: ١٥-١٦].

فهذه هي حال المترف، إذا أنعم الله عليه بالرزق والنعم يقول: إن ربي أكرمني لأنه يجنبي، وإذا ابتلاه الله بأنواع المكاره

تراه يعترض ويجزع، ولا يصبر على ما أصابه، كل هذا بسبب الترف، ولو أنه عاش زاهداً بسيطاً لتقبل تلك المصائب ورضي بها، بل وحمد الله عليها.

ولو تأملنا لوجدنا أن الصبر على الفقر أهون من الصبر على الغنى.

## ذم الترف في السنة النبوية

ورد النهي عن الترف في عدد من الأحاديث النبوية، تحذيرا منه لئلا يتعلق القلب بالدنيا وينغمس في ملذاته وتمتعها الزائلة.

عن أبي سعيد الخدري رضي عنه أن النبي صلوات الله عليه جلس ذات يوم على المنبر وجلسنا حوله فقال: «إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي سعيد الخدري رضي عنه عن النبي صلوات الله عليه قال: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوءٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ»<sup>(٢)</sup>.

وعن عبد الله بن بريدة رضي عنه: أن رجلا من أصحاب النبي صلوات الله عليه رحل إلى فضالة بن عبيد رضي عنه وهو بمصر، فقدم عليه

(١) رواه البخاري (١٤٦٥) ومسلم (١٠٥٢).

(٢) رواه مسلم (٢٧٤٢).

فقال: أما إني لم آتكَ زائراً، ولكني سمعت أنا وأنت حديثاً من رسول الله ﷺ رجوت أن يكون عندك منه علم. قال: ما هو؟ قال: كذا وكذا. قال: فما لي أراك شعثاً وأنت أمير الأرض؟ قال: إن رسول الله ﷺ كان ينهانا عن كثير من الإرفاه<sup>(١)</sup>. قال: فما لي لا أرى عليك حذاء؟ قال: كان النبي ﷺ يأمرنا أن نحتمي أحياناً<sup>(٢)</sup>.

فكان يأمرهم بالاحتفاء أحياناً لتخشوشن أرجلهم، وتتعود على المشي في الأماكن المختلفة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا»<sup>(٣)</sup> أي: اكفهم من القوت بما لا يجوجهم إلى ذل المسألة، ولا يكون فيه زيادة تبعث على الترفه في الدنيا.

(١) الارفاه: الاستكثار من الزينة.  
 (٢) رواه أبو داود (٤١٦٠)، وصححه الألباني.  
 (٣) رواه مسلم (١٠٥٥).

## لا تفرحوا أيها المترفون!

**أولاً: النعم امتحان وابتلاء:**

بين الله ﷻ أن التوسعة في النعم على العباد في الدنيا إنما هي امتحان وابتلاء، وليست دليلاً على رضى الله على المنعم عليه ولا محبته، خلافاً لما يعتقدده كثيرٌ من المترفين؛ فإنهم يظنون أن النعم التي تأتيهم علامة على رضى الله عنهم.

وكيف يرضى الله على المترف الذي عصاه واستعمل نعمته في البطر والتكبر!.

وقد ظن الكفار من قبلهم هذا الظن، فعندما رأوا كثرة الأموال والأولاد قالوا: ﴿ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ ﴾ [سبأ: ٣٥].

فأخبرهم سبحانه بعدم صواب اعتقادهم، فقال ﷻ: ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ لِّصَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبأ: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا ﴿﴾ [المدثر: ١١-١٦]، أي: يحسب أن نزيده في الآخرة من المال والبنين، كلا.

وقد بين سبحانه لهؤلاء المترفين المساكين أن إنعامه عليهم إنما هو من باب الاستدراج، فقال ﴿عَلَّكَ﴾: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِءَ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿﴾ [التوبة: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿﴾ [التوبة: ٥٥]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِيَأْتِيَهُمْ إِنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿﴾ [آل عمران: ١٧٨]، وقال جل شأنه: ﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿﴾ [القلم: ٤٤-٤٥].



### ثانياً: النعم الدنيوية سبب لزوال النعم الأخروية:

أخبر عَلَيْكَ أَنَّ هُنَاكَ أَنَاثَا تُعَجَّلُ لَهُمْ طَيِّبَاتِهِمْ فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَّذِينَ أُذْهِبَتْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٠].

قال أبو مجلز: (ليفقدن أقوام حسنات كانت لهم في الدنيا، فيقال لهم: أذهبت طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها)<sup>(١)</sup>.

أي: إنه سيأتي أقوامٌ يوم الحساب فيسألون عن حسناتٍ كانت لهم لا يرون جزاءها، فيخبرون أنهم أفنوا تلك الحسنات بتنعّمهم بأنواع النعم في الدنيا.

وقد كان الصحابة والتابعون يتقللون من التمتع في هذه الحياة الدنيا؛ ليستبقوا نعمهم للحياة الأخرى.

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٨٥).

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: رأني عمر رضي الله عنه وأنا متعلق لحماً، فقال: يا جابر، ما هذا؟ قلت: لحم اشتريته بدرهم لنسوة عندي قَرْمَنٌ إليه <sup>(١)</sup>. فقال: أما يشتهي أحدكم شيئاً إلا صنعه، أما يجد أحدكم أن يطوي بطنه لجاره وابن عمه؟! أين تذهب هذه الآية: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيْبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾؟! قال: فما انفلت منه حتى كدت أن لا أنفلت <sup>(٢)</sup>.

وكان عمر رضي الله عنه يقول: (لو شئت كنت أطيبيكم طعاماً، وألينيكم لباساً، ولكني أستبقي طيباتي) <sup>(٣)</sup>. يعني للأخرة.

وكان حفص بن أبي العاص رحمه الله يكثر غشيان عمر رضي الله عنه، وكان إذا قَرَّب طعامه اتقاه. فقال له عمر رضي الله عنه: ما لك ولطعامنا؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن أهلي يصنعون لي طعاماً هو ألين من طعامك، فأختار طعامهم على طعامك. قال: ثكلتك أمك، أما تراني لو شئت أمرت بشاة فتيّة سمينه فألقي عنها شعرها، ثم أمرت بدقيق فنخل في خرقة فجعل خبزاً

(١) يعني: اشتهين اللحم.

(٢) أخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور (٤٤٧/٧).

(٣) تفسير الطبري (١٢٠/٢٢).

مرفقاً، وأمرت بصاع من زبيب فجعل في سمن حتى يكون كدم الغزال. قال حفص: إني أراك تعرف لين الطعام. فقال عمر: ثكلتك أمك، والذي نفسي بيده لولا كراهية أن ينقص من حسناتي يوم القيامة لأشركتكم في لين طعامكم<sup>(١)</sup>.

وعن حفصة بنت عمر رضي الله عنها أنها قالت لأبيها: يا أمير المؤمنين، ما عليك لو لبست ألين من ثوبك هذا؟! وأكلت أطيب من طعامك هذا؟!؛ قد فتح الله عليك الأرض، وأوسع عليك الرزق. قال: سأخاصمك إلى نفسك، أما تعلمين ما كان يلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة العيش، وجعل يذكرها شيئاً مما كان يلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أبكاها، قال: قد قلت لك إنه كان لي صاحبان سلكا طريقاً، فإني إن سلكت غير طريقهما سلك بي غير طريقهما، فإني والله لأشاركنها في مثل عيشهما الشديد؛ لعلني أدرك معهما عيشهما الرخي. يعني بصاحبيه النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه ابن سعد وعبد بن حميد كما في الدر المنثور (٧/٤٤٧).

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٣٤٤٣٤).

ولما قدم عمر رضي الله عنه إلى الشام صُنع له طعام لم ير قبله مثله، قال: هذا لنا فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير؟ قال خالد بن الوليد رضي الله عنه: لهم الجنة. فاغرورقت عينا عمر وقال: لئن كان حظنا في الحطام وذهبوا بالجنة لقد باينونا بونا بعيداً<sup>(١)</sup>.

ويقول قتادة: (تعلمون والله أن أقواماً يسترطون<sup>(٢)</sup> حسناتهم، ليستبق رجلٌ طبياته إن استطاع، ولا قوة إلا بالله)<sup>(٣)</sup>.

### ثالثاً: هذا النعيم مما يسأل عنه العبد يوم القيامة:

أخبر تعالى في كتابه الكريم أن هذا النعيم الذي يعيش فيه العبد في الدنيا سيسأل عنه يوم القيامة، هل أدى شكره أم لا؟ قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]. قال مجاهد في الآية: (عن كل لذة من لذات الدنيا)<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير الطبري (٢٢/١٢٠).

(٢) أي: يتلعون، من سرت الشيء إذا ابتلعه، والمعنى: تنقص حسناتهم.

(٣) تفسير الطبري (٢٢/١٢٠).

(٤) تفسير ابن كثير (٨/٤٧٧).

وقال سعيد بن جبير: (حتى عن شربة عسل)<sup>(١)</sup>.

وقال الحسن البصري: (من النعيم: الغداء، والعشاء)<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو قلابة: (من النعيم: أكل العسل والسمن بالخبز النقي)<sup>(٣)</sup>.

وكان الحسن وقتادة يقولان: (ثلاث لا يسأل عنهم ابن آدم يوم القيامة، وما خلاهن فيه المسألة والحساب إلا ما شاء الله: كسوة يوارى بها سوءته، وكسرة يشد بها صلبه، وبيت يظله)<sup>(٤)</sup>.

وإليك هذه القصة عن أعظم ثلاثة رجال في الدولة الإسلامية الأولى: الرسول ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال: «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟» قالوا: الجوع يا رسول الله. قال: «وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَخْرَجَنِي

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٧٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٧٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٧٧).

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٨٦).

الَّذِي أَخْرَجَكُمْ، قَوْمُوا». فقاموا معه، فأتى رجلا من الأنصار... فانطلق فجاءهم بعدق فيه بسر وتمر ورطب، فقال: كلوا من هذه. وأخذ المدينة ... فذبح لهم، فأكلوا من الشاة ومن ذلك العدق وشربوا، فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلَنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ»<sup>(١)</sup>.

فإن كان أعظم ثلاثة رجال في هذه الأمة سيسألون عن نعيم حصلوه لمرة واحدة بعد جوع شديد؛ فكيف بنا نحن أصحاب الوجبات اليومية الثلاثة؟!.

(١) رواه مسلم (٢٠٣٨).

## هل الترف والغنى متلازمان؟

الترف في أغلب أحواله قائم على الغنى ومبني عليه، لكنه ليس بلازم له، فكم من غني عاش حياة البخلاء وأصاب أهله البؤس والعوز!

وكم من فقير حرص على توفير النعم وتحصيل الملذات والشهوات من كل طريق، حتى ركبته الديون لأجل ذلك!

كما أن الزهد ليس ملازماً للفقير، فكم من غني عاش عيشة الزهاد مع ما حباه الله من النعمة والجاه والمال!

فليس المقصود أن يتخلى الإنسان عن أمواله وتجارته وممتلكاته حتى يتعد عن الترف، بل من الممكن أن يبقى محافظاً على هذا ولا يكون مترفاً، فيتاجر، ويصرف على نفسه وأهله بالمعروف، ويتصدق على الفقراء والمسكين، ويبقى من المال ما يقيم به تجارته وحياته.

وكان النبي ﷺ إذا بلغه أن بعض أصحابه يريد أن يعتدي فيزيد في الزهد أو العبادة على المشروع يغضب لذلك، وبلغه أن بعض أصحابه قال: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمُ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمُ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»<sup>(١)</sup>.

فأما الإعراض عن الأهل والأولاد فليس مما يحبه الله ورسوله، ولا هو من دين الأنبياء<sup>(٢)</sup>.

إن حقيقة الزهد أن لا يتعلق القلب بشيء من أمور الحياة، فلا يتعلق بهال، ولا بجاه، ولا بمنصب، ولا بصورة، ولا رئاسة.

(١) رواه البخاري (٥٠٦٢)، ومسلم (١٤٠١).

(٢) الزهد والورع والعبادة (٧٣-٧٤).



## صور الترف المعاصرة

في حياتنا المعاصرة توجد صور مختلفة للترف منها على  
سبيل المثال:

### ١- المبالغة في الاهتمام بالشعر:

وذلك بترجيله، وتمشيطه، وتسريحه، وشراء أنواع  
الكريمات لإبرازه في أحسن صورة.

وقد جاء الإسلام وسطاً في قضية الاهتمام بالشعر، فأمر  
بإكرام الشعر لمن كان له شعر، ونهى عن الترجل والتمشط  
يومياً، ولكن يوماً بعد يوم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَ لَهُ  
شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ»<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن  
التَّجُّلِ إِلَّا غَبًّا<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه أبو داود (٤١٦٣)، وصححه الألباني.

(٢) رواه أبو داود (٤١٥٩)، وصححه الألباني.

والترجل غباً، أي: يوماً بعد يوم.

يقول ابن القيم رحمه الله عن هذين الحديثين: (الصواب أنه لا تعارض بينهما بحال؛ فإن العبد مأمور بإكرام شعره، ومنهي عن المبالغة والزيادة في الرفاهية والتنعم، فيكرم شعره، ولا يتخذ الرفاهية والتنعم ديدنه، بل يترجل غباً<sup>(١)</sup>).

## ٢- المبالغة في التنظف والتزين:

يمكنك الرجل الساعات الطوال في المغتسل للاستحمام، وبعضهم يجعل فيه أنواعاً من المعطرات، والرغوة الصابونية، وغير ذلك من أنواع الترف الحديثة التي لم تكن معروفة من قبل.

نعم، لقد دعا الإسلام إلى التزين والتنظف، بل وأمر به، قال تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوْا زِيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

ولكن هذا مرتبط بعدم الإسراف والترف. يقول ابن عبد البر: (التزين والتنظف مباح ما لم يكن إسرافاً وتنعماً وتشبهاً بالجبارين)<sup>(٢)</sup>.

(١) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود (١١/١٤٧).

(٢) التمهيد (٥/٥١).

فليس من الترف في شيء أن يغتسل الرجل ويتنظف، وأن يستعمل مزيلات العرق ونحوها ليبقى نظيفاً، ولا يؤذي غيره برائحته، لا في المسجد ولا في غيره.

ولكن الترف أن يبالغ في ذلك، وأن يصرف عليه الأموال الطائلة، ويضيع له الأوقات الكثيرة.

### ٣- المبالغة في شراء أنواع الملابس ذات الماركات العالمية بأسعار الخيالية:

كان الرجل قبل مدة ليس بالبعيدة لا يملك إلا ثوباً واحداً، فإذا أراد أن يغسله وينظفه اضطر أن يبقى في منزله حتى ينتهي أهله من تنظيفه وتنشيفه، وهو لا يستطيع الخروج إلى الناس ما دام الثوب مبللاً.

وأنعم الله على الناس فأصبح الشخص يملك الثوبين، والثلاثة، بل والعشرة، ولا بأس في ذلك كله ما دام في حدود المعروف والعادة.

بعض الناس لا يلبس إلا من شركة معينة بناء على طلبية خاصة به، يطلبها منهم شخصياً؛ ليستطيع أن يتميز بها عن غيره.

فإن لم يكن هذا هو التترف بعينه، فما هو التترف؟!.

نحن مأمورون أن نلبس ثياباً حسنة تدل على نعمة الله علينا،  
لكن في حدود الاعتدال والاقتصاد.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَدْخُلُ  
الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ» قال رجل: إن الرجل  
يجب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة. قال: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ  
يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ: بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ»<sup>(١)</sup>.

قال أبو الفرج ابن الجوزي: (كان السلف يلبسون الثياب  
المتوسطة، لا المترفعة، ولا الدون، ويتخيرون أجودها للجمعة  
والعيد ولللقاء الإخوان، ولم يكن تخير الأجود عندهم قبيحاً،  
وأما اللباس الذي يزري بصاحبه فإنه يتضمن إظهار الزهد  
وإظهار الفقر، وكأنه لسان شكوى من الله تعالى، ويوجب  
احتقار اللابس، وكل ذلك مكروه منهى عنه)<sup>(٢)</sup>.

فخير الأمور أوسطها.

(١) رواه مسلم (٩١).

(٢) تفسير القرطبي (٧/١٩٧).

#### ٤- المغالاة في المأكل والمشرب:

أهل الترف تجدهم يغالون في الأكل والشرب، فلا يأكلون من الطعام ولا يشربون من الشراب إلا أغلاه ثمناً، ولا يرضون إلا بأنفس الأشياء وأفخرها.

ولا يكتفون في الوجبة الواحدة بنوع واحد أو نوعين من الطعام، بل لا بُدَّ أن تحتوي السفرة الواحدة على أنواع وأشكال من الأطعمة، ولو وضع أمامهم نوع واحد من الطعام لتأففوا وتبرموا.

وقد ذكر القرطبي: (تحريم الأكل الزائد على قدر الكفاية، والذي يبتغي به الترفه)<sup>(١)</sup>.

**ومن صور الترف في الطعام والشراب:** أن كثيراً من الناس لا يأكلون الطعام إلا إذا كان طازجاً، أما إذا كان قد حفظ في الثلاجة فلا يمكن أن يضعه في فمه، بل يلقيه في القمامة، ويعتبر نفسه أكبر من أن يأكل طعاماً قد بات في الثلاجة، حتى ولو لم يتغير طعمه أو يتبدل شكله، ولكنه الترف والعياذ بالله.

(١) تفسير القرطبي (١١/٦٧).

لا بأس أن يجود الإنسان على نفسه بطعام جيد من آنٍ لآخر، أو أن يشتري أكلة نفيسة سعرها مرتفع بعد كل مدةٍ وأخرى، ولكن أن يكون هذا ديدنه وعادته؛ فهو أمرٌ غير مقبول، وطريقة غير مستساغة، لا يقبلها شرعٌ ولا عقل.

### ومن صور التترف المتعلقة بالمأكل والمشرب: استعمال

الأواني الفاخرة الغالية الثمن، فترى من الأسر المترفة من لا تأكل إلا في الصحون ذات الماركات الفخمة، والقذور من الشركات الكبرى، ولا يقبلون بالأنواع المعتدلة من الصحون والقذور والكاسات وغيرها.

### ومن صور التترف المتعلقة بالمأكل والمشرب: ارتياد

المطاعم الفاخرة ذات الأسماء العالمية، والتي لا يفرقها عن غيرها من المطاعم إلا اسمها وشهرتها، وديكوراتها الجميلة.

### ومن صور التترف في المطاعم والمشرب: كثرة استعمال

المشروبات الغازية، واعتبارها أمراً ضرورياً لا بُدَّ منه، فيشرب الشخص مع كل وجبة أو بعدها مشروبا غازيا.

كيف لا! والناس بحاجة إلى هضم ما أكلوه، بعد أن أتخموا

أنفسهم، وملؤوا بطونهم بأنواع وأشكال من الأطعمة والحلويات، حتى احتاجوا إلى ما يساعدهم على هضم ذلك المأكول.

عن ابن سيرين - رحمه الله - أن رجلاً قال لابن عمر رضي الله عنهما: أجعل لك جوارش؟ قال: وأي شيء الجوارش؟ قال: شيء إذا كظك الطعام فأصبت منه سهل عليك<sup>(١)</sup>. قال: فقال ابن عمر: ما شبت من الطعام منذ أربعة أشهر، وما ذاك أن لا أكون له واجداً؛ ولكني عهدت قوماً يشبعون مرة ويجوعون مرة<sup>(٢)</sup>.

## ٥ - حفلات الزفاف وما يصاحبها:

لقد أصبحت ليلة الزفاف في البلاد الإسلامية - على وجه العموم - مضرِباً للمثل في الإسراف والتبذير والتترف، كلُّ يتنافس في تقديم الجديد، ومسابقة الآخرين في هذا المجال.

(١) أي: يهضم الطعام إذا ثقل بطنك، أي أنه يؤدي دور المشروبات الغازية اليوم.

(٢) الزهد للإمام أحمد (١٨٩).

وأصبحت قصور الأفراح وقاعاتها ذات أسعار خيالية، وثوب الزفاف وحده حكاية مستقلة، فأسعار ثياب الزفاف خيالية، ولا بُدَّ للعريس أن يصلى بنيرانها، فلا تقبل الفتاة ولا أهلها إلا بأجود الأنواع، وأفخر الأقمشة، وأشهر الماركات العالمية.

إن الترف في حفلات الزواج لا يقتصر ضرره على إضاعة الأموال، وانتشار الحسد والبغضاء بين الناس؛ بل إن ضرره متعدٍ إلى عزوف الشباب عن الزواج، لما يرونه من المصاريف والتكاليف التي لا قبل لهم بها، فيعيش الشاب بين نارين، إما نار العزوبية، أو نار الزواج في حياة الدَّين الذي سببه له هذا الزواج.

## ٦- الجولات وإكسسواراتها وأرقامها:

من صور الترف التي استولت على قلوب كثير من الناس اقتناء أحدث الجولات، وتزينها بأفضل الإكسسوارات. وتقام مزادات علنية لأرقام الجولات المتميزة، وتباع بأسعار خيالية.



## ٧- السيارات وزينتها وأرقام لوحاتها:

من صور الترف المنتشرة في مجتمعاتنا اقتناء كثير من المترفين لأحدث أنواع السيارات، وتجديدها سنوياً، ودفع مبالغ باهظة للحصول على أرقام لوحات متميزة، فقد أقيم في أحد المدن الخليجية مزاداً للوحات السيارات المتميزة، وتم إنفاق الملايين في هذا المزاد فقط.

## ٨- المبالغة في بناء المنازل، وتأثيرها:

كثير من الأسر تقوم بتغيير أثاث منزلها بشكل دوري ومستمر، فبعض الأسر تغيره كل ستة أشهر، وبعضها كل سنة، وبعضها كل ثلاث سنين أو خمس، حسب القدرة المالية لكل أسرة.

وأما التفنن في زخرفة البيوت وملؤها بأنواع الترف فحدث ولا حرج!

فتجلب أنواع الزينة والزخرفة من الداخل والخارج، وأناس متخصصون في هذا الشأن تدفع لهم أموال لصناعة الديكورات.

لقد أصبحت دورات المياه في فخامتها كأنها مجالس،  
تزين بالفسيفساء والرخام والزجاج المعشق وغير المعشق.

### ٩- المبالغة في استخدام الخدم:

لم يعد الأمر مقتصرًا على وجود خادمة تعين ربة المنزل  
على أمورها، بل أصبحت هناك خادמות متخصصات، فخادمة  
للتنظيف، وأخرى للطبخ، وثالثة للاعتناء بالأطفال.

وهناك البستاني المسؤول عن العناية بأشجار الحديقة،  
والحارس، والسائق، وقد يكون لكل فرد من أفراد العائلة سائق.

وفي بعض المنازل يكون عدد الخادومات والعاملين أكثر  
من عدد أفراد الأسرة.

### ١٠- المبالغة في الألعاب والترفيه والترويح عن النفس:

ففنادق ومدن ترفيهية يكلف بناؤها البلايين، ثم يقدم  
الناس للإقامة فيها والاستفادة من برامجها الترفيهية، وآخر  
صيحات الأطعمة والألعاب، ولك أن تتخيل المبالغ الباهظة  
التي يدفعها من يرتاد هذه الأماكن.

## ١١- اقتناء أغراض المشاهير:

بيع منديل أم كلثوم بخمسة ملايين دولار.

ويع قلم نجيب محفوظ الذي كتب به الإلحاد بستة آلاف دولار .

أما الأميرة ديانا قرروا أن يقطعوا ثوبها إلى قطع كثيرة جداً، كل قطعة (٢ملم)، وتباع كل قطعة بسعر ٢٥ دولار، حتى يصل سعر الثوب إلى ١٠٠ مليون دولار. وهذه التجارة مربحة جداً على هؤلاء المترفين.

فهذه نماذج وصور من الترف التي تقع في مجتمعاتنا المعاصرة، وهي قضية خطيرة جداً، يجب علينا مراعاتها، ومراجعة أنفسنا فيها قبل فوات الأوان.

## أسباب التترف

### أسباب التترف كثيرة ومنها:

**أولاً:** طول الأمل ونسيان الموت.

**ثانياً:** التقليد الأعمى، والتأثر بالمجتمع الذي يعيش فيه الإنسان، فهناك كثير من الناس إمّعات يقلدون غيرهم تقليداً أعمى، ولا يتأملون في أفعالهم هل لها حظ من النظر والعقل أم لا؟!.

وكما يقال: يرغب الإنسان أن يكون ابن بيئته، وهذه البيئة مليئة بالبذخ والتترف، فلا بد أن يواكب هذه البيئة، فيسرف في طعامه وشرابه ولباسه وسكنه.

وقد يخرج الأمر من حد التقليد إلى جانب المباهاة والمفاخرة، فكلّ يريد أن يفوز على صاحبه في هذا الجانب.

**ثالثاً:** سوء التربية، وضعف التوجيه المناسب للأبناء، خاصة مع ما يرونه حولهم من أنواع التترف والبذخ.

**رابعاً:** كثرة المال ووفرة النعم؛ فالمال يعمي ويصم، ويدعو إلى الركون والمتعة والراحة، ويدفع صاحبه إلى البذخ والإنفاق في غير حاجة، وقد قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ۚ﴾ [العلق: ٦-٧]. ومن أجل صور الطغيان وأوضحها: البطر بالنعمة، والإنفاق في غير حاجة ترفاً ومباهاةً وحباً للظهور.

**خامساً:** حب النفس للشهوات، وهذا حب غريزي، كما قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَكَابِ ۗ﴾ [آل عمران: ١٤]، وهذه المحبة الغريزية بحد ذاتها لا لوم فيها، لكن المحذور أن تقدم هذه الأشياء على حب الله ورسوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۗ﴾ [التوبة: ٢٤]، فملذات

الدنيا كلها بمنزلة الخمر إذا أدمن الإنسان عليها صعب عليه فراقها، والدنيا خمر الشيطان من سكر منها لم يفق إلا في عسكر الموتى نادماً مع الخاسرين.

**سادساً:** كيد الأعداء. فإن أعداءنا عندما عرفوا أن الترف هو سبب هلاك الأمم سارعوا لوضع المخططات التي تغرق الأمة الإسلامية في أنواع الترف والملذات والملهيات، حتى تبقى حريصين على مواليتهم ومحبتهم، خاصة وأن أكثر أنواع الترف والملذات بأيديهم، وقد قال اليهود في بروتوكولاتهم: (سنشجع حب الترف المطلق). وقالوا أيضاً: (سنلهي الناس والجماهير بأنواع شتى من الملاهي والألعاب ومزجيات الفراغ والمجامع العامة...).

## آثار التترف على القلب

الفرح بالدنيا والتنعم بها والتترف بملذاتها سم قاتل يسري في العروق، ويصيب القلب بآثار شنيعة، ومن تلك الآثار:

### ١- تعبيد القلب لغير الله:

القلب السليم هو الذي سلم من الشرك والشك ومحبة الدنيا والتعلق بها، لذلك كان من الناجين يوم القيامة، بعكس هؤلاء المترفين الذين أصبحت قلوبهم تعبد الهوى والملذات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلوات الله عليه وآله قال: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ، وَعَبْدُ الحَمِيصَةِ؛ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعَسَّ وَأَنْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا أَنْتَقَشَ»<sup>(١)</sup>.

والرسول صلوات الله عليه وآله قد وصف المترفين بأنهم عبيد الدنانير والدرهم والخمائنص؛ لأنهم يحبون لأجلها، ويغضبون لأجلها، ويفعلون كل شيء في سبيلها.

(١) رواه البخاري (٢٨٨٧).

## ٢- التعلق بالدنيا والإعراض عن الآخرة:

صاحب الترف يكون قلبه متعلقاً بالملذات، حريصاً عليها غاية الحرص، كما قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: ١٦-١٧].

قال ابن القيم رحمه الله: (إذا زهدت القلوب في موائد الدنيا قعدت على موائد الآخرة بين أهل تلك الدعوة، وإذا رضيت بموائد الدنيا فاتتها موائد الآخرة)<sup>(١)</sup>.

## ٣- انشغال القلب بتحقيق السعادة:

إن هدف الناس من الحرص على الملذات وأنواع الترف هو تحقيق السعادة، والقلب إذا لم يستطع أن يوجد تلك السعادة بقي قلقاً مضطرباً حتى يحصل على ما يريد، والسعادة بهذه الأشياء وهم وسراب لا يتحقق، فلا يزال الإنسان يركض وراءها ولا يستطيع أن يحقق السعادة.

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ كَانَتْ



الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتْ الآخِرَةُ نَيْتَهُ جَمَعَ اللهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ<sup>(١)</sup>.

وابن القيم يحدث عن شيخه ابن تيمية الذي كان مضطهداً معذباً مسجوناً، قد أخذت منه أوراقه وأقلامه ومحبرته، ومنع من الاتصال بالعالم الخارجي، عندما كان مسجوناً في دمشق، يقول عنه: (وعلم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم، بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً، وأشرحهم صدرأً، وأقواهم قلباً، وأسرهم نفساً، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضائق بنا الأرض أتيناها، فما هو إلا نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحاً وقوةً و يقيناً وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقاءه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فأتاهم من رَوْحها ونسيمها وطيبها ما

(١) رواه ابن ماجة (٤١٠٥)، وصححه الألباني .

استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها. وكان بعضهم يقول: (لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف)<sup>(١)</sup>.

#### ٤- التترف يجر على القلب أدواء أخرى:

كالكبر، والتباهي، والتفاخر، والعجب، وينفي عنه التواضع، ولين الجانب.

#### ٥- التترف يدعو لمشاركة الفساق فسقهم ومجونهم:

لأنهم هم الذين يزدحمون على مواضع الشهوات، أما أهل الدين والمترفعين عن الدنيا فإنهم لا يتعلقون بها ولا يزدحمون عليها.

قيل لبعضهم: ما الذي زهّدك في الدنيا؟ قال: قلة وفائها، وكثرة جفائها، وخسّة شركائها<sup>(٢)</sup>.

#### ٦- للتترف أضرار سيئة على الجسد:

أجساد أهل التترف لا تتحمل المشاق، وتصاب بالأمراض

(١) الوابل الصيب (٦٧).

(٢) مدارج السالكين (١٦/٢).

لأدنى الأسباب؛ لأن الله فطر الجسم على تحمل المشاق، فإذا خالف الإنسان الفطرة ركبته هذه الأدوية.

يقول ابن رجب رحمه الله: (وليس المأمور به أن يتقي البرد حتى لا يصيبه منه شيء بالكلية؛ فإن ذلك يضر أيضاً، وقد كان بعض الأمراء يصون نفسه من الحر والبرد بالكلية حتى لا يحس بهما بدنه، فتلف باطنه وتعجل موته)<sup>(١)</sup>.

فالتترف يؤثر على الصحة، ويجعل مقاومة الأمراض ضعيفة، ويجعل الإنسان غير قادر على مواجهة شدائد العيش.

### ٧- التترف مضيعة للوقت:

التترف يستهلك الأوقات بحثاً عن الم لذات والشهوات، ولو علم أهمية الوقت ما أضعاه في ملذاته الفانية.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»<sup>(٢)</sup>.

(١) لطائف المعارف (٣٥٦).

(٢) رواه البخاري (٦٤١٢).

### ٨. الترف يقود إلى التكاسل عن العبادات:

لأن المترف يريد التمتع في ملذات الدنيا؛ فلا يجد وقتاً لقراءة القرآن، ولا لصيام النهار، ولا لقيام الليل، وسائر العبادات.

### ٩. الترف يفسد المجتمع:

بالترف يصبح المجتمع كسولاً، وتقل فيه أنواع الإنتاج المتنوعة، فيقل فيه الإنتاج الزراعي، والصناعي، والتجاري، وغير ذلك؛ لأن الجميع يسعى إلى أنواع الترف والملذات التي تستهلك الأوقات والصحة.

## علاج الترف

يكمن علاج الترف في أمور متعددة، منها:

### ١- عدم تعويد النفس على الراحة والدعة والكسل:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْهَرَمِ» <sup>(١)</sup> فالعجز هو عدم القدرة، والكسل ترك الشيء مع القدرة عليه.

وَلَمْ أَرِ فِي عِيُوبِ النَّاسِ عَيْبًا

كَتَقَصِّ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ <sup>(٢)</sup>

فَيُعَوِّدُ الْإِنْسَانَ نَفْسَهُ عَلَى الْعَمَلِ، سِوَاءَ كَانَ الْعَمَلُ الْوِظِيفِي، أَوْ الْعَمَلُ دَاخِلَ الْبَيْتِ كَخِدْمَةِ أَهْلِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

عن الأسود قال: سألت عائشة رضي الله عنها: ما كان النبي صلى الله عليه وسلم

(١) رواه البخاري (٢٨٢٣) ومسلم (٢٧٠٦).

(٢) خزنة الأدب (١/٢٠٥).

يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله<sup>(١)</sup>. تعني: خدمة أهله.

فمن المناسب جدا أن تتعود البنت على غسل الصحون وتنظيف البيت، ويتعود الولد على قص الزرع وتهذيب الحديقة، وغسل السيارة، وشراء حاجيات البيت من السوق، وغير ذلك.

## ٢- الزهد في الدنيا والتقليل من متعها:

وهو أهم العلاجات، فيدعو الإنسان لنفسه ولأهله بأن يزهّدوا في الدنيا، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ كَفَافًا»<sup>(٢)</sup>.

ولو تأمل أحدنا في حقيقة الدنيا لوجدها حقيرة لا تستحق كل هذا التعب والجري خلفها. فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن رسول الله صلّى الله عليه وآله مر بجدي أسك<sup>(٣)</sup> ميت، فتناوله، فأخذ بأذنه ثم قال: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بِدِرْهِمٍ؟». فقالوا: ما

(١) رواه البخاري (٦٧٦).

(٢) رواه مسلم (١٠٥٥).

(٣) أي: صغير الأذنين.

نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: «أَحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟». قالوا: والله لو كان حيا كان عيبا فيه لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟ فقال: «فَوَاللَّهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَيَّ اللهُ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ»<sup>(١)</sup>.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»<sup>(٢)</sup>.

وهذه الحياة لا تستحق أن يُفرح بنعيمها، ولا أن يُحزن بفوات ملذاتها، لما سئل الإمام أحمد: عمن معه ألف دينار ألا يكون زاهداً؟ قال: (نعم، بشرط أن لا يفرح إذا زادت، ولا يحزن إذا نقصت)<sup>(٣)</sup>.

عن محسن الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، آمِنًا فِي سِرِّهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ؛ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه مسلم (٢٩٥٧).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٢٠)، وصححه الألباني.

(٣) مدارج السالكين (١/٤٦٥)، وفيض القدير (٧٢/٤).

(٤) رواه الترمذي (٢٣٤٦)، وحسنه الألباني.

فينبغي على الإنسان أن يأخذ الدنيا بسخاوة نفس، يعطي هذا، ويصل هذا، ويتصدق على هذا، فالمال الذي عنده كأنه للناس.

**٣- أن ينظر الإنسان إلى من هو دونه في الدنيا، ولا ينظر إلى من هو فوقه:**

حتى يعرف نعمة الله عليه، ولا يتطلع إلى الزينة التي فيها أصحاب الترف.

**٤- تقصير الأمل:**

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ». وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لسقمك، ومن حياتك لموتك<sup>(١)</sup>.

(١) رواه البخاري (٦٤١٦).



وعن حفص بن سليمان رحمه الله قال: دخل رجل على أبي ذر رضي الله عنه فجعل يقلب بصره في بيته، فقال: يا أبا ذر أين متاعكم؟ قال: إن لنا بيتاً نوجه إليه صالح متاعنا. -أي: أملك بيتاً آخر أجمع فيه الأثاث والمتاع الجيد، يقصد الآخرة- قال: إنه لا بد لك من متاع ما دمت هاهنا. قال: إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه <sup>(١)</sup>.

ودخلوا على بعض الصالحين، فقلبوا بصرهم في بيته، فقالوا: إنا نرى بيتك بيت رجل مرتحل! فقال: لا أرتحل، ولكن أترد طرداً <sup>(٢)</sup>.

فالمرء منا لا يطلب منه أن يرحل من هذه الحياة، بل يطرد منها طرداً، فيؤخذ في ثانية، وتخرج روحه بدون استئذان ولا إمهال، ولا إعطاء فترة مهلة للمغادرة.

(١) شعب الإيمان (٧/٣٧٨).

(٢) جامع العلوم والحكم (٣٨٠).

## ٥- النظر في سيرة الصالحين والزهاد:

من نظر في سيرة النبي ﷺ وجد زهداً ليس له نظير، يدعوه إلى الامتثال والاتباع.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لم يأكل النبي ﷺ على خوان حتى مات، وما أكل خبزاً مرققاً حتى مات<sup>(١)</sup>.

وعن أبي حازم قال: سألت سهل بن سعد رضي الله عنه فقلت: هل أكل رسول الله ﷺ النبي النجي<sup>(٢)</sup>؟ فقال سهل: ما رأى رسول الله ﷺ النبي النجي من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله. قال: فقلت: هل كانت لكم في عهد رسول الله ﷺ مناخل؟ قال: ما رأى رسول الله ﷺ منخلاً من حين ابتعثه الله حتى قبضه. قال: قلت: كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول؟ قال: كنا نطحنه وننفخه فيطير ما طار، وما بقي ثريناه<sup>(٣)</sup> فأكلناه<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه البخاري (٦٤٥٠).

(٢) هو خبز الدقيق الأبيض النظيف من الغش والنخالة. فتح الباري (٩ / ٥٤٨).

(٣) أي: بللناه بالماء وعجنناه، ثم خبزناه وأكلناه.

(٤) رواه البخاري (٥٤١٣).

وعن أبي بردة قال: أخرجت إلينا عائشة رضي الله عنها كساء وإزارا غليظا، فقالت: قبض روح النبي صلى الله عليه وسلم في هذين <sup>(١)</sup>.  
وقد ضرب كثيرٌ من الصحابة والتابعين أمثلة رائعة للزهد والتقلل من حياة الترف والملهيات والملذات.

فهذا مصعب بن عمير رضي الله عنه الذي كان يضرب به المثل في الترف في قريش، فلم يكن من يدانيه في لباسه وطيبه، ثم ترك حياة المترفين والتحق بركب الزاهدين، ولما مات ما وجدوا له كفنا يكفيه، وما وجدوا إلا بردة إذا غطوا بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطوا رجليه بدا رأسه <sup>(٢)</sup>.

وعمر بن عبد العزيز مثال رائع آخر لمن زهد بعد حياة الترف.

عن حجاج الصواف قال: أمرني عمر بن عبد العزيز وهو والٍ على المدينة أن أشتري له ثياباً، فاشتريت له ثياباً، فكان فيها ثوب بأربعمئة، فقطعه قميصاً ثم لمس به يده، فقال: ما أحسنه وأغلظه. ثم أمر بشراء ثوب له وهو خليفة، فاشتروه بأربعة

(١) رواه البخاري (٥٨١٨).

(٢) الثقات لابن حبان (٢٣٤/١).

عشر درهماً فلمسه بيده، فقال: سبحان الله، ما ألينه وأدقه<sup>(١)</sup>.  
وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز أتى إلى أبيه وهو خليفة،  
يستكسي أباه، فقال: يا أبت اكسني. فقال: اذهب إلى الخيار  
بن رباح البصري، فإن لي عنده ثياباً، فخذ منها ما بدا ذلك.  
قال: فذهب إلى الخيار بن رباح فقال: إني استكسيت أبي،  
فأرسلني إليك، وقال لي: إن لي عند الخيار بن رباح ثياباً.  
فقال: صدق أمير المؤمنين، فأخرج إليه ثياباً سنبلانية<sup>(٢)</sup> أو  
قطرية<sup>(٣)</sup> - وهي ثياب متواضعة-. فقال: هذا ما لأمر  
المؤمنين عندي، فخذ منها. فرجع عبد الله بن عمر إلى أبيه  
عمر بن عبد العزيز رحمه الله، فقال: يا أبتاه، استكسيتك  
فأرسلتني إلى الخيار بن رباح، فأخرج لي ثياباً ليست من  
ثيابي، ولا من ثياب قومي. قال: فذاك ما لنا عند الرجل.  
فانصرف عبد الله ابن عمر، حتى إذا كاد أن يخرج ناداه فقال:  
هل لك أن أسلفك من عطائك<sup>(٤)</sup> مائة درهم؟ قال: نعم يا

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٣٣٤).

(٢) هي الثياب السابغة الطويلة.

(٣) ثياب حمراء مخططة فيها بعض الحشونة.

(٤) أي: عطاؤه من بيت المال.

أبتاه. فأسلفه مائة درهم، فلما خرج عطاؤه حوسب بها فأخذت منه<sup>(١)</sup>.

وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله في غاية الزهد، قال مالك بن دينار رحمه الله: (الناس يقولون مالك بن دينار زاهد، إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز أتته الدنيا فتركها)<sup>(٢)</sup>.

## ٦- ومن العلاجات المهمة أن يترك الإنسان بعض النعيم الذي يقدر عليه:

عن أنس الجهني عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَرَكَ اللَّبَّاسَ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ تَوَاضَعًا لِلَّهِ وَعَلَىٰ دَعَاؤِ اللَّهِ وَعَلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ، حَتَّىٰ يُخَيَّرَهُ مِنْ حُلِّ الْإِيمَانِ يَلْبَسُ أَيُّهَا شَاءَ»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي عثمان قال: كتب إلينا عمر رضي الله عنه: إياكم والتنعم وزي أهل الشرك ولبوس الحرير؛ فإن رسول الله ﷺ نهى عن لبوس الحرير<sup>(٤)</sup>.

(١) تاريخ دمشق (١٧/٦٦-٦٧).

(٢) السنة لعبد الله بن أحمد (١/١١٩).

(٣) رواه الترمذي (٢٤٨١)، وصححه الحاكم.

(٤) رواه مسلم (٢٠٦٩).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (ذروا التتعم وزي العجم) <sup>(١)</sup>.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ أَنْ تَبْدُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأَنْ تُمَسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ، وَأَبْدَأُ بِمَنْ تَعُولُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى» <sup>(٢)</sup>.

## ٧- ومن وسائل محاربة التترف: مشاركة الفقراء في طعامهم وشرابهم:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء إلى السقاية فاستسقى، فقال العباس: يا فضل، اذهب إلى أمك فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب من عندها. فقال صلى الله عليه وسلم: «اسقني». قال: يا رسول الله، إنهم يجعلون أيديهم فيه!. قال: «اسقني». فشرب منه <sup>(٣)</sup>.

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ٣٩٤)، وصححه شعيب الأرنؤوط.

(٢) رواه مسلم (١٠٣٦).

(٣) رواه البخاري (١٦٣٦).

فالعباس أراد أن يأتي النبي ﷺ بماء لم يضع أحدٌ يده فيه، ولكنه ﷺ أبى إلا مشاركة الناس في شراهم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبَلْتُ»<sup>(١)</sup>.

أي: لو أهدي إليه شيء عليه لحم قليل جداً، أو ما عليه لحم أصلاً لقبله.

فهذه بعض السبل لمحاربة الترف الموجود الآن بكثرة في حياتنا، ولابدَّ من مراعاة ذلك -خاصة- مع أطفالنا، فهم جيل المستقبل، ولو بقوا على حالتهم هذه من الترف والدعة فإن أماننا مستقبلاً مظلماً؛ إلا أن يرحمنا الله.

(١) رواه البخاري (٢٥٦٨).

## الخاتمة

إن هذه الحياة التي يعيشها هؤلاء المترفون ليست إلا زهرة الحياة الدنيا، وهو نعيم زائل، ونعمة حائلة، أراد الله أن يختبر بها عباده، وقليلٌ من عباده الشكور، قال نفطويه:

إِذَا مَا كَسَاكَ الدَّهْرُ ثَوْبَ مَصْحَةٍ  
وَلَمْ يَجُلْ مِنْ قُوتٍ يَجَلَى وَيَعْذِبُ  
فَلَا تَغْبِطَنَّ الْمُتْرِفِينَ فَإِنَّهُ  
عَلَى حَسْبٍ مَا يُعْطِيهِمُ الدَّهْرُ يَسْلِبُ<sup>(١)</sup>

واحذروا متالف السرف، وسوء عاقبة الترف؛ فإنهما يعقبان الفقر، ويذلان الرقاب ويفضحان أهلها.

والترف وإن كان مذموماً من جميع الناس؛ إلا أنه في حق طلبة العلم والدعاة أكثر ذمماً، وهذا المرض قد انتشر بين الناس عامتهم وخاصتهم، وقلَّ أن يسلم منه أحد.

(١) فيض القدير (٦/٦٨).



وخير الأمور هو التوسط، وعدم الإفراط في ملازمة الطيبات؛ فإنه يؤدي إلى الترفه والبطر، ولا يأمن من الوقوع في الشبهات، فإن من اعتاد ذلك قد لا يجده أحياناً فلا يستطيع الصبر عنه فيقع في المحذور.

كما أن من منع نفسه من جميع الطيبات قد يفضي به إلى التنطع، وهو التكلف المؤدي إلى الخروج عن السنة المنهي عنه.

نسأل الله ﷻ أن يصلح نياتنا وذرياتنا، وأن يجعل عيشنا كفافاً وأمرنا سداداً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلّى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

محاضر المنجد

## اختبر فهمك

بين يديك مستويين من الأسئلة ، أسئلة مباشرة وأخرى تحتاج منك إلى تأمل وإمعان نظر.

### أسئلة المستوى الأول المباشرة :

- ١ - عرف الترف لغة واصطلاحاً.
- ٢ - اذكر ثلاثة من صور الترف المعاصرة.
- ٣ - ما هي أسباب شيوع ظاهرة الترف؟.
- ٤ - اذكر ثلاثة من آثار الترف على الفرد والمجتمع.
- ٥ - لكل داء دواء فما دواء الترف؟.

### أسئلة المستوى الثاني الاستنباطية:

- ١ - لماذا ذمَّ الترف في القرآن الكريم؟.
- ٢ - هل الترف والغنى متلازمان؟ وضح ذلك.
- ٣ - كيف يكون الترف سبيلاً لتعبيد القلب لغير الله؟.

- ٤- (وعلم الله ما رأيت أحداً أطيّب عيشاً منه) من القائل؟  
ومن المقصود؟ وما مناسبته؟.
- ٥- الترف مفسد للمجتمع، وضع ذلك.
- ٦- هل يجتمع الزهد في الدنيا وحب جمع المال؟.

## المحتويات

٥	.....	مقدمة
٧	.....	تعريف الترف
٩	.....	ذم الترف في القرآن الكريم
١٤	.....	ذم الترف في السنة النبوية
١٦	.....	لا تفرحوا أيها المترفون!
٢٤	.....	هل الترف والغنى متلازمان؟
٢٦	.....	صور الترف المعاصرة
٣٧	.....	أسباب الترف
٤٠	.....	آثار الترف على القلب
٤٦	.....	علاج الترف
٥٧	.....	الخاتمة
٥٩	.....	اختبر فهمك
٦١	.....	المحتويات